

جواهر الأدب من خزائن العرب

كتاب يشتمل على مقتطفات ادبية من انفس الكتب العربية
لمشاهير العلماء والكتّاب

جمع بعناية

سليم ابراهيم صاور

صاحب المكتبة العمومية في بيروت

الجزء الرابع

طبع بالمطبعة العلمية ليوسف صادر في بيروت سنة ١٩١٢

المقدمة

ما برزت اجزاء جواهر الادب السالفة الى عالم الانتشار حتى اصابت من ضروب الخفاوة لدى اصحاء الذوق ما جلا غرار الحمة وأرهف حد العزيمة . فلم نتماسك عن ان نضوغ لهم عقود التكرار لما ساقوه اليها من كلمات الاستحسان والثناء على الطريقة السوية التي جريتنا علينا في مسعانا هذا مما استحثنا على مواصلة السير وراء الامد الخطير الذي طالما رصدته عيون الادباء والمتأدبين حتى اذا أتيج لنا ادراكه قدمنا لطلاب العلم سلسلة أدبية تجمع الى فنون الحكمة والتهديب المنظومات الرائمة والمقالات الباهرة وتنطوي على جميع الابواب والاعراض والأنفاس المألوفة عند الجيايزة المنشئين في جميع الاعصار ولا مشاحة ان الشرق قد أنبت في هذا العصر من نوابغ العلماء الاعلام من برزوا في ميدان المعارف وحلقوا في جو الانشاء ايماءً تحليقي وتأنقوا في أفانين الكلام وأساليب النظم وأوغلوا في متون اللغة الى ان اماطوا النقاب عن حيا رموزها واستخرجوا فرائد الآتي من صدور كنوزها . فلم يكن من الانصاف ان نجسهم حقوقهم دافنين في رموس الاغفال نفائس آثارهم ولا سيما بعد اذ ابتدعوا من التخيلات البديعة ما لم تحم عليه بصائر السلف واستحدثوا من المعاني السامية والمواضيع العالية ما أغنى خزائن الخلف . ولذلك رأينا ان نوشي سائر الاجزاء بشيء من منظومهم ومنثورهم حتى يضرب شدة العلم على مثالهم الرائق وينسج رواد الادب على منوالهم البديع الشائق هذا ولما كانت اللغة معدناً نستخرج منه الاقلام جواهر المباني للافصاح عما يتلأ في سماء الازهان من ثواقب المعاني قضت الحاجة ان نفردها لها باباً نودع فيه شذوراً من المترادفات المانوسة عند بلقاء الكتاب وأمرء الانشاء قصد ان نغسح لآبناء التحصيل مدى البيان والتجوير فلا تنغد في خواطرهم المادة ولا يقف بهم القلم عند اول شوط يجرونه في مضمار التعبير وفقنا المولى الرشيد الى الانقاف والاحكام وقبض لنا اسباب السداد وحسن الختام

الباب الاول

في الاوبيات

الفصل الأول

في دلائل العقل

قال زياد: ليس العاقل الذي إذا وقع في الأمر احتال
له ولكن العاقل يحتال للأمر حتى لا يقع فيه

وقال بعض الحكماء: لا يكون الرجل عاقلاً حتى يكون

عنده تعنيف الناصح الطف موقفاً من ملق الكاشح^(١)

وقال أحد الأدباء: الحمق قلة الإصابة ووضع الكلام

في غير موضعه وفقدان ما يحمده من العاقل

وقال بعض العقلاء: العقل الوقوف عند مقادير الأشياء

قولاً وفعلاً

ومن كلام ابن وهب: لا يكون الرجل عاقلاً حتى

يقتدي بأهل الأدب من قبله فيكون إماماً لمن بعده

(١) المضمير العداوة

وَحَتَّى يَكُونَ الذُّلُّ فِي طَاعَةِ اللَّهِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْعِزِّ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ . وَحَتَّى يَكُونَ الْفَقْرُ فِي الْحَلَالِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْغِنَى فِي الْحَرَامِ . وَحَتَّى يَسْتَقْبِلَ الْكَثِيرَ مِنْ عَمَلِهِ وَيَسْتَكْثِرُهُ مِنْ غَيْرِهِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْمُفْضِحَاءِ : الْعَاقِلُ يَسْعَدُ مَوَالِيَهُ ^(١) بِعَقْلِهِ وَيَعْتَصِمُ مَعَادِيَهُ بِعَدْلِهِ . إِنْ أَحْسَنَ إِلَى أَحَدٍ تَرَكَ الْمَطَالِبَةَ بِالشُّكْرِ . وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ مُسِيءٌ سَبَّبَ ^(٢) لَهُ أَسْبَابَ الْعُذْرِ أَوْ مَنَعَهُ الصَّفْحَ وَالْعَفْوَ . وَالْأَحْمَقُ ضَالٌّ مُضِلٌّ إِنْ أُوتِيَ تَكَبَّرَ وَإِنْ أُوحِشَ تَكَدَّرَ . مَجَالَسَتُهُ مَهَانَةٌ وَمُعَابَتُهُ مَحْنَةٌ وَمَوَالَاتُهُ ضَرَرٌ وَمُقَارَبَتُهُ عَمَى وَمُقَارَنَتُهُ ^(٣) شَقَا . وَهُوَ يُسِيءُ إِلَى غَيْرِهِ وَيَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فَيُطَالِبُهُ بِالشُّكْرِ . وَيُحْسِنُ إِلَيْهِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ قَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ فَيَتَوَقَّعُ مِنْهُ إِدْرَاكَ الْوَتْرِ ^(٤) . فَمَسَاوِيُّ الْأَحْمَقِ لَا تَنْقِضِي وَعُيُوبُهُ لَا تَنْتَاهِي . فَمَا أَكْثَرَ الْعِبْرَ لِمَنْ نَظَرَ وَأَنْفَعَهَا لِمَنْ أَعْتَبَرَ .

وَقَالَ بَعْضُ الْمُعْلَمَاءِ : يُسْتَدَلُّ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ بِمِيلِهِ إِلَى

(١) مصادقه (٢) وجد (٣) مصاحبه (٤) النار

مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ وَإِعْرَاضِهِ عَنِ رِذَائِلِ الْأَعْمَالِ وَرَغْبَتِهِ فِي
إِسْدَاءِ صَنَائِعِ الْمَعْرُوفِ وَتَجَنُّبِهِ مَا يَكْسِبُهُ عَارًا وَيُورِثُهُ سُوءَ
السَّمْعَةِ

وَقَالَ آخَرُ : ثَلَاثَةٌ هُنَّ رَأْسُ الْعَقْلِ : مَدَارَاةُ النَّاسِ
وَالْتَجَبُّ إِلَيْهِمْ وَالْإِقْتِصَادُ فِي الْمَعِيشَةِ

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : لَا يَكْفِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَى عَقْلِ الرَّجُلِ
الْإِغْتِرَارُ بِحُسْنِ مَلْبَسِهِ وَمَلَاخَةِ سَمْتِهِ ^(١) وَكَثْرَةَ صَلْفَتِهِ ^(٢)

وَنَظَافَةِ بَزَّتِهِ ^(٣) . فَلَئِمَّ مِنْ مَنَظَرٍ حَسَنِ مَخْبَرُهُ سَيِّئٌ وَكَمَّ
مِنْ زَهْرَةٍ جَمِيلَةٍ الصُّورَةَ تَرَاهَا مَرَّةً الْمَذَاقِ خَبِيثَةَ الرَّائِحَةِ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : الْأَحْمَقُ كَثِيرُ الشَّوَابِبِ وَالْأَهْفَوَاتِ
أَلِيفُ الْأَوْهَامِ وَالْتَرَهَاتِ . يَرْكَبُ هَوَاهُ الْجُمُوحَ حَتَّى يَطْرَحَهُ
فِي مَهَاوِي الْغَوَايَةِ وَيُلْقِيَهُ فِي لُجَجِ الْعِخَازِيِّ . فَأَجْتَنِبُ
عِشْرَتَهُ كَمَا تَجْتَنِبُ الْوَبَاءَ وَأَكْرَهُ مُخَالَطَتَهُ كَمَا تَكْرَهُ أَعْضَلَ
الْأَدْوَاءِ

وَقَالَتِ الْحَكَمَاءُ : رَأْسُ الْعَقْلِ مُنَاهِزَةُ الْفُرْصَةِ عِنْدَ إِمْكَانِهَا

(١) هيئته (٢) من صلف الرجل اذا تمدح بما ليس عنده او جاوز
قدر الظرف وادعى فوق ذلك اعجاباً وتكبراً (٣) اللبزة الثياب والهيئة

وَالْأَنْصِرَافُ عَمَّا لَسَبِيلَ إِلَيْهِ . وَقِيلَ : الْعَاقِلُ وَثَّابٌ عَلَى
الْفَرْصِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : آيَةُ الْعَقْلِ سُرْعَةُ الْفَهْمِ وَغَايَتُهُ إِصَابَةُ
الْوَهْمِ . وَآيَسٌ لِمَنْ مُنِحَ جُودَةُ الْقَرِيحَةِ وَسُرْعَةُ الْخَطْرِ
عَجَزٌ عَنِ الْجَوَابِ وَإِنْ أَعْضَلَ (١)

سُئِلَ الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ :
كَانَ وَاللَّهِ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ وَأَعْقَلَ مِنْ أَنْ يُخَدَعَ وَهُوَ
الْقَائِلُ : لَسْتُ بِمُخَبَّ (٢) وَالْحَبُّ لَا يُخَدَعُنِي

الفصل الثاني

فِي ضَبْطِ الْعِلْمِ وَحِفْظِهِ

قَالَتِ الْحِكْمَاءُ : لَيْسَ الْعِلْمُ مَا خَزَنَتْهُ الدَّفَاتِرُ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ
مَا خَزَنَتْهُ الصُّدُورُ

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ : إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا فَجَمَعَكَ
لِلْكِتَابِ لَا يَنْفَعُ

وَقَالَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ : أَجْعَلْ تَعْلِيمَكَ دِرَاسَةً لِعِلْمِكَ

(١) اشتد واستغلق (٢) خداع

وَأَجْعَلْ مُنَاطِرَةَ الْمُتَعَلِّمِ تَنْبِيهَا عَلَى مَا لَيْسَ عِنْدَكَ
 وَقِيلَ : مَنْ أَكْثَرَ الْمَذَاكِرَةَ بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ
 وَأَسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَعِيَ الْعُلُومَ السَّنِيَّةَ حَتَّى
 تَحُورَ مِنْ ذِهْنِكَ الْأُمُورَ الدُّنْيَا
 وَقَالَ ابْنُ الْعَبَّاسِ : لَا يُنَالُ الْعِلْمُ إِلَّا بِلسَانِ سَوْوَلٍ وَقَلْبِ
 عَقُولٍ^(١)

وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَاوَرِدِيُّ : الْعُلُومُ مُطَالَعَهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجُهٍ : قَلْبٍ مُفَكِّرٍ وَلِسَانٍ مُعَبِّرٍ وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ . فَإِذَا عَقَلَ
 الْمَرْءُ الْكَلَامَ بِسَمْعِهِ فَهَمَّ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ . وَإِذَا فَهَمَّ الْمَعَانِيَّ
 سَقَطَتْ عَنْهُ كَلْفَةٌ^(٢) اسْتَخْرَجَهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةٌ حَفِظَهَا
 وَأَسْتَقْرَرَهَا^(٣) . لِأَنَّ الْمَعَانِيَّ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِالْإِغْفَالِ وَالْعُلُومَ
 وَحْشِيَّةٌ تَنْفَرُ بِالْإِرْسَالِ^(٤) . فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أَنْسَتْ
 وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ الْأَنْسِ رَسَتْ^(٥)

وَقَالَ أَيْضًا : لَا يَتَوَفَّرُ عِلْمُ الطَّالِبِ إِلَّا بِتِسْعَةِ شُرُوطٍ :

(١) مدرك فاهم للامور (٢) مشتقة (٣) اثباتها وتمكنها

(٤) الإهمال والاطلاق (٥) ثبتت

أَحَدَهَا الْعَقْلُ الَّذِي بِهِ يُدْرِكُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ . وَالثَّانِي الْفِطْنَةُ
الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ . وَالثَّلَاثُ الذِّكَاةُ الَّذِي
يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ . وَالرَّابِعُ الشَّهْوَةُ
الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إِلَيْهَا الْمَلَلُ . وَالخَامِسُ
الْإِكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنِ كَلْفِ الطَّلَبِ . وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ
الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوْفُرُ وَيَحْصُلُ بِهِ الْأَسْتِكْثَارُ . وَالسَّابِعُ
عَدَمُ الْقَوَاطِعِ ^(١) الْمَذْهَلَةِ مِنْ هُمُومٍ وَأَمْرَاضٍ . وَالثَّامِنُ
طُولُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيُنْتَهِيَ بِالْأَسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ
الْكَامَالِ . وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمٍ سَمَّحٍ ^(٢) بِعِلْمِهِ مُتَّانٍ فِي
تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ التَّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ
طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ

وَمِنْ كَلَامِهِ : عَلَى الطَّالِبِ أَنْ يَكْدُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى
يُدْرِكَ فَوَائِدَهُ وَيَقْتَنِصَ شَوَارِدَهُ فَقَدْ قِيلَ : لَا يَصْبِرُ عَلَى
الدَّرْسِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ مَغْنَمًا وَالْجَهْلَ مَغْرَمًا ^(٣) فَيَحْتَمِلُ
نَصَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعْرَةَ ^(٤) الْجَهْلِ

(١) القواطع التي تقطع الانسان عن العمل (٢) كريم (٣) خسارة

فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ . وَعَلَى قَدْرِ الرَّغْبَةِ تَكُونُ
 الْمَطَابِقُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ التَّعَبُ
 وَقَالَ أَرِسْطَا طَالِيسُ : طَالِبُ الْعِلْمِ كَالْفَائِصِ فِي الْبَحْرِ
 لَا يَصِلُ إِلَى الْجَوَاهِرِ الْكَرِيمَةِ إِلَّا بِالْمَخَاطَرَةِ الْعَظِيمَةِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : لَا يَتَأَدَّبُ الرَّجُلُ وَلَا يَذْخِرُ الْعُلُومَ
 فِي خَزَائِنِ صَدْرِهِ حَتَّى يَتَجَنَّبَ الْفِرَاشَ الْوَطِيءَ ^(١) وَالذِّئْبَارَ ^(٢)
 الدَّفِيءَ .

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : إِذَا قَرَأْتَ كِتَابًا
 فَأَحْرِصْ كُلَّ الْحَرِصِ عَلَى أَنْ تَسْتَظْهَرَهُ وَتَمْلِكَ مَعْنَاهُ .
 وَتَوَهَّمْ أَنَّ الْكِتَابَ قَدْ عُدِمَ وَأَنَّكَ مُسْتَغْنٍ عَنْهُ لَا تَحْزَنُ
 لِفَقْدِهِ . وَإِذَا كُنْتَ مُكِبًّا عَلَى دِرَاسَةِ كِتَابٍ وَتَفْهَمِهِ فَإِيَّاكَ
 أَنْ تَشْتَغَلَ بِآخَرَ مَعَهُ . وَأَصْرِفِ الزَّمَانَ الَّذِي تُرِيدُ صَرْفَهُ
 فِي غَيْرِهِ إِلَيْهِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَشْتَغَلَ بِعِلْمَيْنِ دَفْعَةً وَاحِدَةً .
 وَوَاطِبْ عَلَى الْعِلْمِ الْوَاحِدِ فَإِذَا قَضَيْتَ مِنْهُ وَطَرَكَ فَانْقَلِ
 مِنْهُ إِلَى عِلْمٍ آخَرَ . وَلَا تَظُنَّ أَنَّكَ إِذَا حَصَلْتَ عِلْمًا فَقَدْ
 اكْتَفَيْتَ بَلْ تَحْتَاجُ إِلَى مُرَاعَاتِهِ ^(٣) لِيَنِيَّ وَلَا يَنْقُصَ .

(١) اللين (٢) ما ينغطي به النائم (٣) ملاحظته وحفظه

وَمُرَاعَاتُهُ تَكُونُ بِالْمُذَاكِرَةِ وَالتَّفَكُّرِ وَاشْتِغَالِ الْمُبْتَدِئِ بِالتَّحْفِظِ
 وَالتَّعَلُّمِ وَمُبَاحَثَةِ الْأَقْرَانِ . وَاشْتِغَالِ الْعَالَمِ بِالتَّعْلِيمِ وَالتَّصْنِيفِ
 وَقَالَ الْإِمَامُ الْحَاوِرْدِيُّ : يَنْبَغِي إِطْلَابَ الْعِلْمِ أَنْ لَا
 يَنِيَّ^(١) فِي طَلْبِهِ وَيَنْتَهَزَ الْفُرْصَةَ بِهِ فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِمَا سَمَحَ .
 وَلِبُتَيْئِي فِي الْعِلْمِ مِنْ أَوْلَاهِ وَلِيَّاتِهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَتَشَاغَلُ
 بِطَلْبِ مَا لَا يَضُرُّ جَهْلُهُ فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ
 جَهْلُهُ . وَأَفْضَلُ الْأَوْقَاتِ لِلدَّرْسِ اللَّيْلُ فَقَدْ قِيلَ : انْظُرُوا
 فِي الْعِلْمِ بِاللَّيْلِ فَالْقَلْبُ فِي النَّهَارِ طَائِرٌ وَفِي اللَّيْلِ سَاكِنٌ

الفصل الثالث

في قدر المعلمين

قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ : يَا بَنِي زَاهِمِ الْعُلَمَاءَ بِرُكْبَتِكَ وَأَنْصِتْ
 إِلَيْهِمْ بِأُذُنِكَ . فَإِنَّ الْقَلْبَ نَيْجًا بِنُورِ الْعِلْمِ كَمَا تَحْيَا الْأَرْضُ
 الْمَيْتَةَ بِمَطَرِ السَّمَاءِ

وَقَالَ عَلِيُّ[ؑ] : إِذَا كَانَ الْأَبَاءُ هُمْ السَّبَبُ فِي الْحَيَاةِ فَمَعْلَمُوهُمُ
 الْحِكْمَةُ وَاللِّدِينِ هُمْ السَّبَبُ فِي جُودَتِهَا

وَقَالَ الشَّاعِرُ

أَقْدَمُ أَسْتَاذِي عَلَى نَفْسِي وَالِدِي

وَإِنْ نَالَنِي مِنَ وَالِدِي الْفَضْلُ وَالشَّرَفُ

فَذَاكَ مَرَبِّي الرُّوحِ وَالرُّوحُ جَوْهَرٌ

وَهَذَا مَرَبِّي الْجِسْمِ وَالْجِسْمُ مِنْ صَدَفٍ

وَقَالَ سَلِيمَانُ الْغَنَوِيُّ

فَسَلِ الْفَقِيهَ تَكُنْ فَقِيهًا مِثْلَهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بِغَيْرِ تَدَبُّرٍ

وَإِذَا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَأَرْجِهَا (١) وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَعْسُرْ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ: أَقْتَدِ بِالْعُلَمَاءِ فِي أَخْلَاقِهِمْ وَتَشَبَّهُ

بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِمْ لِتَصِيرَ لَهَا الْفَا وَعَلَيْهَا نَاشِئًا وَلِمَا خَالَفَهَا

مُجَانِبًا . لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ كَالْمَصَابِيحِ الْمُتَوَقِّدَةِ يَسْتَصْبِحُ بِهَا الْجَاهِلُ

الضَّلُولُ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: لِيَأْخُذِ الْمُتَعَلِّمُ حِظَّهُ مِنْ مَنْ وَجَدَ

مِنَ الْعُلَمَاءِ النَّبِيَاءَ مِنْ أَشْتَهَرَ ذِكْرُهُمْ وَأَرْتَفَعَ قَدْرُهُمْ لِأَنَّ

الْأَخْذَ عَنْهُمْ أَرْفَعُ وَأَشْهُرُ . وَأَحْذَرُ أَنْ تَغْمِطَ نِعْمَتَهُمْ أَوْ

(١) أصلها أرجئها أي أخرها

تَطْوِي فَضْلَهُمْ . وَتَوَفَّرَ عَلَى نَشْرِ الْوَيْةِ الشَّاءِ عَلَى إِيَادِيهِمْ .
 الْغَرَاءِ وَأَثَارِهِمِ الْبَيْضَاءِ فِي كُلِّ مَحْفَلٍ وَمُنْتَدَى . فَلَا شَيْءَ
 أَقْبَحُ مِنَ الْكُفْرَانِ بِصَنَائِعِ الْأُسْتَاذِ وَالْمُرِّيِّ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : إِذَا جَلَسْتَ إِلَى الْعَالِمِ . فَسَلْ تَنْفَهًا
 وَلَا تَسَلْ تَعْنَةً (١)

وَقَالَ ابْنُ الْمُعْتَزِّ : الْمُتَوَاضِعُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَكْثَرُ
 النَّاسِ عِلْمًا كَمَا أَنَّ الْمَكَانَ الْمُنْخَفِضَ أَكْثَرُ الْبِقَاعِ مَاءً .
 وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : عَلَيْكَ بِالْأُسْتَاذِ فِي
 كُلِّ عِلْمٍ تَطْلُبُ أَكْتِسَابَهُ . وَعَلَيْكَ بِتَعْظِيمِهِ وَإِجْلَالِهِ . وَإِنْ
 قَدَرْتَ أَنْ تُفِيدَهُ مِنْ دُنْيَاكَ فَاَفْعَلْ وَإِلَّا فَبَلِّسَانِكَ وَثَنَانِكَ
 وَقَالَ الْإِمَامُ الْمَاوَرِدِيُّ : إِنْ لِلْمُتَعَلِّمِ تَمَلُّقًا (٢) وَتَذَلُّلًا
 فَإِنْ أَسْتَعْمَلَهُمَا غَنِمَ وَإِنْ تَرَكَهُمَا حُرِمَ . لِأَنَّ التَّمَلُّقَ لِلْعَالِمِ
 يُظْهِرُ مَكْنُونَهُ (٣) عَلَيْهِ وَالتَّذَلُّلَ لَهُ سَبَبٌ لِإِدَامَةِ صَبْرِهِ .
 وَبِإِظْهَارِ مَكْنُونِهِ تَكُونُ الْفَائِدَةُ وَبِاسْتِدَامَةِ صَبْرِهِ يَكُونُ
 الْإِكْتِسَارُ . وَرَبَّمَا وَجَدَ بَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ قُوَّةً فِي نَفْسِهِ لِجُودَةِ

(١) من تعنته في السؤال إذا سأله على جهة التلبس عليه

(٢) توددًا وتلطفًا وتذللًا (٣) مخفي

ذَكَائِهِ وَحِدَّةِ خَاطِرِهِ فَقَصَدَ مَنْ يَعْلَمُهُ بِالْإِعْنَاتِ ^(١) لَهُ
وَالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ إِزْدِرَاءً لَهُ . فَيَكُونُ كَمَنْ تَقَدَّمَ فِيهِ الْمَثَلُ
السَّائِرُ لِأَبِي الْبَطْحَاءِ

أَعْلَمُهُ الرِّمَاطَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا أَشَدَّ سَاعِدُهُ رَمَانِي

الفصل الرابع

فِي آدَابِ الْمُعَلِّمِ وَأَخْلَاقِهِ

قَالَ عَلِيٌّ : يَنْبَغِي لِمَنْ وَوَلِيَ أَمْرَ قَوْمٍ أَنْ يَبْدَأَ بِتَقْوِيمِ
نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَشْرَعَ فِي تَقْوِيمِ رَعِيَّتِهِ . وَإِلَّا كَانَ بِمَنْزِلَةِ
مَنْ رَامَ اسْتِقَامَةَ ظِلِّ الْعُودِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَقِيمَ ذَلِكَ الْعُودُ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : لِيَتَجَنَّبَ الْعَالِمُ أَنْ يَقُولَ مَا لَا يَفْعَلُ
وَأَنْ يَأْمُرَ بِمَا لَا يَأْتِمُرُهُ ^(٢) وَأَنْ يُسِرَّ غَيْرَ مَا يُظْهِرُ . وَلَا
يَجْعَلُ عُدْرًا لَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ

إِعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

وَقَالَ آخَرٌ : يَنْبَغِي لِمَنْ عَلِمَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى نَفْسِهِ بِتَقْصِيرِ

(١) من أعنته اذا اوقعه فيما يشق عليه تحمله (٢) ائتمرا الامر اطاعه

وامثله اي عمل علي مثاله

مَا قَصَرَ فِيهِ لَيْسَلَمَ مِنْ عَجَبٍ مَا أَدْرَكَ مِنْهُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : لَوْ عَلِمَ الْعُلَمَاءُ بِمَوَاجِبِ الْعِلْمِ لَكَانَ
 التَّوَاضُعُ بِهِمْ أَوْلَى وَمَجَابِنَةُ الْعَجَبِ بِهِمْ أَحْرَى . لِأَنَّ الْعَجَبَ
 نَقْصٌ يُبَاقِي الْفَضْلَ . فَلَا يَنْبِي مَا أَدْرَكَهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ
 بِمَا لِحَقِّبِهِمْ مِنْ نَقْصِ الْعَجَبِ

وَكَانَ الْجَاحِظُ يَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ
 كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ . وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكْلِيفِ لِمَا
 لَا نُحْسِنُ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجَبِ بِمَا نُحْسِنُ . وَنَعُوذُ بِكَ
 مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ ^(١) وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْحَصْرِ
 وَقَالَ الْبُسْتِيُّ

إِذَا لَمْ يَزِدْ عِلْمُ الْفَتَى قَلْبَهُ هُدًى وَسِيرَتَهُ عَدْلًا وَأَخْلَاقَهُ حُسْنًا
 فَبَشِيرَةٌ أَنَّ اللَّهَ أَوْلَاهُ فِتْنَةٌ تَغْشِيهِ ^(٢) حُرْمَانًا وَتُوسِعُهُ حُزْنًا
 الْفَصْلُ الْخَامِسُ

فِي آدَابِ الْحَدِيثِ وَالْإِسْتِمَاعِ
 قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : حَدِّثُوا النَّاسَ مَا أَقْبَلُوا عَلَيْكُمْ
 بِوُجُوهِهِمْ

(١) طول اللسان (٢) من غشاه الامر اذا جعله يغشاه اي يغطيه

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ لِابْنِهِ : أَسْتَعِنَ عَلَى الْكَلَامِ .
 بِطُولِ الْفِكْرِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُو نَفْسَكَ إِلَى الْكَلَامِ .
 فَإِنَّ لِلْقَوْلِ سَاعَاتٍ يَضُرُّ خَطَاؤُهَا وَلَا يَنْفَعُ صَوَابُهَا .
 وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : الْكَلَامُ إِذَا طَالَ أُخْتَلَّ وَإِذَا أُخْتَلَّ
 أَعْتَلَّ . وَقِيلَ : مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ^(١) وَالْمِكْتَارُ كَمَا طَبِ اللَّيْلِ
 وَقَالَ مَوْفِقُ الدِّينِ البَغْدَادِيُّ : إِيَّاكَ الْغِلْظَةُ فِي الْخِطَابِ
 وَالْجَفَاءُ فِي الْمُنَازَرَةِ . فَإِنَّ ذَلِكَ يَذْهَبُ بِبَهْجَةِ الْكَلَامِ وَيُسْقِطُ
 فَائِدَتَهُ وَيَعْدِمُ حِلَاوَتَهُ وَيَجْلِبُ الضَّغَائِنَ وَيَعْتَقُ الْمَوَدَّاتِ .
 وَيُصَيِّرُ الْقَائِلَ مُسْتَقْللاً . سَكَوَتُهُ أَشْهَى إِلَى السَّامِعِ مِنْ
 كَلَامِهِ . وَيُثِيرُ النُّفُوسَ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَبْسُطُ الْأَلْسُنَ بِمُخَاشَنَتِهِ
 وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ .

وَفِي نَوَائِغِ الْحِكْمِ : أَكْرَمُ حَدِيثِ أَخِيكَ بِإِنْصَاتِكَ
 وَصَنُّهُ مِنْ وَصْمَةِ التَّفَاتِكِ .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : حَدَّثَ النَّاسَ مَا مَالُوا إِلَيْكَ
 بِأَسْمَاعِهِمْ وَخَطُّوكَ بِأَبْصَارِهِمْ . فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُمْ إِعْرَاضًا فَأَمْسِكْ .
 وَقَالَ بَعْضُهُمْ : نَشَاطُ الْقَائِلِ عَلَى قَدْرِ فَهْمِ السَّامِعِ .

(١) تكلم بالهذيان اي بغير معقول

وَمِنْ سَعَادَةِ النَّائِلِ أَنْ يَكُونَ الْمُسْتَمِعُ إِلَيْهِ فَرِيحًا
 وَقَالَ الشَّاعِرُ يَمْدَحُ قَوْمًا يُحْسِنُونَ الْحَادِثَةَ وَالِاسْتِمَاعَ
 إِذَا حَدَّثُوا لَمْ يَخْشَ سَوْءَ اسْتِمَاعِهِمْ .

وَإِنْ حَدَّثُوا قَالُوا بِحُسْنِ بَيَانٍ
 وَقَالَ أَحَدُ الظُّرَفَاءِ : ائْتَعُ الْإِخْوَانَ مَجْلِسًا وَأَكْرَمِهِمْ
 عِشْرَةً وَأَشَدَّهُمْ حِدْقًا وَأَنْبَهُمْ نَفْسًا مِنْ إِذَا حَدَّثَ أَصْفَى
 وَإِذَا حَدَّثَ أَصَابَ وَأَفَادَ . وَإِذَا هَزَلَ النَّسْرُ وَأَسْكَرَ . وَإِذَا
 جَدَّ هَيْبَ وَوَقَّرَ .

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ
 الْأَدَابِ بَحِيثٌ إِذَا حَدَّثَ يُحْسِنُ الْحَدِيثَ وَإِذَا حَدَّثَ يُحْسِنُ
 الْإِسْتِمَاعَ . وَإِذَا خُولِفَ تَرَكَ مُجَابَبَةَ اللَّئِيمِ . وَمُمَارَاةَ السَّفِيهِ
 وَمُنَازَعَةَ اللَّجُوجِ .

وَذَكَرَ قَوْمًا فَقَالَ : مَا رَأَيْتُ مِثْلَهُمْ أَشَدَّ تَنَاوُبًا فِي مَجْلِسٍ
 وَلَا أَحْسَنَ فَرِيحًا .

الفصل السادس

في آداب الزيارة

قالت الحكماء : المحبة شجرة أصلها الزيارة . والبغضة بنت الطبيعة وفرع الهجران

وقال أحد الأدباء : التزاور يؤدي إلى الموائمة .
والموائمة تؤدي إلى التحاب . والتحاب يؤدي إلى التعاون .
والتعاون يؤدي إلى الفلاح .

وقال الشاعر

زُرْ مَنْ تَحِبُّ وَإِنْ شَطَّتْ بِكَ الدَّارُ

وَحَالَ مِنْ دُونِهِ حَجَبٌ وَأَسْتَارُ

لَا يَمْنَعُكَ بَعْدَ مِنْ زِيَارَتِهِ

إِنَّ الْمَحِبَّ لِمَنْ يَهْوَاهُ زَوَّارُ

وكتب صديق إلى صديقه هذا البيت

إِذَا مَا نَقَاطَعْنَا وَنَحْنُ بِلَدَةٍ فَمَا فَضْلُ قُرْبِ الدَّارِ مِنَّا عَلَى البَعْدِ

وقال بعض العقلاء : الإكثار من الزيارة ممل والإقلال

منها محل

وَقَالَ الشَّاعِرُ

عَلَيْكَ بِإِغْبَابِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا

إِذَا كَثُرَتْ صَارَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكًا

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِمًا

وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

وَقَالَ ابْنُ الْوَرْدِيِّ

زُرْ وَعُدْ غِيَابًا تَزِدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ

وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ: أَقْصِدِ التَّوَسُّطَ فِي الزِّيَارَةِ فَإِنَّ تَقْلِيلَهَا

دَاعِيَةٌ الْهَجْرَانِ وَكَثْرَتُهَا سَبَبُ الْمَلَالِ

وَقَالَ لَبِيدٌ

تَوَقَّفْ عَنِ زِيَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ إِذَا أَكْثَرْتَ مَلَكَ مَنْ تَزُورُ

وَقَالَ آخَرُ

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقِ وَلَا تُطَلِّ

إِنَّ الصَّدِيقَ يَلْجُ فِي غَشِيَانِهِ^(٢) لَصَدِيقِهِ فَيَمِلُ مِنْ غَشِيَانِهِ

وَإِذَا تَوَانَى عَنِ صِيَانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تَنْقِصَ وَأَسْتَحْفِ بِشَانِهِ

وَكَتَبَ الْمَأْمُونُ إِلَى بَعْضِهِمْ يَسْتَدْعِيهِمْ لِلزِّيَارَةِ
 فَخَنُّ فِي أَفْضَلِ السُّرُورِ وَلَكِنْ لَيْسَ إِلَّا بِكُمْ يَتِمُّ السُّرُورُ
 عَيْبٌ مَا نَحْنُ فِيهِ يَا أَهْلَ وُدِّي أَنْكُمْ غَيْبٌ وَنَحْنُ حُضُورٌ
 فَأَجِدُوا فِي السَّيْرِ بَلَّ إِن قَدِرْتُمْ أَنْ تَطِيرُوا مَعَ الرِّيحِ فَطِيرُوا

الفصل السابع

في آفات اللسان

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : أَعْلَمُ أَنَّ اللِّسَانَ تَرْجَانٌ يُعْبَرُ عَنْ
 مُسْتَوْدَعَاتِ الضَّمَائِرِ وَيُخْبِرُ بِمَكْنُونَاتِ السَّائِرِ . لَا يُمَكِّنُ
 أَسْتِرْجَاعُ بَوَادِرِهِ وَلَا يُقَدِّرُ عَلَى رَدِّ شَوَارِدِهِ . فَحَقٌّ عَلَى
 الْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِزَ مِنْ زَلَلِهِ بِالْإِمْسَاكِ عَنْهُ أَوْ بِالْإِقْلَالِ مِنْهُ
 وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : مِنْ أَعْوَزِ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْعَاقِلُ أَنْ لَا
 يَتَكَلَّمَ إِلَّا لِلْحَاجَةِ .

وَمِنْ كَلَامِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ نَطَقَ فِي غَيْرِ خَيْرٍ فَقَدْ لَغَا (١) .
 وَمَنْ نَظَرَ فِي غَيْرِ أَعْتِبَارٍ فَقَدْ سَهَا . وَمَنْ سَكَتَ فِي غَيْرِ
 فِكْرٍ فَقَدْ لَهَا .

(١) اخطأ وقال باطلاً

وَقَالَ أَبُو عَثْمَانَ الْجَاحِظُ: لِلْكَلَامِ غَايَةٌ وَلِنَشَاطِ السَّامِعِينَ
نِهَايَةٌ . وَمَا فَضَّلَ عَنْ مِقْدَارِ الْأَحْتِمَالِ وَدَعَا إِلَى الْأَسْتِقَالِ
وَالْمَلَالِ فَذَلِكَ الْفَاضِلُ هُوَ الْهَذْرُ . لِأَنَّ الْإِكْتَارَ مِنْهُ وَإِنْ
كَانَ صَوَابًا يَمِلُّ السَّامِعُ وَيَكِلُّ الْخَاطِرُ . وَهُوَ صَادِرٌ عَنْ
إِعْجَابٍ . وَمَنْ أُعْجِبَ بِكَلَامِهِ أُسْتَرْسِلَ ^(١) فِيهِ . وَالْمُسْتَرْسِلُ

فِي الْكَلَامِ كَثِيرٌ أَنْزَلَ دَائِمُ الْعِثَارِ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ: عَيَّ تَسْلُمُ مِنْهُ خَيْرٌ مِنْ مَنْطِقِ
تَنْدَمُ عَلَيْهِ . فَاقْتَصِرْ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَقِيمُ حَاجَتَكَ وَيَبْلُغُ
حَاجَتَكَ . وَإِيَّاكَ وَفُضُولَهُ فَإِنَّهُ يُزِيلُ الْقَدَمَ وَيُورِثُ النَّدَمَ

وَقَالَ الشَّاعِرُ

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْثًا مُخِيرًا ^(٢)

وَقَالَ أَحَدُ الْمُعْقَلَاءِ: الْخُصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذْرِ لِأَنَّ الْخُصْرَ

يُضَعِفُ الْبُحَّةَ وَالْهَذْرَ يُتَلَفُ الْمَحَبَّةَ ^(٣) . وَقِيلَ: مَقْتَلُ الرَّجُلِ

بَيْنَ فِكَيْهِ

وَقَالَ أَبُو عَيْبَةَ اللَّهِ كَاتِبُ الْمُهَدِيِّ: كُنْ عَلَى النَّاسِ الْخَطِيئَةَ

(١) اتسع (٢) من اغار عليه اذا اوقع به اي بالغ في قتاله (٣) وسط

بِالسُّكُوتِ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى التَّمَسُّهِ بِالْكَلَامِ . إِنَّ الْبَلَاءَ
مَوْكَلٌ بِالْمَنْطِقِ

قِيلَ لِحَدِيثَةٍ : لِمَ أَطَلْتَ سَجْنَ^(١) لِسَانِكَ . فَقَالَ : لِأَنَّهُ غَيْرُ
مَأْمُونٍ الضَّرَرَ إِذَا أُطْلِقَ

الفصل الثامن

فِي التَّادِبِ بِالتَّجَارِبِ وَالْإِتْعَاطِ بِالعَوَاقِبِ
قَالَتِ الْحِكْمَاءُ : التَّفَكُّرُ نُورٌ وَالنَّفْلَةُ ظِلْمَةٌ وَالْجَهَالَةُ ضَلَالَةٌ
وَالْعِلْمُ حَيَاةٌ . وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بغيرِهِ وَالشَّقِيُّ مَنْ وَعِظَ
بِهِ غَيْرُهُ

وَقَالَ أَحَدُ العُقَلَاءِ : مَنْ أَعْتَبَرَ أَبْصَرَ وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَّ
وَمَنْ فَهَمَّ عِلِمَ

وَقَالَ آخَرُ : الْحَكِيمُ مَنْ رَأَى العِبَرَ فِي غَيْرِهِ فَاتَّعَظَ بِهَا
فِي نَفْسِهِ . وَقِيلَ : مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بغيرِهِ وَعَظَّ اللهُ بِهِ غَيْرُهُ
وَقَالَ بَعْضُ البُلَغَاءِ : التَّجْرِبَةُ مِرَاةُ العَقْلِ وَالغُرَّةُ^(٢)
ثَمَرَةُ الجُهْلِ

(١) من سجن لسانه اذا منعه عن الكلام (٢) الغفلة

وَقَالَ آخَرُ: الْأَيَّامُ تَهْتِكُ لَكَ الْأَسْتَارَ الْكَامِنَةَ فَاسْتَحْذِ
لَكَ عِبْرَةً مِنْ حَوَادِثِهَا الْبَادِيَةِ قَبْلَ أَنْ تَفْتِكَ بِكَ عَلَى حِينِ غِرَّةٍ
وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: دَوْلَةُ الْجَاهِلِ عِبْرَةٌ الْعَاقِلِ

وَقَالَ آخَرُ: مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ لَمْ تَنْفَعَهُ
الْمَوَاعِظُ . وَقِيلَ: مَنْ نَظَرَ فِي الْعَوَاقِبِ سَلِمَ مِنَ النَّوَائِبِ
وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ: لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ
وَلَمْ يُعَدَّ مِنَ الْعِجْنِ مَا أَدَبَكَ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُصَحَاءِ: الْعُقْلُ كَالسِّيفِ وَالتَّجْرِبَةُ كَالْمِسْنِ
وَقِيلَ: التَّجَارِبُ مَرَايِ الْغُيُوبِ وَنَوَاطِرُ الْعُيُوبِ
وَقَالَ بَعْضُ الصُّلَحَاءِ: لَنَا مِنْ كُلِّ مَيْتٍ عِظَةٌ بِجَالِهِ
وَعِبْرَةٌ بِمَالِهِ

وَوُجِدَ عَلَى قَبْرِ مَكْتُوبًا: قَهَرْنَا مِنْ قَهَرْنَا فَصِرْنَا لِلنَّاطِرِينَ
عِبْرَةً . وَمَنْ أَمَلَ الْبَقَاءَ وَقَدَّ رَأَى مَصَارِعَنَا فَهُوَ مَغْرُورٌ
وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ: إِيَّاكَ وَالْإِقْتِدَاءَ بِذَوِي الزَّلَّاتِ
وَأَصْحَابِ الْمَشَايِنِ (١) وَالْمَعَايِبِ فَإِنَّ الشَّبَهَ بِهِمْ يُوقِعُكَ فِي

وَرَطَّةٍ سَيِّئَةِ الْمَغْبَةِ وَبَيْلَةَ الْعُقْبَى . وَحَسْبُكَ رَادِعًا عَنْ مَسْلِكِهِمْ
 الدَّمِيمِ . مَا يُسَامُونَهُ مِنَ النَّكَبَاتِ الْقَاسِيَةِ وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ مِنْ
 سُوءِ الْمُنْقَلَبِ . وَكَفَى بِذَلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ أَبْصَرَ فَأَرْعَى
 وَنَظَرَ فَأَنْتَهَى (١)

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : الْعَاقِلُ تُوَدِّيهِ الْحِكْمَةُ وَتُحْكِمُهُ
 التَّجَارِبُ وَتَرُدُّعُهُ الْعَوَاقِبُ وَلَا تَغْرُهُ السَّلَامَةُ الْمُنْطَوِيَّةُ عَلَى
 الْهَلَكَةِ

وَأَنشَدَ الشَّاعِرُ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعُقْلَ زَيْنَ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ تَمَامُ الْعُقْلِ طَوْلُ التَّجَارِبِ
 وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ

وَإِنَّ أُمَّرًا قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ

تَقَلَّبَ عَصْرِيهِ لَغَيْرِ لَبِيبِ

وَمَا الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ إِلَّا كَمَا تَرَى

رَزِيئَةُ مَالٍ أَوْ فِرَاقُ حَبِيبِ

وَقَالَ آخَرُ

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ عِظَةٌ وَفِي التَّجَارِبِ تَحْكِيمٌ (٢) وَمُعْتَبَرٌ

(١) كف (٢) منع عن الفساد

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِنَّ لِلْبَاقِي بِالْمَاضِي مُعْتَبَرًا وَاللْآخِرِ
بِالْبَاقِي مُزْدَجَرًا . وَالسَّعِيدُ لَا يَرْكُنُ ^(١) إِلَى الْخُدَعِ وَلَا يَغْتَرُّ
بِالطَّمَعِ .

وَأَشَدُّ الْجَاحِظِ مُوَبِّحًا قَوْمًا لَا يَرْتَدِعُونَ عَنِ الْمُعَاصِي
وَأَيْسَ يَزْجُرُكُمْ ^(٢) مَا تُوعِظُونَ بِهِ
وَالْبِهِمِ ^(٣) يَزْجُرُهَا الرَّاعِي فَتَنْزَجِرُ

الفصل التاسع

فِي وُجُوبِ الْوَعْظِ وَخِصَالِ الْوَاعِظِ
قَالَ الْحَسَنُ : أَقْرَعُوا هَذِهِ النُّفُوسَ فَإِنَّهَا طَلَعَتْ ^(٤) . وَحَادِثُوهَا
بِالذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ . وَأَعْصُوهَا فَإِنَّهَا إِنْ أُطِيعَتْ
بَرَعَتْ فِي الشَّرِّ غَايَةً

وَقَالَ عُمَرُ : إِذَا رَأَيْتُمْ أَخَاكُمْ ذَا زَلَّةٍ فَقَوِّمُوهُ وَسَدِّدُوهُ ^(٥)
وَأَدْعُوا اللَّهَ أَنْ يَرْجِعَ بِهِ إِلَى التَّوْبَةِ فَيَتُوبَ عَلَيْهِ ^(٦) . وَلَا
تَكُونُوا أَعْوَانًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَخِيكُمْ

(١) يميل (٢) ينعكم (٣) جمع البهيم (٤) اي كثيرة النطلع
الى الشيء (٥) قوموه (٦) من تاب عليه اذا وفقه للتوبة اورجع عليه
بفضله وقبوله

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ تَمَّامٍ : الْمَوْعِظَةُ جُنْدٌ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ
تَعَالَى . وَمِثْلُهَا مِثْلُ الطَّيْنِ يُضْرَبُ بِهِ إِلَى الْخَائِطِ . إِنْ
اسْتَمْسَكَ نَفَعَ وَإِنْ وَقَعَ أَثَرَ .

وَكَتَبَ رَجُلٌ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ : أَمَا بَعْدُ فَعِظِ النَّاسَ
بِفِعْلِكَ وَلَا تَعْظِمُ بِقَوْلِكَ . وَأَسْتَعِجْ مِنْ اللَّهِ بِقَدْرِ قُرْبِهِ مِنْكَ
وَخَفَهُ بِقَدْرِ قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ وَالسَّلَامُ

وَقَالَ سُقْرَاطُ : لَا تَحْتِ غَيْرَكَ عَلَى فِعْلِ الْفَضَائِلِ مَا لَمْ
تُسْتَكْمَلْ فِيكَ . فَإِنَّ فِعْلَكَ تَحْتِ عَلَى الْمَحَاسِنِ أَكْثَرَ مِنْ
مَقَالِكَ

وَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : لَيْسَ الْحَكِيمُ الَّذِي يَلْقِنُكَ الْحِكْمَةَ تَلْقِينًا .
إِنَّمَا الْحَكِيمُ الَّذِي يَعْمَلُ الْعَمَلَ فَنَقْتَدِي بِهِ

وَقَالَ أَبُو هِشَامٍ : أَخَذُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ بِحَسَنِ الْأَدَبِ تَأْدِيبُهُ

لِأَهْلِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَلَاءِ : الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنَ الْقَلْبِ
وَقَعَتْ فِي الْقَلْبِ . وَإِذَا خَرَجَتْ مِنَ اللِّسَانِ لَمْ تُجَاوِزِ
الْأَذَانَ

وَقَالَ آخِرُ: خَيْرُ الْمَوْعِظَةِ مَا كَانَتْ مِنْ قَائِلٍ مُخْلِصٍ
إِلَى سَامِعٍ مُنْصِفٍ

وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ
يُحِبُّونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَى عِبَادِهِ وَيَعْمَلُونَ فِي الْأَرْضِ نُصْحًا
وَقَالَ عُمَرُ: صَاحِبُ الْحَاجَةِ أَبْلُهُ لَا يُرْشِدُ إِلَى صَوَابٍ
فَلْتَنُوا أَخَاكُمْ وَسَدِّدُوهُ

وَقَالَ سُلَيْمَانُ الْخَوَاصُّ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
فِيهِ نَصِيحَةٌ . وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ^(١) فَإِنَّمَا بَكَتَهُ
وَقَالَتْ أُمُّ الدَّرْدَاءِ: مَنْ وَعَظَ أَخَاهُ سِرًّا فَقَدْ سَرَّهُ
وَزَانَهُ . وَمَنْ وَعَظَهُ عَلَانِيَةً فَقَدْ سَاءَهُ وَشَانَهُ
وَقَالَ عَدِيٌّ

وَنَفْسِكَ فَأَحْفَظْهَا مِنَ الْغِيِّ وَالرَّدَى
مَتَى تَغْوَهَا ^(٢) تَغْوِ الَّذِي بِكَ يَقْتَدِي
وَوَقَّفَ رَجُلٌ عَلَى ابْنِ عَيْبَةَ وَهُوَ يَعِظُ النَّاسَ فَقَالَ
وَعَيْرِ تَقِيٍّ يَا مَرُ النَّاسِ بِالتَّقِيِّ طَبِيبٌ يَدَاوِيهِ وَالطَّبِيبُ مَرِيضٌ

(١) جمع الشاهد (٢) تضلها

الفصل العاشر

فِي خِصَالِ النَّاصِحِ وَالْمُسْتَشِيرِ وَالْمُسْتَشَارِ
 قَالَ عَلِيٌّ : أَنْظِرْ إِلَى مَنْ يَنْصَحُ لَكَ فَإِنْ دَخَلَ مِنْ
 حَيْثُ يُضَارُ^(١) النَّاسُ فَلَا تَقْبَلْ نَصِيحَتَهُ . وَإِنْ دَخَلَ مِنْ
 حَيْثُ الْعَدْلُ وَالصَّلَاحُ فَأَقْبَلْهَا مِنْهُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ : أَحْذَرُ مَشُورَةَ
 الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا كَمَا تَحْذَرُ عِدَاوَةَ الْعَاقِلِ إِذَا كَانَ
 عَدُوًّا . فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُورِطَكَ^(٢) بِمَشُورَتِهِ فَيَسُوقَ إِلَيْكَ
 مَكْرَ الْعَاقِلِ وَتَوْرِيطَ الْجَاهِلِ

وَقَالَ قَيْسُ بْنُ لَابِنَةَ : لَا تُشَاوِرْ مَشْغُولًا وَإِنْ كَانَ حَازِمًا
 وَلَا جَائِعًا وَإِنْ كَانَ فَهِيمًا . وَلَا مَدْعُورًا وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا .
 وَلَا مَهْمُومًا وَإِنْ كَانَ فَطِنًا . فَالْهَمْ يُعْقِلُ^(٣) الْعَقْلَ وَلَا يَتَوَلَّدُ
 مِنْهُ رَأْيٌ وَلَا تَصْدُقُ مِنْهُ رَوِيَّةٌ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لَا تُدْخِلْ فِي مَشُورَتِكَ بُخَيْلًا فَيُقَصِّرَ
 فِعْلَكَ . وَلَا جَبَانًا فَيُخَوِّفَكَ . وَلَا حَرِيصًا فَيَعِدَكَ مَا لَا يُرْتَجَى

(١) يضر (٢) يوقعك في ورطة اي في هلكة وشدة (٣) يقيد

فَالْحَبِينُ وَالْبَجَلُ وَالْحَرِصُ طَبِيعَةٌ وَاحِدَةٌ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ

وَلَا مُشِيرٌ كَذِي نُصْحٍ وَمَقْدَرَةٌ

فِي مُشْكَلِ الْأَمْرِ فَاخْتَرْتُ ذَاكَ مُتَّصِحًا

وَكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: رَأَى الشَّيْخُ أَحْسَنُ مِنْ جَلْدِ الْغَلَامِ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ: لَا تُشِيرَنَّ عَلَيَّ مُعْجِبٌ وَلَا مُتَلَوِّنٌ

وَوَخَفَ اللَّهُ مِنْ مُوَافَقَةِ هَوَى الْمُسْتَشِيرِ

وَقَالَ يَحْيَى: لَا تُشِيرَنَّ عَلَيَّ عَدُوُّكَ وَصَدِيقُكَ إِلَّا بِالنَّصِيحَةِ

فَالصَّدِيقُ يَقْضِي بِذَلِكَ حَقَّهُ وَالْعَدُوُّ يَهَابُكَ إِذَا رَأَى صَوَابَ

رَأْيِكَ

إِسْتَشَارَ مُعَاوِيَةَ الْأَحْنَفَ فِي بَيْعَةِ^(١) يَزِيدَ فَقَالَ الْأَحْنَفُ:

أَنْتَ أَعْلَمُ بِلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ وَسِرِّهِ وَإِجْهَارِهِ . فَإِنْ كُنْتَ تَعَلَّمَهُ

لِلَّهِ رِضَى وَلِلْأُمَّةِ صَلَاحًا فَلَا تُشَاوِرْ فِيهِ أَحَدًا . وَإِنْ كُنْتَ

تَعَلَّمُ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا تُزَوِّدُهُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ صَائِرٌ^(٢) إِلَى الْآخِرَةِ .

وَإِنَّمَا عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

الفصل الحادي عشر

في الاعتدال

قال الماوردي: الفضائل هيأت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما أن الخير توسط بين رذيلتين . فإجازة التوسط خرج عن حد الفضيلة . فالحكمة واسطة بين الشر والجهالة . والشجاعة واسطة بين النعم والجبن . والعفة واسطة بين الشر وضعف الشهوة . والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب . والغيرة واسطة بين الحسد وسوء العادة . والظرف واسطة بين الخلاعة والعرامة ^(١) . والتواضع واسطة بين الكبر ودناءة النفس . والسخاء واسطة بين التبدير والتقتير ^(٢) . والحلم واسطة بين إفراط الغضب وعدمه . والموودة واسطة بين الخلابية ^(٣) وحسن الخلق . والحياء واسطة بين الفحمة والحقد . والوقار واسطة بين الهزء والسخافة ^(٤)

(١) البطر والخروج عن الحد والفساد (٢) التضييق في النفقة

(٣) الخداع بالمنطق واللسان وامالة القلب بالطف الاقوال (٤) رقة العقل

وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا ثَلَاثُ طَبَقَاتٍ : جِيدٌ
 وَوَسَطٌ وَرَدِيٌّ . فَأَلْوَسَطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَجْوَدُ .
 وَقِيلَ : الْفُلُورُ^(١) فِي الْعُلُورِ مُؤَدِّ إِلَى الضَّعَةِ

وَفِي كِتَابِ كَلِيلَةِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ
 حَدًّا يُوقَفُ عَلَيْهِ . وَمَنْ تَجَاوَزَ فِي الْأَشْيَاءِ حَدَّهَا أَوْشَكَ
 أَنْ يَلْحَقَهُ التَّقْصِيرُ عَنْ بُلُوغِهَا . وَالْمُتَجَاوِزُ الْحَدَّ وَالْمُقْصِرُ
 عَنْهُ سِيَانٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ . لِأَنَّ كِلَيْهَا زَائِعٌ عَنْهُ فِي الْحَالَيْنِ
 جَمِيعًا

وَقَالَ أَحَدُ الْمُقْلَاءِ : مَنْ أَسْتَكْتَرَ مِنَ الْأَعْمَالِ لَمْ يَنْهَضْ
 بِدَوَامِهَا وَلَا يَقْدِرُ عَلَى اتِّصَالِهَا . لِأَنَّ الْأَسْتِكْتَارَ مِنَ الزِّيَادَةِ
 إِمَّا أَنْ يَمْنَعَ مِنْ آدَاءِ الْأَلْزِمِ . فَلَا يَكُونُ إِلَّا تَقْصِيرًا .
 وَإِمَّا أَنْ يُعْجِزَ عَنِ اسْتِدَامَةِ الزِّيَادَةِ فَيُوقِعَ فِي الْمَلَلِ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : قَلِيلُ الْعَمَلِ فِي طَوِيلِ الزَّمَانِ أَفْضَلُ
 مِنْ كَثِيرِ الْعَمَلِ فِي قَصِيرِ الزَّمَانِ . لِأَنَّ الْمُسْتَكْتَرَ مِنَ
 الْعَمَلِ فِي الزَّمَانِ الْقَصِيرِ قَدْ يَعْمَلُ زَمَانًا وَيَتْرُكُ زَمَانًا . وَالْمُقْلِلُ

فِي الزَّمَانِ الطَّوِيلِ مُسْتَيْقِظُ الْأَفْكَارِ مُسْتَدِيمُ التَّذْكَارِ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ

مَا جَاوَزَ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا

إِلَّا تَخَوَّنَهُ ^(١) النُّقْصَانُ مِنْ طَرَفِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: عِنْدَ التَّمَامِ يَكُونُ النُّقْصَانُ وَيَقْدِرُ

السُّمُورُ فِي الرَّفْعَةِ تَكُونُ وَجِبَةً ^(٢) الْوَقْعَةِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى

إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَأَ نَقْصُهُ تَوَقَّعَ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ

قَالَ الْمَأْمُونُ لِأَحْمَدَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ: رَأَيْتُ أَنَّ

أَسْتَوِزِرَكَ ^(٣) فَقَالَ: إِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ يُعْفِيَنِي

وَيَجْعَلُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْغَايَةِ مَنْزِلَةً يَرْجُوَنِي إِلَيْهَا الْمَوْلَى وَيَخْشَانِي

لَهَا الْعُدُوُّ. فَمَا بَعْدَ الْغَايَاتِ إِلَّا الْأَفَاتُ

وَقَالَ مُطَرَفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لِابْنِهِ وَكَانَ قَدْ تَعَبَدَ:

يَا بُنَيَّ إِنَّ الْحَسَنَةَ بَيْنَ السَّيِّئَتَيْنِ . يَعْنِي أَنَّ الدِّينَ بَيْنَ

الْإِفْرَاطِ وَالتَّقْصِيرِ . وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا

(١) تنقصه (٢) الوجبة السقطة مع الهدية او صوت الساقط (٣) اجعلك

أَنْفَصِلُ الثَّانِي عَشَرَ

فِي مَعْرِفَةِ النَّفْسِ وَجَهْلِهَا قَدْرَهَا

قَالَ الشَّافِعِيُّ : أَنْفَعُ الْأَشْيَاءِ أَنْ يَعْرِفَ الرَّجُلُ قَدْرَ
مَنْزِلَتِهِ وَمَبْلَغَ عَقْلِهِ ثُمَّ يَعْمَلَ بِحِسْبِهِ

وَقَالَ عَلِيُّ : مَا هَلَكَ أَمْرٌ بِهِ عَرَفَ قَدْرَهُ

وَقَالَ أَبُو عَلِيٍّ الْوَرَّاقُ : آفَةُ النَّاسِ قَلَّةٌ مَعْرِفَتِهِمْ بِقَدْرِ

أَنْفُسِهِمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبَلَّغَاءِ : جَهْلُ الْمَرْءِ بِعَيْبِهِ مِنْ أَكْبَرِ
ذُنُوبِهِ

وَقَالَ الْمَتَنِيُّ

وَمَنْ جَهَلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهَا رَأَى غَيْرَهُ مِنْهُ مَا لَا يَرَى

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : أَفْضَلُ الْمَعْرِفَةِ مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ

نَفْسَهُ . وَأَفْضَلُ الْعِلْمِ وَقُوفُ الْمَرْءِ عِنْدَ عِلْمِهِ . وَأَفْضَلُ

الْمَرْوَةِ اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءً وَجْهَهُ

وَقَالَ عَلِيُّ : مَنْ اسْتَيْبَى مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَيْبِ مِنْ نَفْسِهِ

فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ

فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ • وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ : مَنْ أَرَادَ اللَّهُ
بِهِ خَيْرًا عَرَفَهُ عِيُوبَ نَفْسِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَّيَاءِ : يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ لَا يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ
مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا • وَلَآنَ يَكُونُ بِهَا
مُقَصِّرًا فَيُذْعَنُ بِالْإِنْقِيَادِ أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ
عَنِ الْإِزْدِيَادِ • لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ
وَقَالَ سُقْرَاطُ : لِأَشْيَاءَ أَضُرُّ بِالْإِنْسَانِ مِنْ رِضَاةٍ عَنْ
نَفْسِهِ • فَإِنَّهُ إِذَا رَضِيَ عَنْهَا أَكْتَفَى بِالْيُسَيْرِ فَفَاتَهُ كُلُّ خَطِيرٍ •
وَقَالَ آخَرُ : مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ سَخِطَ النَّاسُ عَلَيْهِ
وَقَالَ لُقْمَانُ : لَا تَدْعِ النَّظَرَ فِي مَسَاوِيكَ كُلِّ وَقْتٍ •
لِأَنَّ تَرَكَ ذَلِكَ تَقْصُرُ مِنْ مَحَاسِنِكَ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : كُنْ فِي الْحِرْصِ عَلَى تَفَقُّدِ عِيُوبِكَ
كَعَدْوِكَ • وَلَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرَى الْقَذَى فِي عَيْنِ أَخِيهِ وَلَا يَرَى
الْجِدْعَ ^(١) الْمُعْتَرِضَ فِي حَدَقِ ^(٢) نَفْسِهِ

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : أَنْتَ لَا تَرَى عَيْبَ نَفْسِكَ • فَسَلْ

(١) ساق النخلة (٢) جمع حدقة وهي سواد العين الاعظم

مَنْ تَثَقَّ بِعَقْلِهِ وَنَضَحَهُ بِعَرَفِكَ
 وَقِيلَ لِبِزْرِ جَهْمَرٍ: أَيُّ الْعُيُوبِ أَعْظَمُ . قَالَ: قَلَّةٌ مَعْرِفَةٌ
 الْمَرْءِ نَفْسُهُ

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: مَا أَصْعَبُ شَيْءٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
 قَالَ: أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ وَيَكْتُمَ الْأَسْرَارَ
 وَكَانَ قَسُ بْنُ سَاعِدَةَ يَقْدُ عَلَى قَيْصَرَ زَائِرًا فَبَكَرَتْهُ
 وَيُعْظِمُهُ . فَقَالَ لَهُ قَيْصَرٌ: مَا أَفْضَلُ الْعِلْمِ . قَالَ: مَعْرِفَةُ
 الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ . قَالَ: وَمَا أَفْضَلُ الْعَقْلِ . قَالَ: وَقُوفُ الْمَرْءِ
 عِنْدَ عِلْمِهِ

الفصل الثالث عشر

فِي الْحَثِّ عَلَى إِكْرَامِ النَّفْسِ وَعِزَّتِهَا
 قَالَ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ: الْمَرْءُ حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ إِنْ
 صَانَهَا أَرْتَفَعَتْ وَإِنْ قَصَرَهَا أُنْضَعَتْ

وَقَالَ عَلِيٌّ: قِيمَةُ كُلِّ إِنْسَانٍ مَا يُحْسِنُ
 وَقَالَ آخَرٌ: مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاهُ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَبَاءِ: مَوْتُ فِي دَوْلَةٍ وَعِزٌّ خَيْرٌ مِنْ

حَيَاةٍ فِي ذِلَّةٍ وَعَجْزٍ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ رَضِيَ مِنْ نَفْسِهِ بِالْإِسَاءَةِ شَهِدَ عَلَيَّ

أَصْلُهُ بِالرَّدَاءَةِ

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : أَبِي النَّفْسِ يَشْتَرِي بِالْمَعْرُوفِ عَرْضَهُ

مِنَ الْأَذَى . فَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَهُ فَاَنْفَقَهَا صِيَانَةً لِنَفْسِهِ لَأَسْقَلَهَا

وَأَنشَدَ الْأَوْزَاعِيُّ

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يُجْعَلُ نَفْسُهُ

فَقِي صَالِحِ الْأَعْمَالِ نَفْسَكَ فَأَجْعَلِ

وَقَالَ حَاتِمٌ

وَنَفْسَكَ أَكْرَمَهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهِنُ

عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرَمًا

وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ

لَيْسَتْ مِنْ الْحَوَادِثِ كُلِّ ثَوْبٍ سِوَى ثَوْبِ الْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُوسِ

إِذَا مَا أَهِنَتِ النَّفْسَ لَمْ تَكُ مُكْرَمًا

لَهَا بَعْدَ مَا عَرَّضْتَهَا لِهَوَانِ

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ إِبرَاهِيمَ الْبَصْرِيُّ يَفْتَخِرُ بِعِزَّةِ نَفْسِهِ
 وَكَمِ مَلَائِكِ جَانِبَتَهُ عَنْ كَرَاهَةِ إِغْلَاقِ بَابِ أَوْ التَّشْدِيدِ حَاجِبِ
 وَلِي فِي غَنِي نَفْسِي مُرَادٌ وَمَذْهَبٌ إِذَا انصَرَفَتْ عَنِّي وَجُوهُ الْمَذَاهِبِ

الفصل الرابع عشر

فِي ذَمِّ سَفَالَةِ النَّفْسِ وَدَنَاءَتِهَا
 قَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : السَّافِلُ هُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي بِمَا يَقُولُ
 وَبِمَا يُقَالُ لَهُ . وَلَا يَعِيبُهُ مَا ضَنَّعَ لَهُ وَلَا يَخْجَلُ مِمَّا يَصْنَعُ
 وَقَالَ آخَرُ : دَنِي النَّفْسِ لَا يَسْتَحِي مِنَ الشَّرِّ وَلَا يَحِبُّ أَنْ
 يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ . وَلَا يَقَعِدُ مَقْعِدًا إِلَّا حُرِّمَتِ الزَّاهَةُ
 فِيهِ . وَلَوْ أَفَلَّتْ كَلِمَةٌ سَوْءٌ لَمْ تُضْمَ إِلَّا إِلَيْهِ وَلَوْ نَزَلَتْ
 لَعْنَةٌ لَمْ تَقَعْ إِلَّا عَلَيْهِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ

أَحَقُّ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا بَعِيبٌ مُسِيءٌ لَا يُبَالِي أَنْ يُعَابَا
 وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ : اللَّئِيمُ يَهُونُ عَلَيْهِ عِظَامُ الذُّنُوبِ وَيَحْسُنُ
 فِي عَيْنِهِ قِبَاحُ الْعُيُوبِ . وَلَوْ كَانَ فِي بَنِي آدَمَ سِبَاخٌ إِنَّهُ لَمَنْ
 سِبَاخِهِمْ

وَقَالَ آخِرُ: الْخَسِيسُ أَقْلُ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِ وَأَكْثَرُهُمْ
 تَجَرُّوًا عَلَى أَصْدِقَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . عَدُوَّهُ بِمَعَزِلٍ عَنْهُ وَصَدِيقُهُ
 عَلَى وَجَلٍ مِنْهُ . إِنْ شَهِدَ عَافَهُ ^(١) وَإِنْ غَابَ عَنْهُ خَانَهُ
 وَذَمَّ الْمُرِيَّ قَوْمًا لِنَمَائِهِ فَقَالَ
 قَوْمٌ إِذَا خَرَجُوا مِنْ سَوَاءٍ وَجَلُّوا
 فِي سَوَاءٍ لَمْ يُحِبُّوْهَا بِأَسْتَارِ
 وَقَالَ أَبُو الْهَدَاهِدِ الْأَصْفَهَانِيُّ
 لَهُمْ عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ حِجَابٌ فَقَدَّرَ كَوَا الْمَكَارِمِ وَأَسْتَرَا حُوا
 وَقَالَ الْبَزَازِيُّ يَذُمُّ لَيْثًا
 يَدَاكَ يَدٌ تَطُولُ إِلَى الْمَخَازِي وَعَنْ طَلَبِ الْعُلَى أُخْرَى قَصِيرَةٌ
 وَقَالَ الطَّرِمَاحُ يَهْجُو قَبِيلَةَ تَمِيمٍ
 تَمِيمٌ بِطُرُقِ اللُّؤْمِ أَهْدَى مِنْ الْقَطَا ^(٢)
 وَلَوْ سَلَكْتَ سَبِيلَ الْمَكَارِمِ ضَلَّتْ

(١) كرهه (٢) جمع القطاة وهي طائر في حجم الحمام

الفصل الخامس عشر

فِي مَضَارِّ مَدْحِ النَّفْسِ وَالْإِغْتِرَارِ بِالْمُدَاهَنَةِ
 قَالَ عَلِيٌّ: إِذَا فَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ فَكُنْ كَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا.
 وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحْمَدَ فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ
 وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَضْبُطَ نَفْسَهُ وَيَمْنَعَهَا
 مِنْ تَصْدِيقِ الْمَدْحِ لَهَا. فَإِنَّ لِلنَّفْسِ مِيلًا لِحُبِّ الثَّنَاءِ وَسَمَاعِ
 الْمَدْحِ. كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

يَهْوَى الثَّنَاءَ مَبْرَزٌ ^(١) وَمَقْصِرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ: رُبَّمَا آلَ حُبُّ الْمَدْحِ لِصَاحِبِهِ إِلَى
 أَنْ يَصِيرَ مَادِحَ نَفْسِهِ. إِمَّا لِتَوَهُُّمِهِ أَنَّ النَّاسَ قَدْ غَفَلُوا عَنْ
 فَضْلِهِ وَأَخْلَوْا ^(٢) بِحَقِّهِ. وَإِمَّا لِتَلَذُّذِهِ بِسَمَاعِ الثَّنَاءِ كَمَا يَتَغَنَّى
 بِنَفْسِهِ طَرِبًا إِذَا لَمْ يَسْمَعْ صَوْتًا مُطْرِبًا وَلَا غِنَاءً مُمْتَعًا
 وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ

وَمَا شَرَفٌ أَنْ يَمْدَحَ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَلَكِنْ أَعْمَالًا تُذَمُّ وَتُمدَحُ
 وَمَا كُلُّ حِينٍ يَصْدُقُ الْمَرْءُ ظَنَّهُ وَلَا كُلُّ أَصْحَابِ التِّجَارَةِ يَرْبُحُ

(١) المبرز الذي يفوق أصحابه فضلا او شجاعة (٢) ذهبوا واجحفوا وهضموا

وَقَالَ آخَرُ يَعِيبُ رَجُلًا غَرَّهُ كَلَامُ مَادِحِهِ

يَا جَاهِلًا غَرَّهُ إِفْرَاطُ مَادِحِهِ

لَا يَغْلِبُنْ جَهْلٌ مَنْ أَطْرَاكَ عِلْمَكَ بِكَ

أَنْتَى وَقَالَ بِلَا عِلْمٍ أَحَاطَ بِهِ

وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَحْضُولِ مِنْ رَبِّكَ (١)

وَقَالَ بَعْضُ الْفُضَحَاءِ : إِذَا سَامَحَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ فِي مَدْحِ

الْصَّبُورَةِ وَتَابَعَهَا عَلَى هَذِهِ الشَّهْوَةِ تَشْغَلُ بِهَا عَنِ الْفَضَائِلِ

الْمَمْدُوحَةِ وَلَهَا بِهَا عَنِ الْحَاسِنِ الْمَمْنُوحَةِ . فَصَارَ الظَّاهِرُ

مِنْ مَدْحِهِ كَذِبًا وَالْبَاطِنُ مِنْ ذِمِّهِ صِدْقًا . وَعِنْدَ تَقَابُلِهَا

يَكُونُ الصِّدْقُ الزَّمَّ الْأَمْرَيْنِ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : إِنَّ الْمُتَقَرَّبَ بِالْمَدْحِ يُسْرِفُ مَعَ

الْقَبُولِ وَيَكْفُ مَعَ الْإِبَاءِ . فَلَا يَغْلِبُكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِهِ عَلَى

تَصْدِيقِ مَدْحِ أَنْتَ أَعْرَفُ بِحَقِيقَتِهِ . وَلَتَكُنْ تِهْمَةُ الْمَادِحِ

أَغْلَبَ عَلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِهِ . فَقَبْلَ مَدْحِ كَانَ جَمِيعُهُ صِدْقًا وَقَبْلَ

تَنَائِهِ كَانَ كُلُّهُ حَقًّا . وَلِذَلِكَ كَرِهَ أَهْلُ الْفَضْلِ أَنْ يُطْلَقُوا

السُّنَنُ بِالثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ تَحْرُزًا مِنَ التَّجَاوُزِ فِيهِ وَتَنْزِيهًا عَنِ
التَّمَاقُ بِهِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ • السَّلَامَةُ مِنَ الْكُذِبِ فِي الْمَدْحِ
وَالنَّمِّ مُتَعَدِّرَةٌ وَلَا سِيَّاءَ إِذَا مَدَحَ الْمَرْءُ نَقْرَبًا وَذَمَّ تَسْخُطًا
سَمِعَ ابْنُ الرُّومِيِّ رَجُلًا يَصِفُ آخَرَ وَيَبَالِغُ فِي مَدْحِهِ
فَأَنشَأَ يَقُولُ

إِذَا مَا وَصَفْتَ أُمَّرَةً لِأَمْرِيءٍ فَلَا تَغْلُ^(١) فِي وَصْفِهِ وَأَقْصِدِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تُقِلُّ الظُّنَّ فِيهِ إِلَى الْأَمْدِ^(٢) الْأَبْعَدِ
فَيَضُولُ^(٣) مِنْ حَيْثُ عَظَمَتْهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهُدِ
قِيلَ لِأَفْلَاطُونٍ : مَا الشَّيْءُ الَّذِي لَا يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ وَإِنْ
كَانَ حَقًّا • قَالَ : مَدْحُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ أُمَّرَةً أَهْدَى الْبِنَا
مَسَاوِينَا

(١) لا تجاوز الذاية والحد (٢) الغاية (٣) بصغر ويحقر

الفصل السادس عشر

في النهي عن اتباع الهوى

قالت الحكماء : من أطاع هواه باع دينه ودنياه

وقال أحد الفضلاء : من جهل المرء أن يعصي ربه في

طاعة هواه . ويهين نفسه في إكرام دنياه

وقال أحد الأدباء : لا تنال ما تحب إلا بالصبر على ما

تكره . ولا تبلغ ما تهوى إلا بترك ما تشتهي

وقال أبو الفتح البستي

إذا طالتك النفس يوماً بشهوة

فخالف هواها ما استطعت فإنما

وقال آخر

صاحب الشهوة عبد فإذا غلب الشهوة صار الملكا

وقال علي : ثلاث مهلكات وثلاث منجيات . فأما المهلكات

ففسح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وأما

المنجيات فخشية الله في السر والعلانية . والقصد في الغنى

والفقر . والعدل في الرضى والغضب

وَقَالَ أَحَدُ الْبُلْغَاءِ : أَنْظِرْ إِلَى مَا تَسُوهُ عَاقِبَتُهُ فَوَطِّنْ
نَفْسَكَ عَلَى مُجَابَّتِهِ • فَإِنَّ تَرَكَ النَّفْسَ وَمَا تَهْوَى دَاوُهَا وَتَرَكَ
مَا تَهْوَى دَاوُهَا

وَقَالَ آخَرُ : حَبِّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي عَنِ الرَّشْدِ وَيُصِمُّ عَنِ
الْمَوْعِظَةِ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُصَحَاءِ : الْهُوَى يَصُدُّ عَنِ الْخَيْرِ وَيُرْغَبُ فِي
الشَّرِّ • وَيَنْتِجُ الْأَخْلَاقَ الْقَبِيحَةَ وَالْأَفْعَالَ الذَّمِيمَةَ وَيَهْتِكُ
سِتْرَ الْمَرْوَةِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : مَا أَصْعَبَ عَلَى مَنْ اسْتَعْبَدَتْهُ الشَّهَوَاتُ أَنْ
يَكُونَ فَاضِلًا

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهُوَى قَادَكَ الْهُوَى
إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ

وَقَالَ آخَرُ
قَدْ يَدْرِكُ الْحَازِمُ ذُو الرَّأْيِ الْمُنَى
بِطَاعَةِ الْحَزْمِ وَعَصِيَانِ الْهُوَى

وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : الْعَاجِزُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ قَهْرِ نَفْسِهِ
وَتَأْدِيبِهَا وَالْوُقُوفِ بِهَا عِنْدَ حَدِّهَا . وَقَالَ آخَرُ : لَا يَنْبَغِي
لِرَيْسٍ أَنْ يَطْلُبَ طَاعَةَ غَيْرِهِ وَطَاعَةَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ مُمْتَنِعَةٌ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَانظُرْ
أَيُّهُمَا أَقْرَبُ مِنْ هَوَاكَ فَخَالِفْهُ فَالصَّوَابُ فِي مُخَالَفَةِ الْهَوَى
وَقَالَ آخَرُ : إِنْ قَدِمْتَ هَوَاكَ عَلَى عَقْلِكَ لَمْ تُصِبْ رُشْدًا
فِي حَيَاتِكَ وَلَا أَمْنًا بَعْدَ وَفَاتِكَ .

وَجَاءَ فِي الْأَمْثَالِ : مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا سَاءَ

وَأَنشَدَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْهَوَانَ هُوَ الْهَوَى جُزْمَ اسْمِهِ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانًا
وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : إِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةٌ بِالسُّوءِ . وَالْهَوَى

إِلَهٌ مَعْبُودٌ

وَقَالَ عَلِيٌّ : أَخَافُ عَلَيْكُمْ اثْنَيْنِ : اتِّبَاعَ الْهَوَى وَطُولَ
الْأَمَلِ . فَإِنَّ اتِّبَاعَ الْهَوَى يَصُدُّ عَنِ الْحَقِّ وَطُولَ الْأَمَلِ
يُنْسِي الْآخِرَةَ . وَفِي مَثُورِ الْحِكْمِ : مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ أَعْطَى عَدُوَّهُ
مُنَاهُ وَقِيلَ : سُلْطَانٌ مِنَ الْمَلِكِ الْهَوَى فَوْقَ سُلْطَانٍ مِنَ مَلِكِ الدُّنْيَا

الفصل السابع عشر

في التيقظ والتبصر في الأمور والتفكير في العواقب
قال المنصور لولده: خذ عني اثنين: لا تقل في غير تفكير

ولا تعمل بغير تدبير

وقال أحد الحكماء: من فعل بغير تدبير وقال بغير تقدير

لم يعد من الناس هازئاً أو لاجئاً^(١)

وقال أحد الأدباء: من أمارات الحكيم التروي في الجواب

بعد استيعاب الفهم . ومن أمارات الأحمق سرعة الجواب

وطول التمني والتعلل بما لا يكون

وقال أحد البلغاء: من أيقظ نفسه وألبسها لباس التحفظ

ألبس عدوه من كيدِهِ وقطع عنه أطاع الماكرين به

وقال بعض الفصحاء: اليقظة حارس لا ينام وحافظ لا

يغفل . فمن تدرع بها أمن من الجور والقدر والكيد والمكر

وقال عمر بن الخطاب: من ولي أمور العباد ينبغي له أن

يتطلع على صغير أمورهم وكبيرها فإنه عنها مسؤول . ومتى

(١) لائماً وطائياً (٢) دلائل وعلامات

غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ
 وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : غَفْلَةُ الْقَلْبِ عَنِ الْحَقِّ مِنْ أَعْظَمِ
 الْعُيُوبِ وَأَكْبَرِ الذُّنُوبِ . وَلَوْ كَانَتْ آنَا مِنْ الْآنَاتِ
 أَوْ لَعِينَةً مِنَ اللَّحْمَاتِ . حَتَّىٰ إِنْ أَهْلَ الْقُلُوبِ عَدُوا الْغَافِلَ
 فِي أَنْ الْغَفْلَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَقِّ . وَكَمَا يُعَاقِبُ الْعَوَامُّ عَلَىٰ سِيَّاتِهِمْ .
 كَذَلِكَ يُعَاقِبُ الْخَوَاصُّ عَلَىٰ غَفْلَاتِهِمْ . فَاجْتَنِبِ الْإِخْتِلَاطَ
 بِأَصْحَابِ الْغَفْلَةِ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنْ زُمْرَةِ
 أَهْلِ الْكَمَالِ

وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ : مَنْ نَظَرَ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ سَلِمَ مِنْ
 آفَاتِ الدَّهْرِ وَتَبِعَاتِ الْغُرُورِ
 وَقَالَ أَحَدُ الْبُلْغَاءِ : مَنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي الْعَوَاقِبِ تَعَرَّضَ
 لِحَادِثَاتِ النَّوَائِبِ . وَقِيلَ : النَّظْرُ فِي الْعَوَاقِبِ نَجَاةٌ
 وَقَالَ أَحَدُ الْعُقَلَاءِ : الْفِكْرَةُ مِرَاةٌ تُرِيكَ الْحُسْنَائِ
 وَالسِّيَّاتِ . وَقَالَ آخَرُ : أَنْتِ الْعِشَارَ بِحُسْنِ الْإِعْتِبَارِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأُدْبَاءِ : مِنْ أَعْجَبِ الْأَشْيَاءِ جَاهِلٌ يَسْلَمُ
 بِالتَّهْوُرِ وَعَاقِلٌ يَهْلِكُ بِالتَّوَقِّي

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : إِنْ أَسْعَ لَكَ الْمَنْهَجُ (١) فَاحْذَرُ أَنْ

يَضِيقَ بِكَ الْخُرْجُ

وَقَالَ الشَّاعِرُ

وَإِذَا هَمَمْتَ بِوَرْدِ أَمْرِ فَالْتَمِسْ مِنْ قَبْلِ مَوْرِدِهِ طَرِيقَ الْمَصْدَرِ

قِيلَ إِنَّ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ تَطَلُّعًا فِي

خَفَايَا الْأُمُورِ . وَأَعْظَمَ خَلْقِ اللَّهِ فِي زَمَانِهِ تَفَحُّصًا وَبَحْثًا عَنْ

أَسْرَارِ الصُّدُورِ . فَكَانَ يَبْتَثُ الْعِيُونَ (٢) عَلَى الرِّعَايَا وَالْجُؤَاسِيَسَ

فِي الْبِلَادِ لِيَقِفَ عَلَى حَقَائِقِ الْأَحْوَالِ وَيَطَّلِعَ عَلَى غَوَامِضِ

الْقَضَايَا . فَيَعْلَمَ الْمُفْسِدَ فَيُقَابِلُهُ بِالتَّأْدِيبِ وَالْمُصْلِحَ فَيَجَازِيهِ

بِالْإِحْسَانِ . وَكَانَ يَقُولُ : مَتَى غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ تَعْرِفِ ذَلِكَ

فَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ إِلَّا أَسْمُهُ وَسَقَطَتْ مِنَ الْقُلُوبِ هَيْبَتُهُ

وَلِيَ الْمَنْصُورُ الْخِلَافَةَ بَعْدَ أَخِيهِ السَّفَاحِ وَهِيَ فِي غَايَةِ

الْاضْطِرَابِ . فَنَصَبَ الْعِيُونَ وَأَقَامَ الْمُتَطَلِّعِينَ وَبَثَّ فِي الْبِلَادِ

وَالنَّوَاحِي مَنْ يَكْشِفُ لَهُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَالرِّعَايَا . فَاسْتَقَامَتْ

لَهُ الْأُمُورُ وَدَانَتْ (٣) لَهُ الْجِهَاتُ . وَلَقَدْ أَبْتَلَى فِي خِلَافَتِهِ بِأَقْوَامِ

(١) الطريق الواضح (٢) الرقباء (٣) ذلت واطاعت

نَازِعُوهُ وَأَرَادُوا خَلْعَهُ . فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعَانَهُ بِتَبْقِظِهِ
وَتَبَصُّرِهِ مَا ثَبَّتَ لَهُ فِي الْخِلَافَةِ قَدَمٌ . فَكَانَ يَتَلَقَّى الْمُعْذُورَ
بِدَفْعِهِ وَيُعَاجِلُ الْخُوفَ بِتَفْرِيقِ شَمْلِهِ قَبْلَ جَمْعِهِ . فَذَلَّتْ لَهُ
الرِّقَابُ وَلَانَتْ لَهُ الصِّعَابُ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ خِلَافَتِهِ وَأَحْكَمَهَا
بِأَوْثَقِ الْأَسْبَابِ

الفصل الثامن عشر

في الحزم والعزم

قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : الْعَاجِزُ مَنْ عَجَزَ عَنِ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ . وَالْحَازِمُ
مَنْ حَفِظَ مَا فِي يَدِهِ وَلَمْ يُؤَخِّرْ شُغْلَ يَوْمِهِ لِغَدِهِ
وَقَالَ آخَرُ : الْحَزْمُ أَسَدُ الْأَرَاءِ وَالْغَفْلَةُ أَضْرُ الْأَعْدَاءِ .
وَقِيلَ : مَنْ لَمْ يُقَدِّمَهُ حَزْمُهُ آخِرَهُ عَجِزُهُ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُصَحَاءِ : التَّوَانِي يُوجِبُ التَّضْيِيعَ . وَالْحَزْمُ
يُوجِبُ السُّرُورَ . وَالْحَذَرُ يُوجِبُ السَّلَامَةَ . وَإِصَابَةُ التَّدْبِيرِ
تُوجِبُ بَقَاءَ النِّعْمَةِ

وَقَالَ بَعْضُ الْعُقَلَاءِ : مَنْ ضَاعَ حَزْمُهُ سَاءَ تَدْبِيرُهُ
وَمَنْ سَاءَ تَدْبِيرُهُ كَثُرَ زَلَلُهُ . وَمَنْ كَثُرَ زَلَلُهُ أُسْتُوجِبَ

الذمَّ وَالْمَلَامَةَ . وَعَاشَ وَضَمَّ الْقَدْرَ خَامِلِ الذِّكْرِ
 وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْمَتَانِي فِي عِلَاجِ الْأَدَاءِ بَعْدَ أَنْ عَرَفَ
 الدَّوَاءَ كَالْمَتَانِي فِي إِطْفَاءِ النَّارِ وَقَدْ أَخَذَتْ بِجَوَاشِي ثِيَابِهِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ : الْعَجْزُ عَجْزَانِ : عَجْزٌ تَقْصِيرٌ وَقَدْ أَمَكَّنَ
 وَالْجُدُّ فِي طَلَبِهِ وَقَدْ فَاتَ

وَقَالَ الشَّاعِرُ

تَتَّبِعُ الْأَمْرَ بَعْدَ الْفَوْتِ تَعْرِيرٌ ^(١) وَتَرَكُهُ مُقْبِلًا عَجْزٌ وَتَقْصِيرٌ
 وَقَالَ أَحَدُ الْبُلْغَاءِ : أَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ إِذَا وَضَحَ لَهُ الْأَمْرُ
 صَدَعَ ^(٢) فِيهِ . وَأَعْظَمُ الْخَطِيئَةِ الْعَجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْتِمَانِي بَعْدَ
 الْفُرْصَةِ

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَلُومُ مَنْ جَدَّ فِي طَلَبِ الْأَمْرِ بَعْدَ فَوَاتِهِ
 أَصْبَحَتْ تَنْفُخُ فِي رِمَادِكَ بَعْدَمَا ضَيَّعْتَ حِظَّكَ مِنْ وَقُودِ النَّارِ

وَقَالَ الْبُحْتَرِيُّ يَصِفُ حَزُومًا

فَتَى لَمْ يُضَيِّعْ وَقْتِ حَزْمٍ وَلَمْ يَبْتَ

يَلَاحِظُ أَعْجَازَ ^(٣) الْأُمُورِ تَعْقِبًا

(١) نعر بضع للهلكة (٢) مضى (٣) جمع عجز وهو مؤخر الشيء

وَقَالَ آخِرُ يَلُومُ مَنْ يُضِيعُ الْفُرْصَ
 وَالْمَرْءُ تَلْقَاهُ مِضْيَاعًا لِفُرْصَتِهِ حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرًا عَاتَبَ الْقَدَرَا
 قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : هَلْ شَيْءٌ أَضُرُّ مِنَ التَّوَانِي فَقَالَ :
 الْأَجْتِهَادُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَطَلَبُ الْأَمْرِ بَعْدَ فَوْتِهِ
 وَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ : مَا الْعَزِيمَةُ فِي
 الْأَمْرِ قَالَ : إِصْدَارُهُ إِذَا وَرَدَ بِالْحَزْمِ . فَقَالَ : وَهَلْ بَيْنَهُمَا
 فَرْقٌ . قَالَ : نَعَمْ . أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
 لَيْسَتْ تَكُونُ عَزِيمَةً مَا لَمْ يَكُنْ مَعَهَا مِنَ الرَّأْيِ الْعَشِيدُ ^(١) رَافِعٌ
 فَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ عِشْتُ دَهْرًا وَمَا أَرَى بَيْنَهُمَا فَرْقًا
 أَمَا عَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْفَتَكِ بِأَبِي مُسْلِمٍ فَرَزَعَ مِنْ ذَلِكَ
 عَيْسَى بْنُ مُوسَى فَكَتَبَ إِلَيْهِ :
 إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا تَدْبِيرٍ ^(٢) فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَعَجَّلَا
 فَأَجَابَهُ الْمَنْصُورُ
 إِذَا كُنْتَ ذَا رَأْيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيمَةٍ فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأْيِ أَنْ تَتَرَدَّدَا

(١) المقوى (٢) من دبر الامر اذا نظر في عاقبه وتفكر واعتنى به

الفصل التاسع عشر

فِي شُرُوطِ السُّودِّ وَالْإِعْتِمَادِ عَلَى النَّفْسِ
قَالَتِ الْحِكْمَاءُ : يَسُودُ الرَّجُلُ بِسِتَّةِ أَشْيَاءَ : بِالْعَقْلِ وَالْأَدَبِ
وَالْعِلْمِ وَالذِّينِ وَالْمُرُوءَةِ وَالْكَرَمِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : بِصَالِحِ الْأَخْلَاقِ تَزْكُو الْأَعْمَالُ
وَبِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّودُّ (١) . وَبِالرِّفْقِ وَالتَّوَدُّدِ تُسْتَحَقُّ
الْكَرَامَةُ . وَبِتَرْكِ مَا لَا يَنْفَعُكَ يَتِمُّ لَكَ الْفَضْلُ

وَقَالَ قَسُّ بْنُ سَاعِدَةَ : مَنْ فَاتَهُ حَسَبٌ نَفْسِهِ لَمْ يَنْفَعَهُ
حَسَبُ أَبِيهِ . وَقَالَ آخَرُ : تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تَسُودُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ
إِذَا بَوَّأَهُ حَسَنُ الْجَنَّتِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ وَهُوَ قَاصِرُ الْمَدَارِكِ
سَيِّئُهُ التَّدْبِيرِ خَرَقَتْ سِيَاسَتَهُ وَأَخْتَلَتْ أُمُورَهُ وَكَانَ عُلُوُّ الْمَنْصِبِ
مَدْعَاةً إِلَى الْأَزْدِرَاءِ بِشَانِهِ وَالتَّوَدُّدِ بِهِ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَعَاوِيَةَ

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمَتْ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ نَتَكَلَّمُ
نَبِيِّ كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعَلُ مِثْلًا فَعَلُوا

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ الْعَامِرِيُّ
 وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ
 وَفَارِسَهَا الْمَشْهُورَ فِي كُلِّ مَوْكِبٍ ^(١)
 فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ
 أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِجَدِّ وَلَا أَبِي
 وَلَكِنِّي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي
 أَذَاهَا وَأَزِمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنَكِبِي

وَبَعْضُ بَنِي عَامِرٍ
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْفَتَى هِمَّةٌ تَبَوَّأَتْهُ فِي الْعَلَا مِصْعَدًا
 وَنَفْسُهُ يَعُودُ دَهَابًا الْمَكْرَمَاتِ وَالْمَرْءُ يَلْزِمُ ^(٢) مَا عُوْدَا
 وَلَمْ تَعُدْ هِمَّتُهُ نَفْسَهُ فَلَيْسَ يَنَالُ بِهَا السُّودْدَا

وَقَالَ الْأَفْوَهُ الْأَوْدِيُّ

لَا تَصْلِحُ النَّاسُ فَوْضَى ^(٣) لَا سَرَاةَ لَهُمْ
 وَلَا سَرَاةً إِذَا جَهَّالَهُمْ سَادُوا

(١) الموكب الجماعة ركبانا او مشاة (٢) لا يفارق (٣) يقال قوم

فوضى اذا كانوا متساوين لا رئيس لهم

وَالْبَيْتُ لَا يَتَغَيَّرُ إِلَّا لَهُ عَمْدٌ (١)

وَلَا عِمَادٌ إِذَا لَمْ تَرَسْ (٢) أَوْتَادُ

وَإِنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وَأَعْمِدَةٌ

يَوْمًا فَقَدْ بَلَّغُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَادُوا (٣)

وَقَالَ هِشَامُ بْنُ خَالِدٍ بْنِ صَفْوَانَ : بِمِ بَلَّغَ فِيكُمْ الْأَحْنَفُ

مَا بَلَّغَ . قَالَ : كَانَ أَقْوَى النَّاسِ عَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ لَا يَجْهَلُ

وَلَا يَبْغِي وَلَا يَخُلُ

وَقِيلَ لِرَجُلٍ : بِمِ سَادَ كُمْ الْأَحْنَفُ . فَوَاللَّهِ مَا كَانَ بِأَكْبَرَ كُمْ

سِنًا وَلَا بِأَكْثَرَ كُمْ مَالًا . فَقَالَ : بِقُوَّةِ سُلْطَانِهِ عَلَى نَفْسِهِ

وَقِيلَ لِقَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ : بِمِ سُدَّتْ قَوْمَكَ . قَالَ : لَمْ أُخَاصِمِ

أَحَدًا إِلَّا تَرَكَتُ لِلصُّلْحِ مَوْضِعًا

وَقَالَ الرَّشِيدُ الْأَعْرَابِيُّ : بِمِ بَلَّغَ فِيكُمْ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ

هَذِهِ الْمَنْزِلَةَ . قَالَ : بِجَلْمِهِ عَن سَفِينِنَا وَعَقْفُوهِ عَن مُسِينِنَا

وَحَمَاهِ عَن ضَعِيفِنَا . لَا مَنَانَ إِذَا وَهَبَ وَلَا حَقُودَ إِذَا غَضِبَ .

رَحِبُ الْجَنَانِ مَاضِي اللِّسَانِ سَمَّحُ الْبَنَانِ (٤) . قَالَ . فَأَوْمَأَ

(١) جمع عماد وهو ما يدعم به البيت (٢) ثبت (٣) ارادوا (٤) الاصابع

الرَّشِيدُ إِلَى كَلْبٍ صَيْدٍ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ
هَذِهِ فِي هَذَا الْكَلْبِ لَأَسْتَحِقَّ السُّودَّ

الفصلُ العِشْرُونَ

فِي الْمَرْوَةِ

قَالَ الْمَاوَرِدِيُّ : الْمَرْوَةُ حَلِيَّةُ النُّفُوسِ وَزِينَةُ الْهَيْمِ
يُرَاعَى بِهَا أَفْضَلُ الْأَحْوَالِ حَتَّى لَا يَظْهَرَ مِنْهَا قَبِيحٌ وَلَا يَتَوَجَّهَ
إِلَيْهَا ذَمٌّ

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : مِنْ شَرَايِطِ الْمَرْوَةِ أَنْ يَتَعَفَّفَ
الْمَرْءُ عَنِ الْحَرَامِ وَيَتَصَوَّنَ عَنِ الْآثَامِ . وَيُنْصِفَ فِي الْحُكْمِ
وَيَكْفَ عَنِ الظُّلْمِ . وَلَا يَطْمَحَ فِي مَا لَا يَسْتَحِقُّ وَلَا يُعَيِّنَ قَوِيًّا
عَلَى ضَعِيفٍ . وَلَا يَأْتِيَ مَا يُعَقِّبُ الْوِزَرَ (١) وَلَا يَفْعَلُ مَا يُقْبِحُ
النِّكَرَ

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : مِنْ تَمَامِ الْمَرْوَةِ أَنْ تَنْسَى الْحَقَّ
لَكَ وَتَذَكُرَ الْحَقَّ عَلَيْكَ . وَتَسْكَبَ الْإِسَاءَةَ مِنْكَ وَتَسْتَصْغِرَ بِهَا
مِنْ غَيْرِكَ

وَعَنِ الْحَدِيثِ : مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمِهِمْ وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ
يَكْتُمِهِمْ وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفِهِمْ فَهُوَ مِنْ كَمَلَتِ مَرْوَةَ تَهُ وَظَهَرَتْ
عَدَالَتُهُ وَوَجِبَتْ أُخُوَّتُهُ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : صَاحِبُ الْمَرْوَةِ لَا يَغْرُهُ الْهُوَى
وَلَا تَسْتَأْسِرُهُ الشَّهْوَةُ . بَلْ يَصْرِفُ النَّفْسَ إِلَى أَنْ تَرْكَبَ
الْأَفْضَلَ مِنْ خَلَائِقِهَا وَالْأَجْمَلَ مِنْ طَرَائِقِهَا
وَقَالَتِ الْحِكْمَاءُ : مَنْ أَمَاتَ شَهْوَتَهُ أَحْيَا مَرْوَةَ تَهُ وَمَنْ
زَادَتْ شَهْوَتُهُ تَقَصَّتْ مَرْوَةَ تَهُ

وَقَالَ الْمَاورِدِيُّ : الْمَرْوَةُ لَا يَنْقَادُ لَهَا مَعَ ثِقَلِ كَلْفِهَا
إِلَّا مَنْ تَسَهَّلَتْ عَلَيْهِ الْمَشَاقُّ (١) رَغْبَةً فِي الْحَمْدِ . وَهَانَتْ
عَلَيْهِ الْمَلَاذُ حَذَرًا مِنَ الدَّمِّ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ
وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : إِذَا طَلَبَ رَجُلَانِ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ
أَعْظَمُهُمَا مَرْوَةَ

وَقَالَ يَزِيدُ : الْمَرْوَةُ هِيَ الصَّبْرُ عَلَى الْبَلْوَى وَالشُّكْرُ
عَلَى النُّعْمَى وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَحَبَّ الْمَكَارِمَ وَأَجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ
فَهُوَ مِنَ الْمَرْوَةِ عَلَى جَانِبٍ عَظِيمٍ .

وَقَالَ أَنُوشِرَوَانُ لِأَبْنِهِ : مَنْ الْكَامِلُ الْمَرْوَةِ فَقَالَ : مَنْ
حَصَّنَ دِينَهُ وَوَصَلَ رَحِمَهُ وَأَكْرَمَ إِخْوَانَهُ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : مَنْ أَخَذَ مِنَ الدَّيْكِ شَجَاعَتَهُ
وَسَخَاءَهُ وَغَيْرَتَهُ وَمِنَ الْغُرَابِ بُكُورَهُ لِيَطْلُبَ الرِّزْقَ وَشِدَّةَ
حَذَرِهِ فَقَدْ تَمَّ أَدَبُهُ وَمَرْوَتُهُ

وَسُئِلَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْمَرْوَةِ
فَقَالَ : الْعَقْلُ يَأْمُرُكَ بِالْإِنْفَعِ وَالْمَرْوَةُ تَأْمُرُكَ بِالْأَجْمَلِ

الفصل الحادي والعشرون

في علو الهمة

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : لَا تَصْغُرَنَّ هِمَّتُكُمْ فَإِنِّي لَمْ أَرَ أَقْعَدَ

عَنِ الْمَكْرُمَاتِ مِنْ صِغَرِ الْهِمَمِ .

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ كَبُرَتْ هِمَّتُهُ كَثُرَتْ قِيَمَتُهُ .

وَقَالَ آخَرُ : مَنْ رَفِيَ فِي دَرَجَاتِ الْهِمَمِ عَظُمَ فِي عِيُونِ

الْأُمَّمِ . وَقِيلَ : كُلُّ أَمْرٍ هِمَّةٌ . وَمَنْ تَرَكَ التَّجَسُّعَ الْمَعَالِي

لَمْ يَنْلُ جَسِيًّا

وَقَالَ أَحَدُ الْبُلَغَاءِ : الْهَيْمَةُ جَنَاحُ الْحُظِّ . وَقَالَ آخَرُ : لَا
تَدُورُ رَحَى الْجَدِّ إِلَّا بِقُطْبِ الْهَيْمَةِ . وَقِيلَ : الْهَيْمَةُ رَايَةُ الْجَدِّ .
وَعُلُوُّ الْهَيْمِ بَدْرُ النَّعَمِ . وَقِيلَ : عُلُوُّ الْهَيْمَةِ أَصْلُ الرِّثَاسَةِ
وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ

حَاوِلْ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ وَلَا تَقُلْ إِنَّ الْحَمَامِدَ وَالْعُلَى أَرْزَاقُ
وَأَرْغَبُ بِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مُقْصِرًا عَنْ غَايَةٍ فِيهَا الطَّلَابُ سِبَاقُ
وَقَالَ الْمَاوَرِدِيُّ : عُلُوُّ الْهَيْمَةِ بَاعِثٌ عَلَى النُّقْدِ وَدَاعٍ
إِلَى التَّخْصِيسِ أَنْفَةٌ مِنْ حُمُولِ الْأَضْعَةِ وَأَسْتِنكَارًا لِمَهَانَةِ النَّقْصِ
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ لَا تَكُنْ عَلَى أَحَدٍ كَلًّا^(١)
فِيَأْنِكَ تَزْدَادُ ذُلًّا . وَأَضْرِبْ^(٢) فِي الْأَرْضِ عَوْدًا وَبَدءًا . وَلَا
تَأْسَفْ لِمَالٍ كَانَ فَذَهَبَ . وَلَا تَعْجُزْ عَنِ الطَّلَبِ لَوْصَبِ^(٣)
أَوْ نَصَبِ . فَإِنَّ ذَوِي الْهَيْمِ الْعَلِيَّةِ وَالنُّفُوسِ الْأَبِيَّةِ يَرُونَ
مَا وَصَلَ إِلَى الْإِنْسَانِ كَسْبًا أَفْضَلَ مِمَّا وَصَلَ إِلَيْهِ إِرْثًا . وَإِنَّ
الْمَالَ الْمَوْرُوثَ لَا يَكْتَفِي بِهِ إِلَّا الْخَامِلُ الْمِكْسَالُ . وَأَمَّا

(١) الكَلُّ والعَيْلُ وهو الذي يقوم غيره بماشه (٢) سافر (٣) لمرض

النَّاهِضُ الْهِمَّةَ فَلَا يُعْوَلُ إِلَّا عَلَى كَدِّهِ وَحَسَنِ سَعْيِهِ
 وَقَالَ بَعْضُ الْفُصَحَاءِ: أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ بَعَدَتْ هِمَّتُهُ
 وَأَسَمَّتْ أُمْنِيَّتُهُ وَقَصُرَتْ يَدُهُ وَضَاقَتْ مَقْدَرَتُهُ . أَخَذَ ذَلِكَ
 الْمُتَنَبِّيُّ فَقَالَ

وَأَتَعَبُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ زَادِ هِمَّةٍ
 وَيَقْصُرُ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدَهُ (١)

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَأَجَادَ
 إِنَّ الَّذِي رُزِقَ الْيَسَارَ وَلَمْ يُصِيبْ حَمْدًا وَلَا أَجْرًا لَغَيْرِ مُوَفَّقٍ
 وَالْجِدُّ يَدْنِي كُلِّ شَيْءٍ شَاسِعٍ وَالْجِدُّ (٢) يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ
 وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِاللَّهِ أَمْرُوهُ ذُو هِمَّةٍ عَلِيًّا وَعَيْشٍ ضَيِّقٍ
 فَإِذَا سَمِعْتَ بَانَ مَجْدُودًا (٤) حَوَى عُودًا فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْهِ فَحَقَّقَ
 وَإِذَا سَمِعْتَ بَانَ مَخْذُولًا (٥) أَتَى مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَجَفَّ فَصَدَّقَ
 وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا بَعْظِمِ الْهِمَّةِ فَقَالَ : فَلَانَ يَرْمِي
 بِهَيْمَتِهِ حَيْثُ يُشِيرُ إِلَيْهِ الْكَرَمُ . وَهُوَ هَيْمَةٌ تُنَاطِحُ النُّجُومَ
 وَكَرَمٌ يُشَاطِحُ النُّجُومَ

(١) غناه (٢) الاجتهاد (٣) الحظ (٤) المجدود الرجل العظيم

الحظ (٥) المخذول الذي اضغفه الله وخيبه وترك نصرته

وَقَالَ الشَّاعِرُ يَصِفُ هِمَّةَ الشَّمَاءِ
 وَلي هِمِّمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ بُلُوغِهَا بِجُورٍ مِنَ الْأَمَالِ لَيْسَ لَهَا جِسْرٌ
 وَقَالَ الْمُتَنَبِّيُّ يَصِفُ رَجُلًا بَعْلُوَ الرَّحِمِ
 لَهُ هِمِّمٌ لَا مُتَهَيَّ لِكِبَارِهَا وَهَمَّتُهُ الصِّغْرَى أَجَلٌ مِنَ الدَّهْرِ

الفصل الثاني والعشرون

فِي التَّرغِيبِ فِي حَسَنِ السَّمْعَةِ وَطِيبِ الذِّكْرِ
 قَالَ أَكْثَمُ : إِنَّا أَنْتُمْ أَخْبَارٌ فَطَبِّبُوا أَخْبَارَكُمْ . وَقَالَتْ
 الْحُكَمَاءُ : إِنَّا الْأَيَّامُ مَزَارِعٌ فَمَا زَرَعْتَ فِيهَا حَصَدْتَهُ . وَقَالَ
 آخَرُ : الْأَيَّامُ صَحَائِفُ آجَالِكُمْ فَخَلِّدُوهَا بِأَحْسَنِ أَعْمَالِكُمْ

وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِي

وَمَا بُنِيَ آدَمَ إِلَّا ذِكْرُ صَالِحَةٍ أَوْ ذِكْرُ سَيِّئَةٍ يَسْرِي بِهَا الْكَلِمُ
 أَمَا سَمِعْتَ بَدَهْرًا بَادَ أُمَّتُهُ جَاءَتْ بِأَخْبَارِهَا مِنْ بَعْدِهَا أُمَّ
 وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ : خَمُولُ الذِّكْرِ خَيْرٌ مِنَ الذِّكْرِ الذَّمِيمِ .
 وَقَالَ آخَرُ : لَا شَيْءَ يَبْقَى عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ إِلَّا الذِّكْرُ حَسَنًا

كَانَ أَوْ قَبِيحًا . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ

وَلَا شَيْءٌ يَدُومُ فَكُنْ حَدِيثًا جَمِيلَ الذِّكْرِ فَالْدُّنْيَا حَدِيثٌ

وَقَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : إِذَا طَابَتْ أَحَدُوثُهُ الْمَرْءِ وَطَبَقَتْ
مَفَاخِرُهُ الْآفَاقَ تَخَلَّدَ ذِكْرُهُ فِي الدُّنْيَا وَرَقِمَتْ مَآثِرُهُ عَلَى
صَفَحَاتِ التَّوَارِيخِ . حَتَّى لَا تَقْوَى الْأَيَّامُ عَلَى مَحْوِ آثَارِهَا وَطَمْسِ
مَعَالِمِهَا . فَهُوَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْقَائِلِ

كَيْفَ الْإِمَانُ لَهُ بِرِدِّ حَيَاتِهِ لَمَّا انْطَوَى فَكَأَنَّهُ مَنْشُورٌ
وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ

إِنَّ الْحَيَاةَ مَزَارِعٌ فَازْرَعْ بِهَا مَا شِئْتَ تَحْصُدُ
وَالنَّاسُ لَا يَبْقَى سِوَى آثَارِهِمْ وَالْعَيْنُ تَفْقَدُ
أَوْ مَا سَمِعْتَ بَيْنَ مَضَى هَذَا يُذَمُّ وَذَلِكَ يُحْمَدُ

وَقَالَ أَحَدُ الْفُضَلَاءِ : كُنْ أَحْسَنَ حَدِيثٍ يُنْشَرُ يَكُنْ
سَعِيكَ فِي النَّاسِ مَشْكُورًا وَأَجْرُكَ عِنْدَ اللَّهِ مَذْخُورًا

وَقَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : الْعُلَمَاءُ أَخْلَدُوا مِنَ الدُّوَلِ ذِكْرًا وَأَجَلَ
قَدْرًا . فَكَمْ مِنْ مَمْلَكَةٍ انْقَرَضَتْ وَأَضْمَحَلَّتْ وَدُفِنَتْ مَعَهَا أَخْبَارُهَا
بَعْدَ إِذْ كَانَتْ عَلَى أَعْظَمِ جَانِبٍ مِنَ الْمَنَعَةِ وَالْعِظَمَةِ وَبَسْطَةِ
السُّلْطَانِ . وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَلَنْ يَزَالَ ذِكْرُهُمْ يَدْوِي فِي أُنْدِيَةِ
الْأَدَبِ مُورِّجًا مَحَافِلَ الْعِلْمِ بِعَبِيرِهِ الْعَبَاقِ كَأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ يُرْزَقُونَ

قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَا أَفَادَكَ الدَّهْرُ . قَالَ : الْعِلْمُ بِهِ
 قِيلَ : فَمَا أَحْمَدُ الْأَشْيَاءَ . قَالَ : أَنْ تَبْقَى لِلإِنْسَانِ أَحَدُونَةٌ
 حَسَنَةٌ

الفصل الثالث والعشرون

فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ وَشُكْرِ النِّعَمِ
 قَالَ أَكْثَرُ حَكِيمِ الْعَرَبِ : ذَلُّوا أَخْلَاقَكُمْ لِلْمَطَالِبِ
 وَقُودُوهَا إِلَى الْحَمَامِدِ وَعَلِمُوهَا الْمَكَارِمِ . وَلَا تُقِيمُوا عَلَى
 خُلُقِي تُذِمُّونَهُ مِنْ غَيْرِكُمْ . وَصَلُّوا مَنْ رَغِبَ إِلَيْكُمْ وَتَحَلَّوْا
 بِالْجُودِ يُلْبِسُكُمْ الْمَحَبَّةَ . وَأَحْتَرِزُوا مِنَ الْبُخْلِ فَإِنَّهُ يُورِثُكُمْ
 الْبُغْضَةَ

وَقَالَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : تَنَافَسُوا فِي الْمَغَانِمِ وَسَارِعُوا
 إِلَى الْمَكَارِمِ وَآكْتَسَبُوا بِالْجُودِ حَمْدًا وَلَا تَكْتَسِبُوا بِالْمَالِ ذَمًّا .
 وَلَا تَعِدُوا بِمَعْرُوفٍ لَا تُجِئُوهُ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ حَوَائِجَ النَّاسِ
 نِعَمٌ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ فَلَا تَمَلُّوهَا فَتَعُودَ نِقَمًا
 وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ : يَا بَنِيَّ مِنْ أَهْلِكَ أَنْ يَرُوحُوا^(١) فِي

(١) يذهبوا في الهوى

كَسِبَ الْمَكَارِمَ وَيَدْلُجُوا^(٢) فِي حَاجَةٍ مِنْهُ هُوَ نَائِمٌ . فَوَالَّذِي
 وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُورًا إِلَّا
 خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورَ لُطْفًا . فَإِذَا نَابَتْهُ نَائِبَةٌ جَرَى
 إِلَيْهَا كَأَنَّهَا فِي أَنْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةً
 الْإِبِلِ .

كَانَ ابْنُ مَالِكٍ مِنَ الْأَجْوَادِ فَأَنْهَبَ النَّاسَ مَالَهُ بِعُكَاظٍ
 ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَعَاتَبَهُ خَالُهُ فَقَالَ
 يَا خَالَ ذَرْنِي^(٣) وَمَالِي مَا فَعَلْتُ بِهِ
 وَخَذُ نَصِيْبَكَ مِنْهُ إِنَّهُ مُودِي^(٤)
 الْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِمَكْرَمَةٍ
 وَأَنْ أَعِيشَ بِمَالٍ غَيْرِ مَحْمُودٍ

وَقَالَ أَبُو فِرَاسٍ بْنُ حَمْدَانَ
 وَمَا نِعْمَةٌ مَكْفُورَةٌ قَدْ صَنَعْتُهَا إِلَى غَيْرِ ذِي شُكْرِ تَمَانِعِي أُخْرَى
 سَأَتِي جَمِيلًا مَا حَيَّيْتُ فَإِنِّي إِذَا لَمْ أَفِدْ شُكْرًا أَفِدْتُ بِهِ أَجْرًا
 وَقَالَ عَلِيٌّ : إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تَنْفَرُوا

(١) يسروا في آخر الليل (٢) اتركني (٣) هالك

اتِّصَالَهَا بِقَلَّةِ الشُّكْرِ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : مَنْ أَمْتَصَى الشُّكْرَ بَلَغَ الْمَزِيدَ .

وَقَالَ آخَرُ : مَنْ جَعَلَ الْحَمْدَ خَاتِمَةً لِلنِّعْمَةِ جَعَلَهُ اللَّهُ فَاتِحَةً

لِلْمَزِيدِ .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي تَالِبٍ : أَحْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ مَرْدُودٌ .

وَقَالَ آخَرُ : إِذَا جُعِدَتِ الصَّنِيعَةُ خَيْرَ الْمَعْرُوفِ

الْفَصْلُ الرَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

فِي مَنَافِعِ السَّفَرِ

قَالَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَجْمَعْ مَنَافِعَ الدُّنْيَا

فِي أَرْضٍ بَلْ فَرَّقَهَا وَأَحْوَجَ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ . فَكَانَ السَّفَرُ

مِنْ أَوْكَدِ أَسْبَابِ الْمَعَاشِ وَأَقْرَبِ ذَرَائِعِ الْيُسْرِ وَالْفَلَاحِ .

وَأَكْبَرَ وَسَائِلِ التَّخْرِجِ وَالتَّأْدِيبِ . إِذْ يُطْلَعُ الْمَرْءُ عَلَى

أَخْلَاقِ الْأُمَّمِ فَيَتَخَلَّقُ بِأَحْسَنِهَا . وَيُوقِفُهُ عَلَى عَادَاتِ الشُّعُوبِ

فَيَتَمَسَّكُ بِأَجْمَلِهَا وَأَحْمَدِهَا . نَاهِيكَ بِهِ أَنَّهُ يُسْمِعُ الْعَجَائِبَ

وَيَكْسِبُ التَّجَارِبَ وَيَفْتَحُ الْمَذَاهِبَ وَيَجْلِبُ الْمَكَاسِبَ . وَيَشْدُ
 الْأَبْدَانَ وَيَنْشِطُ الْكَسْلَانَ وَيُسَلِّي الْأَحْزَانَ . وَيَطْرُدُ الْأَسْقَامَ
 وَيَشْبِي الطَّعَامَ . وَيَمْحُطُ سُورَةَ الْكِبَرِ وَيَبْعَثُ عَلَى طَلَبِ الذِّكْرِ
 وَيُوسِّعُ نِطَاقَ الْفِكْرِ وَيَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ . وَيُرِي مِنْ عَجَائِبِ
 الْأَمْصَارِ وَبَدَائِعِ الْأَقْطَارِ وَمَحَاسِنِ الْأَثَارِ مَا يَزِيدُ الْمَرْءَ عِلْمًا
 وَيُفِيدُهُ فَمَا بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ وَيَدْعُوهُ إِلَى شُكْرِ نِعْمَتِهِ

وَقَالَ حَاتِمُ الطَّائِي

إِذَا لَزِمَ النَّاسُ الْبُيُوتَ رَأَيْتَهُمْ عُمَاءَ عَنِ الْأَخْبَارِ خُرِقَ الْمَكَاسِبِ

وَأَنشَدَ شُكْرُ الْعُلَوِيِّ

قَوْضُ خِيَامِكَ عَنْ أَرْضِي تَهَانُ بِهَا

وَجَانِبِ الذَّلِّ إِنَّ الذَّلَّ يَجْتَنِبُ

وَأَرْحَلَ إِذَا كَانَ فِي الْأَوْطَانِ مَنْقَصَةً

فَالْمَنْدَلُ (١) الرُّطْبُ فِي أَوْطَانِهِ حَطْبُ

وَقَالَ آخَرُ

إِرْحَلَ بِنَفْسِكَ مِنْ أَرْضِي تَضَامُ بِهَا وَلَا تَكُنْ بِفِرَاقِ الْأَهْلِ فِي حَرْقِ

مَنْ ذَلَّ بَيْنَ أَهَالِيهِ يَبْلُدْتِهِ فَالْأَعْتِرَابُ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ الْخُلُقِ
 الْكُحْلُ نَوْعٌ مِنَ الْأَحْجَارِ مُنْطَرِحًا فِي أَرْضِهِ كَمَا تُثْرَى بِبَدْوٍ عَلَى الطَّرِيقِ
 لَمَّا تَغَرَّبَ نَالَ الْعَرَبُ أَجْمَعَهُ وَصَارَ يُحْمَلُ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْحَدَقِ

وَقَالَ آخَرُ

لَا تَقْعُدَنَّ عَلَى ذُلٍّ وَمَسْغَبَةٍ ^(١) لِكَيْ يُقَالَ عَزِيزُ النَّفْسِ مُصْطَبِرٌ
 وَأَرْحَلُ قَلْوَصِكَ ^(٢) عَنْ أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا
 إِلَى الدِّيَارِ الَّتِي يَهْمِي بِهَا الْمَطَرُ

وَقَالَ آخَرُ

وَلَا يُقِيمُ بِدَارِ الذَّلِّ يَأْلِفُهَا إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
 هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِثِي لَهُ أَحَدٌ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّزَّيُّ

لَيْسَتْ بِأَوْطَانِكَ الْأَلَايِ نَشَاتَ بِهَا
 لَكِنْ دِيَارُ الَّذِي تَهْوَاهُ أَوْطَانُ
 خَيْرُ الْمَوَاطِنِ مَا لِلنَّفْسِ فِيهِ هَوَى
 سُمُّ الْحَيَاطِ ^(٣) مَعَ الْأَحْبَابِ مِيدَانُ

(١) جوع (٢) شدة الرحل على ناقته الشابة (٣) ما خيط به الثوب

كُلُّ الدِّيَارِ إِذَا فَكَّرْتَ وَاحِدَةً مَعَ الحَبِيبِ وَكُلُّ النَّاسِ إِخْوَانٌ
أَفْدَى الَّذِينَ دَنَوْا وَالْهَجْرُ بَعْدَهُمْ وَالنَّازِحِينَ وَهُمْ فِي القَلْبِ سَكَانٌ
كُنَّا وَكَانُوا بِأَحْلِ العَيْشِ ثُمَّ نَاوَا كَأَنَّا قَطُّ مَا كُنَّا وَمَا كَانُوا

وَقَالَ آخَرُ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ حَقَّهَا هَوَانًا بِهَا كَانَتْ عَلَى النَّاسِ أَهْوَانًا
فَنَفْسَكَ أَكْرَمَهَا وَإِنْ ضَاقَ مَسْكَنُ عَلَيْكَ بِهَا فَأَطْلُبْ لِنَفْسِكَ مَسْكَنًا
وَإِيَّاكَ وَالسُّكْنَى بِمَنْزِلِ ذِلَّةٍ يُعَدُّ مُسْتَأْنَفًا فِيهِ مَنْ كَانَ مُحْسِنًا
وَقَالَ أَحَدُ البُلَغَاءِ: الحُرْكَةُ وَوُلُودُهَا وَالسُّكُونُ عَاقِرَةٌ

وَقَالَ أَبُو قَاسِمٍ الصَّاحِبُ: لَيْسَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ بَلَدٍ نَسَبٌ فَخَيْرُ البِلَادِ مَا حَمَلَكَ
السَّفَرُ يُسْفِرُ عَنِ اخْتِلَاقِ الرَّجَالِ فَأَوْحِشْ أَهْلَكَ إِذَا كَانَ فِي إِيجَاشِهِمْ أُنْسُكَ
وَإِذَا نَبَتْ عَنْهُ نَفْسُكَ فَرُبَّمَا اسْفَرَ السَّفَرُ عَنِ الظَّفْرِ . وَتَعَذَّرَ
فِي الوَطَنِ قِضَاءَ الوَطْرِ

وَقَالَ أَبُو الفَتْحِ البُسْتِيُّ

لَئِنْ تَنَقَّلْتَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ وَصِرْتَ بَعْدَ ثَوَاءٍ رَهْنِ اسْفَارِ
فَالْحَرُّ حَرٌّ عَنِ النَّفْسِ حَيْثُ تَوَى وَالشَّمْسُ فِي كُلِّ بُرْجٍ ذَاتُ انْوَارِ

وَقَالَ بِهِاءِ الدِّينِ زُهَيْرٌ

إِلَى كَيْفِ مَقَامِي فِي بِلَادِ مَعَاشِرٍ تَسَاوَى بِهَا أَسَادُهَا وَكَلَابِهَا
فَقَلَّدْتُهَا الدَّرَّ الثَّمِينِ وَإِنَّهُ لَعَمْرُكَ شَيْءٌ أَنْكَرْتَهُ رِقَابِهَا
وَمَا ضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَى ذِي مُرُوءَةٍ وَلَا هُوَ مَسْدُودٌ عَلَيْهِ رِحَابِهَا
فَقَدْ بَشَّرْتَنِي بِالسَّعَادَةِ هَمِّي وَحَاءَ مِنَ الْعَلِيَاءِ نَحْوِي كِتَابِهَا

وَقَالَ آخَرُ

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكْفُ اللَّئَامِ كَفَتَكَ الْقِنَاعَةُ شَبَعًا وَرِيًّا
فَكُنْ رَجُلًا رِجْلُهُ فِي الثَّرَى وَهَامَةً هَمِّيهِ فِي الثَّرِيًّا
أَيًّا بِنَفْسِكَ عَنْ بَاخِلٍ تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَيًّا
فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ الْحَيَاةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ الْعَمِيَّا

الفصل الخامس والعشرون

فِي الْحَثِّ عَلَى حُسْنِ السُّلُوكِ فِي بِلَادِ الْأَغْتِرَابِ
أَوْصَى بَعْضُ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ وَقَدْ أَرَادَ سَفْرًا فَقَالَ :
إِنَّكَ تَدْخُلُ بِلَدًا لَا تَعْرِفُهَا وَلَا يَعْرِفُكَ أَهْلُهَا فَتَمَسَّكَ بِوَصِيَّتِي
تَنْفُقُ^(١) بِهَا فِيهِ : عَلَيْكَ بِنِظَافَةِ الْبِرَّةِ فَإِنَّهَا تُنَبِّئُ عَنْ

(١) يُرْغَبُ فِيكَ وَيَكْثُرُ طَلَابُكَ

(١) النَّشْرُ فِي النِّعْمَةِ . وَالْأَدَبِ الْجَمِيلِ فَإِنَّهُ يُكْسِبُ الْمَحَبَّةَ .
 وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ دُونَ دِينِكَ وَقَوْلُكَ دُونَ فِعْلِكَ وَوَلِيَّاسُكَ دُونَ
 قَدْرِكَ . وَالزَّمِ الْحَيَاءَ وَالْأَنْفَةَ فَإِنَّكَ إِنِ اسْتَحْيَيْتَ مِنَ الْفُضَاظَةِ
 اجْتَنَبْتَ الْخُسَاسَةَ . وَإِنْ أَنْفَتَ عَنِ الْعَلْبَةِ لَمْ يَنْقُدْكَ تَظِيرٌ فِي
 الْمَرْتَبَةِ

وَأَوْصَتْ أَعْرَابِيَّةٌ ابْنَهَا فِي سَفَرٍ فَقَالَتْ : يَا بُنَيَّ إِنَّكَ تَجَاوِرُ
 الْغُرَبَاءَ وَتَرْحَلُ عَنِ الْأَصْدِقَاءِ وَلَعَلَّكَ لَا تَلْقَى غَيْرَ الْأَعْدَاءِ .
 فَخَالِطِ النَّاسَ بِجَمِيلِ الْبَشْرِ وَاتَّقِ اللَّهَ فِي الْعَلَانِيَةِ وَالسِّرِّ .
 وَمِثْلُ بِنْفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ . وَمَا
 اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ
 نَفْسِهِ .

وَأَوْصَى ابْنُ سَعِيدٍ الْمَخْرَبِيُّ وَوَلَدَهُ وَقَدْ أَرَادَ السَّفَرَ فَقَالَ :
 يَا بُنَيَّ حَسِّنُ الْخُلُقِ أَكْرَمُ تَزْيِيلِ وَالْأَدَبُ أَرْحَبُ مَنَزَلٍ فَتَجَمَّلْ
 بِهَا فِي غُرْبَتِكَ تَفْلِحْ . وَإِذَا دَعَاكَ قَلْبُكَ إِلَى صُحْبَةٍ مِنْ أَخْذِ
 آدَبِهِ بِمَجَامِعِ هَوَاكَ فَهَبْ فِي رَوْضِ أَخْلَاقِهِ هُبُوبَ النَّسِيمِ .

وَحُلِّ بِطَرَفِهِ حُلُولَ الْوَسَنِ وَأُنزِلَ بِقَلْبِهِ نُزُولَ الْمَسْرَةِ حَتَّى
 يَتِمَّكَنَ لَكَ وَدَادُهُ وَيَخْلُصَ فِيكَ أَعْنَاقُهُ . وَطَهَّرَ مِنَ الْوُقُوعِ
 فِيهِ لِسَانَكَ وَأَغْلَقَ سَمْعَكَ . وَأَسْتَمِعْ إِلَى مَا خَلَدَ الْمَاضُونَ
 بَعْدَ جُهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ مِنْ الْأَقْوَالِ فَإِنَّهَا خُلَاصَةٌ عُمُرِهِمْ وَزُبْدَةٌ
 تِجَارَتِهِمْ . وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى عَقْلِكَ فَإِنَّ النَّظَرَ فِي مَا تَعَبَ فِيهِ النَّاسُ
 طُولَ أَعْمَارِهِمْ وَأَبْتَاعُوهُ غَالِيًا بِتِجَارَتِهِمْ يُرْمِيكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ
 رَخِيصًا . وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَمَرْوَةٌ وَتَجْرِبَةٌ فَاسْتَفِدْ
 مِنْهُ وَلَا تُضَيِّعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ . فَإِنَّ فِي مَا تَلَقَاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ
 وَحَثًّا لَكَ وَأَهْتِدَاءً . وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنَ الْأَقْوَالِ يَحْسُنُ
 بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَدَبَّرَهُ . فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ مُصْلِحًا
 لِحَالِكَ فَزَاعِ ^(١) ذَلِكَ عِنْدَكَ وَإِلَّا فَانْبِذْهُ نَبْذَ النُّوَاةِ . وَإِيَّاكَ
 أَنْ تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدْرٍ ^(٢) . فَلَا تُعَامِلِ الدُّونَ بِمُعَامَلَةِ
 الْكُفُوءِ وَلَا الْكُفُوءَ بِمُعَامَلَةِ الْأَعْلَى . وَلَا تُضَيِّعْ عُمُرَكَ فِي
 مَنْ يُعَامِلُكَ بِالْمَطَامِعِ وَيُشْبِكُ عَلَى مَصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ
 بِغَائِبَةِ آجِلَةٍ . وَلَا تَجْفُ النَّاسَ بِالْجُمْلَةِ . وَإِذَا فَارَقْتَ أَحَدًا

فَعَلَى حُسْنِي فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ • فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي هَلْ أَنْتَ
رَاجِعٌ إِلَيْهِ • وَلَا يَحْمِلُكَ الْحَيَاءُ عَلَى السُّكُوتِ عَمَّا يَضُرُّكَ
أَنْ لَا تُبَيِّنَهُ • وَاللَّهُ تَعَالَى خَلِيفَتِي عَلَيْكَ لِأَرْبِّ سِوَاهُ

الفصل السادس والعشرون

فِي ذَمِّ السَّفَرِ وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ
قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْغَرِيبُ كَالْيَتِيمِ الْفَطِيمِ الَّذِي تَكِلُ
أَبَوِيهِ • فَلَا أُمَّ تَرَامُهُ وَلَا أَبٌ يَرَأْفُ بِهِ
وَقَالَ آخَرُ: الْغَرِيبُ كَالْغَرَسِ الَّذِي زَابِلٌ أَرْضُهُ وَقَفَدَ
شَرْبَهُ • فَهُوَ ذَاوٍ لَا يَزُهِرُ وَذَابِلٌ لَا يُشْمِرُ
وَقَالَ أَحَدُ الْأَدْبَاءِ: عُسْرُكَ فِي بَلَدِكَ خَيْرٌ مِنْ يُسْرِكَ
فِي غُرْبَتِكَ • وَقِيلَ: فِرَاقُ الْأَحْبَابِ سَقَامُ الْأَلْبَابِ

وَقَالَ ابْنُ الْهَبَّارِيَّةِ

قَالُوا أَقَمْتَ وَمَا رُزِقْتَ وَإِنَّمَا
فَأَجِبْتَهُمْ مَا كُلُّ سَيْرٍ نَافِعًا
كَمْ سَفَرَةٌ نَفَعَتْ وَأُخْرَى مِثْلَهَا
كَالْبَدْرِ يَكْتَسِبُ الْكَمَالَ بِسَيْرِهِ
بِالسَّيْرِ يَكْتَسِبُ اللَّيْبُ وَيُرْزَقُ
الْحُظُّ يَنْفَعُ لَا أَنْ رَحِيلُ الْمُقْلِقُ
ضَرَّتْ وَيَكْتَسِبُ الْحَرِيصُ وَيُنْفِقُ
وَبِهِ إِذَا حَرِمَ السَّعَادَةَ يُحَقِّقُ

وَقَالَ آخِرُ

يَأْنَسُ وَيَمُكُّ فِي الْغَرْبِ ذِلَّةً فَتَجَرَّعِي كَأْسَ الْأَذَى وَهَوَانَ
وَإِذَا نَزَلَتْ بِدَارِ قَوْمٍ دَارِهِمْ فَلَهُمْ عَلَيْكَ تَعَزُّزُ الْأَوْطَانِ

وَأَنشَدَ أَعْرَابِيٌّ يَتَشَوَّقُ إِلَى بِلَادِهِ

ذَكَرْتُ بِلَادِي فَأَسْتَهَلَّتْ مَدَامِي بِشَوْقٍ إِلَى عَهْدِ الصَّبَا الْمُتَقَادِمِ
حَنَنْتُ إِلَى رُبْعٍ بِهِ أَخْضَرَ شَارِي وَوَقَّطَحَ عَنِّي فِيهِ عِقْدُ التَّمَامِ

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ

أَزِفَ^(١) الرَّحِيلُ فُجَيْنَ جَدَّتْ رَحَلَتُ مَهَجُ النُّفُوسِ لَهُ عَنِ الْأَجْسَادِ
مَنْ لَمْ يَبْتَ وَالْبَيْنُ يَصْدَعُ قَلْبَهُ لَمْ يَدِرْ كَيْفَ تَفَتُّ الْأَكْبَادِ

وَقَالَ آخِرُ

يَا رَاحِلًا وَجَمِيلُ الصَّبْرِ يَتَّبِعُهُ
مَا أَنْصَفَتْكَ دُمُوعِي وَهِيَ دَامِيَةٌ
هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى لُقْيَاكَ يَتَفَقُّ
وَلَا وَفِي لَكَ قَلْبِي وَهُوَ يَحْتَرِقُ

وَقَالَ آخِرُ

مَدَدْتُ إِلَى التَّوْدِيْعِ كَفَأَضْعِيفَةٍ
فَلَا كَانَ هَذَا آخِرَ الْعَهْدِ مِنْكُمْ
وَأُخْرَى عَلَى الرَّمْضَاءِ فَوْقَ فُؤَادِي
وَلَا كَانَ ذَا التَّوْدِيْعِ آخِرَ زَادِي

الباب الثاني

في الحكم والمواعظ والنصائح

(١) الْحِكْمَةُ نُورُ الْأَبْصَارِ وَمِيزَانُ الْعَدْلِ وَلِسَانُ الْإِيمَانِ
وَعَيْنُ الْبَيَانِ وَرَوْضَةُ الْأَرْوَاحِ وَمَزَاحُ^(١) الْهَمُومِ عَنْ النُّفُوسِ
وَأَنْسُ الْمُسْتَوْحِشِ وَأَمْنُ الْخَائِفِ وَمَتَجَرُّ الرَّابِحِ وَحِطُّ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَسَلَامَةُ الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ وَمَطِيَّةُ الْحَلِمِ وَكَفِيلُ
النُّجْحِ وَضَمِينُ الْخَيْرِ وَالرُّشْدِ وَالِدَاعِيَةُ إِلَى الصُّوَابِ وَالسَّفِيرُ
بَيْنَ الْعَقْلِ وَالْقَلْبِ . لَا تَنْدَرِسُ آثَارُهَا وَلَا تَعْفُو رُبُوعُهَا وَلَا
يَهْلِكُ أَمْرُؤُهَا بَعْدَ عَمَلِهَا بِهَا

(٢) قَالَ بَقْرَاطُ : مَنْ أَخَذَ الْحِكْمَةَ لِحَامًا اتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَامًا
وَقَالَ آخَرُ : إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ
فَأَبْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ . فَإِنَّ الْحِكْمَةَ شَجَرَةٌ تَنْبُتُ فِي
الْقَلْبِ وَتُثْمِرُ فِي اللِّسَانِ . وَهِيَ مُوقِظَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ سِنَةِ
الغفلةِ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ سَكْرَةِ الْخَيْرَةِ

(١) من ازاحه عن موضعه اذا نجاه وابعده

وَمِنَ الْحِكْمِ الْمَأْثُورَةَ عَنِ السَّلَفِ

(٣) إِنَّ فِي ذَهَابِ الذَّاهِبِينَ لَعِبْرَةً لِلْقَوْمِ الْغَابِرِينَ^(١)

إِنَّ لِلْأُمُورِ بَغْتَاتٍ فَكُنْ مِنْهَا عَلَى حَذَرٍ

إِنَّ الطَّلَبَ وَإِنْ قَلَّ أَعْظَمُ مِنَ الْحَاجَةِ وَإِنْ كَثُرَتْ

إِنَّ الْقُدْرَةَ تُصَغِّرُ الْأُمْنِيَّةَ

إِنَّ لَكَ فِي مَالِكَ شَرِيكَيْنِ : الْخُدَثَانِ وَالْوَارِثَ . فَإِنْ

أَسْتَطَعْتَ أَنْ لَا تَكُونَ أَمْخَسَ الشَّرَكَاءِ فَأَفْعَلْ .

إِنَّ أَحَقَّ مَا صَبَرْتَ عَلَيْهِ مَا لَمْ تَجِدْ سَبِيلًا إِلَى دَفْعِهِ

إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ غَمًّا الَّذِي نَزَلَ غَيْرُهُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي

هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنْهُ

(٤) إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَسَّعَ أَرْزَاقَ الْحَمَقِيِّ لِيَعْتَبِرَ

الْعُقَلَاءَ وَيَعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَا يُنَالُ مَا فِيهَا بِعَقْلِ وَلَا حِيلَةٍ

إِنَّ لِكُلِّ فَضْلٍ زَكَاةً^(٢) وَإِنْ زَكَاةَ الْمَالِ الصَّدَقَةُ

عَلَى الْفَقِيرِ الْمُحْتَاجِ . وَإِنْ زَكَاةَ الْقُوَّةِ الْمُدَافَعَةُ عَنِ الضَّعِيفِ

الْمُظْلُومِ . وَإِنْ زَكَاةَ الْبَلَاغَةِ الْقِيَامُ بِمُجِبَّةٍ مِنْ قَدْ عَجَزَ عَنْ

(١) الباقي (٢) الزكاة ما اخرجته من مالك لتطهره به

حُجَّتِهِ • وَإِنَّ زَكَاةَ الْجَاهِ أَنْ يُعَادَ (١) بِهِ عَلَى مَنْ لَا جَاهَ لَهُ •
 وَإِنَّ زَكَاةَ الْعِلْمِ التَّعْلِيمُ لِمَنْ قَصَرَ عِلْمُهُ
 إِنَّ فِي صَلَاحِ مَالِكَ بَقَاءَ عَزِّكَ وَتَقَاءَ عِرْضِكَ
 إِنَّ الرَّجُلَ لَيَكُونُ أَمِينًا فَإِذَا رَأَى الضِّيَاعَ خَانَ
 إِنَّ الْوَعْظَ الَّذِي لَا يَجِبُهُ (٢) سَمْعٌ وَلَا يَعْدِلُهُ نَفْعٌ مَا يَصْمُتُ
 عَنْهُ لِسَانُ الْقَوْلِ وَيَنْطِقُ بِهِ لِسَانُ الْفِعْلِ
 إِنَّ الْأَمَالَ قَطَعَتْ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ كَالسَّرَابِ غَرَّ مَنْ
 رَأَاهُ وَأَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ

* * *

(٥) إِنَّا الدُّنْيَا شَرِكٌ فَانظُرْ أَيْنَ تَضَعُ قَدَمَيْكَ مِنْهَا
 إِنَّا يُخْتَبَرُ وَدُّ الرَّجُلِ عِنْدَ الْحَاجَةِ
 إِنَّا السُّلْطَانُ سُوقٌ فَأَنْفَقَ عِنْدَهُ حِمْلَ إِلَيْهِ
 إِنَّا يَسْتَحِقُّ اسْمَ الْإِنْسَانِيَّةِ مَنْ حَسَنَ خُلُقَهُ
 إِنَّ عِزَّ مَالِكَ عَنِ الْمِسْكِينِ أَوْ دَوَاؤُكَ عَنِ الْمَرِيضِ
 أَوْ حِيلَتِكَ عَنِ اسْتِخْرَاجِ الْمَسْجُونِ فَلَا تَعْجِزْ عَنْهُمْ رَحْمَتِكَ وَعِيَادَتِكَ

(١) عاد بالمعروف على الرجل إذا فضل عليه (٢) يسكره

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْلَمَ كَيْفَ صَاحِبِكَ لَكَ فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ لغيرِكَ

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَصِلَ إِلَى ذُرْوَةِ الْعَجْدِ فَعَلَيْكَ بِحِفْظِ الْعَهْدِ
إِنْ أَحْبَبْتَ أَنْ تُطَاعَ فَلَا تُحْمِلْ مَا لَا يُسْتَطَاعُ

* * *

(٦) لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تُفَكِّرَ فِيهِ فَإِنَّ فِكْرَةَ الْعَاقِلِ
مِرَاتُهُ تَرْبِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ

لَا تَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِكَ الظَّنَّ إِذَا جَعَلْتَ نَفْسَكَ هَدَفًا لِلتَّهْمَةِ
لَا تُسْرِعْ إِلَى أَرْفَعِ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ . فَالْمَوْضِعُ الَّذِي
تُرْفَعُ إِلَيْهِ خَيْرٌ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّذِي تُحِطُّ عَنْهُ

لَا تَذْكُرِ الْمَيِّتَ بِسَوْءٍ فَتَكُونَ الْأَرْضُ أَكْتَمَ عَلَيْهِ مِنْكَ
لَا تَصْطَنِعْ مَنْ خَانَهُ الْأَصْلُ وَلَا تَصْحَبْ مَنْ فَاتَهُ الْعَقْلُ .
لَإِنَّ مَنْ لَا أَصْلَ لَهُ يَغْشَى مِنْ حَيْثُ يَنْصَحُ وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ
يُفْسِدُ مِنْ حَيْثُ يُصَلِّحُ

لَا تَتْرِكِ الْأَمْرَ مُقْبِلًا وَلَا تَطْلُبُهُ مُدْبِرًا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
ضَعْفِ الْعَقْلِ وَقِلَّةِ الرَّأْيِ

(٧) لَا تُكَيِّنُ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ بِطُولِ الْجُمُالَةِ فَإِنَّ
أَجْرَ النَّاسِ عَلَى السَّبَاعِ أَكْثَرُهُمْ لَهَا مُعَايَنَةً

لَا يَمْنَعُكَ مِنْ فِعْلِ الْحَسَنَةِ مَنْ يَزِدُّ رِيهَا
لَا تَعْمَلْ عَمَلًا لَا يَنْفَعُكَ لَا خَيْرَ فِي لَذَّةِ تُعَقِّبُ نَدَمًا
لَا تَلُومَنَّ أَحَدًا عَلَى مَا يَهْوَى فَإِنَّ لَوْمَكَ لَهُ إِغْرَابٌ

لَا كَنْزَ أَنْفَعُ مِنَ الْعِلْمِ وَلَا مَالٌ أَرْبَحُ مِنَ الْحِلْمِ وَلَا كَسْبٌ
أَزِينُ مِنَ الْأَدَبِ وَلَا قَرِينٌ أَشْبَهُ مِنَ الْبُخْلِ وَلَا عَقْلٌ أَحْسَنُ
مِنَ التَّفَكُّرِ وَلَا حَسَنَةٌ أَعْلَى مِنَ الصَّبْرِ وَلَا حِلْيَةٌ أَجْمَلُ مِنَ
الرَّفْقِ وَلَا زِينَةٌ أَبْدَعُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ وَلَا حَيَاةٌ أَطْيَبُ مِنَ
الصِّحَّةِ وَلَا حَارِسٌ أَحْفَظُ مِنَ الصَّمْتِ

(٨) لَا يَحْمِلَنَّكَ الْخُرُوجُ مِنْ أَمْرٍ تَخَلَّصْتَ مِنْهُ عَلَى الدُّخُولِ
فِي أَمْرٍ لَعَلَّكَ لَا تَخْلُصُ مِنْهُ

لَا تَتَهَاوَنُ بِالْأَمْرِ الصَّغِيرِ إِذَا كَانَ يَقْبَلُ النُّمُوَّ
لَا تَفْرَحْ بِسُقْطَةِ غَيْرِكَ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يُوقِعُهُ الزَّمَانُ بِكَ
لَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ إِذْ لَآءًا مِنْكَ عَلَيْهِ فَتَبْقَى بِلَا أَخٍ
لَا تَطْمَعُ فِي كُلِّ مَا تَسْمَعُ

لَا تَعُدُّ الشَّيْخَ (١) آمِينًا فَإِنَّهُ لَا عِنَّةَ مَعَ الشُّحِّ . وَلَا تَعُدُّ
الْكَذَّابَ حُرًّا فَإِنَّهُ لَا مَرْوَةَ مَعَ الْكُذِّبِ .

* * *

(٩) مَا يَظْهَرُ الْوُدَّ الْمُسْتَقِيمُ إِلَّا مِنَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ .
مَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمَشَاوِرَةِ وَلَا اُكْتُسِبَتِ الْبُغْضَاءُ
بِمِثْلِ الْكِبَرِ .

مَا أَقْرَبَ النِّعْمَةَ مِنْ أَهْلِ الْبُغْيِ
مَا أَبْيَنَ وَجْوهَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي مِرَاةِ الْعَقْلِ إِذَا لَمْ يَصُدَّهَا
الْهُوَى

مَا اللَّهُ خَانٌ عَلَى النَّارِ وَلَا الْعَجَّاجُ (٢) عَلَى الرِّيحِ بِأَدَلٍّ مِنْ
ظَاهِرِ الْإِنْسَانِ عَلَى بَاطِنِهِ

مَا مَاتَ مِنْ أَحْيَا عِلْمًا وَلَا أَفْتَقَرَ مِنْ مَلِكٍ فَهَمًّا
مَا أَحَبَّ أَحَدٌ الرِّئَاسَةَ إِلَّا حَسَدًا وَبَغْيًا وَطَفَنِي وَتَبِعَ عَيْوَبَ
النَّاسِ وَكَرِهَ أَنْ يُذَكَرَ أَحَدٌ بِخَيْرٍ

مَا أَقْبَحَ التَّكْبِيرَ عِنْدَ الْإِسْتِغْنَاءِ وَمَا أَفْضَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ

مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ تَفْعَلَهُ أَحَدٌ أَنْ يَخْطُرَ بِإِلَّاكَ
مَا أَسْهَلَ الْمَوْتَ عَلَى مَنْ أَيْقَنَ بِمَا بَعْدَهُ وَأَصْعَبَهُ عَلَى مَنْ
شَكَّ فِي مَا بَعْدَهُ

* * *

(١٠) إِذَا رَقَّتْ^(١) حَالُ الْإِنْسَانِ هَانَ عَلَى الْإِخْوَانِ
إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا فَوْقَ مِقْدَارِهِ تَكَرَّرَتْ^(٢) أَخْلَاقُهُ
لِلنَّاسِ

إِذَا أَبْصَرَتِ الْعَيْنُ الشَّهْوَةَ عَمِيَ الْقَلْبُ عَنِ الْإِخْتِبَارِ
إِذَا طَلَبَ رَجُلَانِ أَمْرًا ظَفَرَ بِهِ أَعْظَمُهَا مَرْوَةً . فَإِنْ
أُسْتَوِيَا فِي الْمَرْوَةِ فَأَكْثَرُهَا أَعْوَانًا . فَإِنْ أُسْتَوِيَا فِي الْأَعْوَانِ
فَأَسْعَدُهَا جَدًّا

إِذَا كُنْتَ فِي غَيْرِ بَلَدِكَ فَلَا تَنْسَ نَصِيْبَكَ مِنَ الْأُذْلِ
إِذَا لَمْ تُرَبِّحْكَ تِجَارَةٌ فَأَعْدِلْ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا
إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ فِي نَفْسِهِ خَيْرٌ لَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ فِيهِ خَيْرٌ
إِذَا مَدَحْتَ شَيْئًا فَأَخْتَصِرْ وَإِذَا ذَمَمْتَ فَأَقْتَصِرْ

(١) رقت الرجل اذا ضعف وقل ماله (٢) تغيرت عن حالها

إِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ مَا تُرِيدُ فَارِدُ مَا يَكُونُ
 (١١) إِذَا كَانَ لِلْمُحْسِنِ مِنَ الْجُزَاءِ مَا يُقْنَعُهُ وَالْمُسِيءِ مِنَ
 النَّكَالِ (١) مَا يَقْنَعُهُ (٢) بَدَلَ الْمُحْسِنِ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ رَغْبَةً وَأُنْقَادَ
 الْمُسِيءِ لِلْحَقِّ رَهْبَةً

إِذَا أَحْسَنْتَ الْقَوْلَ فَأَحْسِنِ الْفِعْلَ لِيَجْتَمِعَ مَعَكَ مَزِيَّةُ
 اللِّسَانِ وَثَمَرَةُ الْإِحْسَانِ

إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يَقْبَلُ مِنْهُ وَالسِّلَاحُ عِنْدَ مَنْ
 لَا يَسْتَعْمِلُهُ وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَنْفِقُهُ ضَاعَتِ الْأُمُورُ

إِذَا عَدِمَ الْإِنْسَانُ الْعَقْلَ وَالتَّوْفِيقَ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ شَيْءٌ مِنْ
 أَمْرِهِ

إِذَا ظَلَمَكَ أَحَدٌ فَأَرْضَ بِاللَّهِ مُنْصِيفًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ أَنْتِصَارًا
 لِظُلَامَتِكَ

إِذَا أَنْقَطَعَ رَجَاؤُكَ مِنْ صَدِيقِكَ فَالْحَقَّهُ بِعَدُوِّكَ
 إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَصْلِحَ لَكَ يَوْمُكَ فَأَفْتَحْهُ بِصَدَقَةٍ وَاخْتِمَهُ
 بِعَارِفَةٍ

(١) العقاب الذي يجعل عبرة للناس (٢) يقهره ويمنعه ويردعه

إِذَا اسْتَقَمْتَ فِي جَمِيعِ أَمْرِكَ فَلَا تَبَالِ بِمَقَالِ غَيْرِكَ

(١٢) إِذَا أَمَّ الْأُمَّمَ فَالْمُعَاجَلَةُ بِالْمُعَاجَلَةِ

إِذَا أَتَاكَ الْخَصْمُ وَقَدْ فُقِيتَ عَيْنُهُ فَلَا تَحْكُمْ لَهُ حَتَّى يَأْتِيَ

خَصْمُهُ فَلَعَلَّهُ قَدْ فُقِيتَ عَيْنَاهُ جَمِيعًا

إِذَا وُيِّتَ سُلْطَانًا فَأَبْعِدْ عَنْكَ الْأَشْرَارَ فَإِنَّ جَمِيعَ عِيُوبِهِمْ

مَنْسُوبَةٌ إِلَيْكَ

إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْلَمَ مَا يَغْلِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ قُوَى الْخَيْرِ

وَالشَّرِّ فَاسْتَشِرْهُ بِدَلَالِكَ رَأْيِهِ عَلَيْهِ أَصَحُّ دَلَالَةٍ

إِذَا امْكَنْتَ عَدُوَّكَ مِنْ أَدْنِكَ فَقَدْ تَعَرَّضْتَ لِلغَرَقِ فِي بَحْرِهِ

إِذَا أَدْبَرَ الْأَمْرُ كَانَ الْعَطْبُ فِي الْحَيْلَةِ

إِذَا اسْتَطَالَتْ أَيْدِي الْعَمَالِ يَحْقِيقُ الْأَخْتِلَالَ بِيُوتِ الْمَالِ

وَالْأَمْوَالِ

إِذَا اجْتَمَعَ لِلرَّئِيسِ حَسَنُ التَّدْبِيرِ وَالْخَبْرَةُ وَالْعِلْمُ وَالْجُودُ

وَالْإِقْدَامُ وَالْغَيْرَةُ وَالْإِسْتِقَامَةُ فَنَاهِيكَ بِهِ

إِذَا تَحَكَّمَ سُلْطَانُ الْهَوَى هَدَمَ أَرْكَانَ الْقُوَى

إِذَا تَوَاتَرَتْ عَلَى الْمَرْءِ الْعِلَلُ ظَهَرَ فِي عَقْلِهِ الْخُلَلُ

إِذَا فَتَحْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَحَدٍ أَبَا مِنَ الْمَعْرُوفِ فَأَحْذَرُ
أَنْ تُغْلِقَهُ وَلَوْ بِالْكَلِمَةِ الْجَمِيلَةِ

* * *

(١٣) إِيَّاكَ وَالذَّلَّةَ فَإِنَّهَا تُفْسِدُ الْحُرْمَةَ
إِيَّاكَ وَشُرْبَ الدَّوَاءِ مَا حَمَلَتْكَ الصِّحَّةُ
إِيَّاكَ وَالْإِنْفَاقَ مَعَ الْإِخْفَاقِ
إِيَّاكَ وَالْأَسْتِرْسَالَ مَعَ الْأَسْفَالِ
إِيَّاكَ وَالسُّكْنَى مَعَ ذَوِي الشُّعْنَاءِ ^(١) فَخَيْرُكَ فِيهِمْ يُظَوِّى
وَشَرُّكَ يُرْوَى

إِيَّاكَ وَالْإِخْوَانَ الْخُوَانَ الطَّاعِينَ عَلَيْكَ الضَّاحِكِينَ لَكَ
الْحَافِظِي هَفْوَاتِكَ أَيَّامَ مُصَادَقَتِكَ عِدَّةَ لَيَّامٍ مُفَارَقَتِكَ
إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ شَابٍ مُعْجَبٍ بِرَأْيِهِ أَوْ كَبِيرٍ قَدْ أَخَذَ
الدَّهْرُ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا أَخَذَ مِنْ جِسْمِهِ

إِيَّاكَ وَمَا يَسْبِقُ إِلَى الْقُلُوبِ انْكَارُهُ وَإِنْ كَانَ عِنْدَكَ أَعْتِدَارُهُ
إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَقُولُ بِالْعَقْلِ وَيَعْمَلُ بِالْهَوَى

١٤ قَالَ عَلِيٌّ: مِنْ عَلَامَاتِ الْمَأْمُونِ عَلَى دِينِ اللَّهِ بَعْدَ الْإِقْرَارِ
وَالْعَمَلِ الْحَزْمُ فِي أَمْرِهِ وَالصِّدْقُ فِي قَوْلِهِ وَالْعَدْلُ فِي حُكْمِهِ
وَالشَّفَقَةُ عَلَى رَعِيَّتِهِ . لَا تُخْرِجُهُ الْقُدْرَةُ إِلَى خُرْقٍ وَلَا اللَّيْنُ
إِلَى ضَعْفٍ . وَلَا تَمْنَعُهُ الْعِزَّةُ مِنْ كَرَمٍ عَفْوٍ وَلَا يَدْعُوهُ الْعَفْوُ
إِلَى إِضَاعَةِ حَقٍّ . وَلَا يَدْخِلُهُ الْإِعْطَاءُ فِي سَرَفٍ وَلَا يُفِضِي
بِهِ الْقَصْدُ إِلَى بُخْلِ وَلَا تَأْخُذُهُ نِعْمَةُ اللَّهِ بِبَطَرٍ

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: مَهْمَا قُلْتَ إِنِّي فَاعِلٌ فَاَفْعَلْ .
وَلَا تَجْعَلْ قَوْلَكَ لَعْوًا " فِي عَفْوٍ وَلَا عَقُوبَةٍ . وَلَا تُوعِدَنَّ
عَلَى مَعْصِيَةٍ بِأَكْثَرِ مِنْ عَقُوبَتِهَا فَإِنَّكَ إِنِ فَعَلْتَ أَثِمْتَ وَإِنْ
تَرَكَتْ كَذَبْتَ . وَلَا تُكَلِّفَنَّ ضَعِيفًا أَكْثَرَ مِنْ طَاقَةِ نَفْسِهِ وَالسَّلَامُ
١٥ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَمْ
يَنْفَعُهُ الْإِيمَانُ: حِلْمٌ يَرُدُّ بِهِ جَهْلَ الْجَاهِلِ . وَوَرَعٌ يَحْجِزُهُ
عَنِ الْمَعَارِمِ . وَخُلُقٌ يَدَارِي بِهِ النَّاسَ

وَمِنْ كَلَامِهِ: إِيَّاكُمْ وَالْبَطْنَةَ فَإِنَّهَا مَكْسَلَةٌ عَنِ الصَّلَاةِ
مُفْسِدَةٌ لِلجِسْمِ مُؤَدِّيَةٌ إِلَى السَّقَمِ . وَعَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ فِي قُوتِكُمْ

(١) اللغوالكلام الذي لا يعند به

فَإِنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ السَّرْفِ وَأَصْحَحُ لِلْبَدَنِ وَأَقْوَى عَلَى الْعِبَادَةِ . وَإِنَّ
الْعَبْدَ أَنْ يَهْلِكَ حَتَّى يُؤَثِّرَ شَهْوَتَهُ عَلَى دِينِهِ

وَقَالَ عَلِيٌّ : يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ يَتَعَهَّدَ أُمُورَهُ وَيَتَفَقَّدَ
أَعْوَانَهُ حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ .
ثُمَّ لَا يَتْرُكُ أَحَدَهُمَا بِغَيْرِ جَزَاءٍ فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ ذَلِكَ تَهَانَ
الْمُحْسِنِ وَأَجْتَرَأَ الْمُسِيءُ وَفَسَدَ الْأَمْرُ وَضَاعَ الْعَمَلُ

وَمِنْ حِكْمِهِ : لَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي نَفْسِكَ
بَلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءٍ غَيْظٍ . وَلَكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ وَإِحْيَاءَ
حَقِّ

١٦ قَالَ الْحُسَيْنُ : لَا تَتَكَلَّفْ مَا لَا تُطِيقُ وَلَا تَتَعَرَّضْ لِمَا
لَا تُدْرِكُ وَلَا تَعْدُ بِمَا لَا تُقْدِرُ عَلَيْهِ . وَلَا تُتَفَقَّ إِلَّا بِقَدْرِ مَا
تَسْتَفِيدُ . وَلَا تَطْلُبْ مِنَ الْجَزَاءِ إِلَّا بِقَدْرِ مَا صَنَعْتَ . وَلَا
تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَا تَتَنَاوَلْ إِلَّا مَا
رَأَيْتَ نَفْسَكَ لَهُ أَهْلًا

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ : مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَا يُوَافِقُ
فِعْلُهُ فَإِنَّمَا يُوَسِّخُ نَفْسَهُ

وَقَالَ عَلِيٌّ : قُلُوبُ الْجِبَالِ تَسْتَفِرُّهَا الْأَطْمَاعُ وَتَرْتَمِنُ^(١)
بِالْأَمَانِيِّ وَتَتَلَقُّ بِالْخِدَاعِ . وَكَثْرَةُ الصَّمْتِ زِمَامُ اللِّسَانِ
وَحَسْمُ^(٢) الْفِتْنَةِ وَعَذَابُ الْحَسَنِ .

وَمِنْ حِكْمِهِ : اخْتَرْنَا أَنْ تَكُونَ مَغْلُوبًا وَأَنْتَ مُنْصِفٌ .
وَلَا تَفْرَحْ أَنْ تَكُونَ غَالِبًا وَأَنْتَ ظَالِمٌ .

وَمِنْ لَطَائِفِهِ : لَا تَهْضِمَنَّ مَحَاسِنَكَ بِالْفَخْرِ وَالتَّكْبَرِ .
١٧ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِّ : تَمَامُ أَدَبِ الصِّدِّيقِ الْإِخْبَارُ
بِمَا تَحْتَمِلُهُ الْعُقُولُ .

وَقَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِأَبِيهِ : مَا السِّيَاسَةُ . فَقَالَ :
هَيْبَةُ الْخَاصَّةِ مَعَ صِدْقِ مَوَدَّتِهَا وَأَنْقِيَادُ قُلُوبِ الْعَامَّةِ بِالْإِنْصَافِ
لَهَا وَأَحْتِمَالِ الْهَفَوَاتِ .

وَقَالَ مُوَفَّقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ : إِيَّاكَ وَالسُّكُوتَ فِي مَحَلِّ
الْحَاجَةِ وَرُجُوعِ النُّوبَةِ إِلَيْكَ . إِمَّا لِاسْتِخْرَاجِ حَقِّ أَوْ اجْتِلَابِ
مَوَدَّةٍ أَوْ تَنْبِيهِ عَلَى فَضِيلَةٍ .
وَقَالَ الْمَنْصُورُ : الْخَلِيفَةُ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا التَّقْوَى . وَالسُّلْطَانُ

لَا يُقِيمُهُ إِلَّا الطَّاعَةُ . وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ . وَأَوَّلَى
النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ . وَأَنْقَصُ النَّاسِ مَرْوَةً وَعَقْلًا
مَنْ ظَلَمَ مَنْ هُوَ دُونَهُ

١٨ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَزِ : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يُغْنِيَ أَوْلَادَهُ
فِي حَيَاتِهِ لِيُؤَدِّبَهُمْ فِي حَالِ الْغِنَى وَيُعَلِّمَهُمْ سِيَاسَةَ النِّعْمَةِ . وَإِلَّا
ظَفِرُوا بِالْغِنَى بَعْدَهُ وَهُمْ جُهَالٌ بِهِ فَاسْرِعُوا إِلَى التَّعَدِّي فِيهِ
وَحَصَلُوا عَلَى ذَمِّ الصَّاحِبِ وَنَدَمِ الْعَوَاقِبِ

وَمِنْ نَصَائِحِهِ : يَنْبَغِي لِلْمُعَدِّثِ أَنْ يُحْسِنَ أَنْ يَسْمَعَ وَيَسْتَمَعَ
وَيَنْتَقِي الْأَمْلَالَ بِبَعْضِ الْأَقْلَالِ . وَيَزِيدُ إِذَا فَهِمَ مِنْ
الْعَيُونِ الْأَسْتِزَادَةَ . وَيُدْرِي كَيْفَ يَفْضِلُ وَيَصِلُ وَيَجْهِي
وَيُشِيرُ فَذَلِكَ زِينُ الْأَدَبِ

وَمِنْ كَلَامِ عَلِيِّ : فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ . وَالْإِعْتِبَارُ
يُفِيدُكَ الرَّشَادَ . وَكَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهْتَهُ مِنْ غَيْرِكَ .
وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ

١٩ مِنْ حِكْمِ مُوَفَّقِ الدِّينِ الْبَغْدَادِيِّ : لَا تَتَرَفَّعْ بِجَيْتِ
تُسْتَقِلُّ . وَلَا تَنْزَلْ بِجَيْتِ تُسْتَخْسِرُ وَتُسْتَحْقِرُ . وَأَجِبْ مَنْ

حَيْثُ تَعْقِلُ لَا مِنْ حَيْثُ تَعْتَادُ وَتَأَلَّفُ : وَأَنْتَزِخَ عَنْ عَادَاتِ
الْصَبَا وَتَجَرَّدَ عَنْ مَأْلُوفَاتِ الطَّبِيعَةِ

وَمِنْ نَصَائِحِهِ : يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَنْ يَقْرَأَ التَّوَارِيخَ وَأَنْ
يَطَّلِعَ عَلَى السَّيْرِ وَتَجَارِبِ الأُمَمِ . فَيَصِيرَ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ فِي عُمُرِهِ
الْقَصِيرِ قَدْ أَدْرَكَ الأُمَّمَ الحَالِيَةَ وَعَاصِرَهُمْ وَعَاشِرَهُمْ وَعَرَفَ
خَيْرَهُمْ وَشَرَّهُمْ

وَقَالَ آخِرُ : كُلُّ مَا غَرَسْتَهُ تَجْنِيهِ إِلاَّ ابْنُ آدَمَ فَإِذَا
غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ . وَقِيلَ : ابْنُ آدَمَ ذَيْبٌ مَعَ الضَّعْفِ . أَسَدٌ
مَعَ القُوَّةِ

٢٠ أَوْصَى بَعْضُ المُلُوكِ ابْنَهُ فَقَالَ : أَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ خَيْرًا
بِأُمُورِ عِيَالِكَ . فَإِنَّ المَسِيءَ يَفْرَقُ ^(١) مِنْ خَيْرَتِكَ قَبْلَ أَنْ
تُصِيبَهُ عَقُوبَتِكَ . وَالمُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ
مَعْرِوْفُكَ . وَليَعْرِفِ النَّاسُ مِنْ أَخْلَاقِكَ أَنَّكَ تُعَاجِلُ بِالثَّوَابِ
وَالْعِقَابِ . فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِخَوْفِ الحَائِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي
وَمِنْ كَلَامِ بَهْرَامِ جُورَ : يَنْبَغِي لِلْمَلِكِ أَنْ لَا يَعْاقِبَ وَهُوَ

غَضَبَانُ لِأَنَّهَا حَالٌ لَا يَسْلَمُ فِيهَا مِنَ التَّعَدِّيِّ وَالتَّجَاوُزِ لِحَدِّ
 الْعُقُوبَةِ . فَإِذَا سَكَنَ غَضَبُهُ وَرَجَعَ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ أَمَرَ بِعُقُوبَةِ
 الْمُذْنِبِ عَلَى الْحَدِّ الَّذِي سَنَّهُ الشَّرِيعَةُ . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الشَّرِيعَةِ
 جَعَلَ ذَلِكَ وَسَطًا

وَقَالَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّيِّعِ : مَنْ كَلَّمَ الْمَلُوكَ فِي حَاجَةٍ
 فِي غَيْرِ وَقْتِهَا جَهَلَ مَقَامَهُ وَأَضَاعَ كَلَامَهُ

٢١ سَأَلَ زَيْنُ الْعَابِدِينَ : مَا الْمُرُوءَةُ . فَقَالَ : إِنْصَافُ مَنْ
 دُونِكَ وَالسَّمُوهُ إِلَى مَنْ فَوْقَكَ وَالْجَزَاءُ بِمَا أُوتِيَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ
 وَقَالَ جَعْفَرُ الصَّادِقُ : مَنْ أَكْرَمَكَ فَأَكْرَمَهُ وَمَنْ اسْتَخَفَّ
 بِكَ فَأَكْرَمَ نَفْسَكَ عَنْهُ

وَمِنْ كَلَامِهِ : الْمُؤْمِنُ مَنْ إِذَا غَضِبَ لَمْ يُخْرِجْهُ غَضَبُهُ
 مِنْ حَقِّهِ . وَإِذَا أَرْضَى لَمْ يَدْخُلْهُ رِضَاهُ فِي بَاطِلٍ . وَالَّذِي إِذَا
 قَدَرَ لَمْ يَأْخُذْ أَكْثَرَ مِمَّا لَهُ

أَوْصَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ ابْنَهُ فَقَالَ : يَا بُنَيَّ إِنِّي مُؤَدِّ
 إِلَيْكَ حَقَّ اللَّهِ فِي تَأْدِيبِكَ وَنَصِيحَتِكَ فَادِرٌ إِلَيَّ حَقُّهُ عَلَيْكَ
 فِي الْأَسْتِمَاعِ وَالْقَبُولِ . يَا بُنَيَّ كَفَّ الْأَذَى وَأَفِضِ الْوَدَى .

وَأَسْتَعِنُ بِالسَّلَامَةِ بِطُولِ الصَّمْتِ فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَدْعُوكَ
نَفْسُكَ إِلَى الْكَلَامِ فِيهَا . فَإِنَّ الصَّمْتَ حَسَنٌ وَلِلْمَرْءِ سَاعَاتٌ
يُضْرَهُ فِيهَا خَطَاؤُهُ وَلَا يَنْفَعُهُ فِيهَا صَوَابُهُ . وَأَعْلَمُ أَنَّ مِنْ
أَعْظَمِ الْخَطَايَا الْعَجَلَةَ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْإِنَاءَةَ عِنْدَ الْفُرْصَةِ

٢٢ أَوْصَى الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ مُعَلِّمٌ وَوَلَدِهِ فَقَالَ : إِنِّي كَفَيْتَهُمْ
نَسَبَهُمْ فَأَكْفِيَنِي أَدَبَهُمْ . أَغْذَهُمْ بِالْحِكْمَةِ فَإِنَّهَا رَيْحُ الْقُلُوبِ
وَأَيَّدَهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى . وَمَرَّنَهُمْ عَلَى الْأَعْرَابِ فَإِنَّهُ
مَدْرَجَةُ الْبَيَانِ . وَفَقَّهَهُمْ فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ فَإِنَّهُ حَارِسٌ مِنْ
أَنْ يَظْلِمُوا وَمَانِعٌ مِنْ أَنْ يَظْلَمُوا وَالسَّلَامُ

وَقَالَ عَلِيُّ : مَنْ أَسْتَرْشَدَ غَيْرَ الْعَقْلِ أَخْطَأَ مِنْهَاجِ الرَّأْيِ .
وَمَنْ أَخْطَأَتْهُ وَجُوهُ الْمَطَالِبِ خَذَلَتْهُ الْحِيَلُ . وَمَنْ أَخْلَى
بِالصَّبْرِ حَرِمَ حُسْنَ الْعَاقِبَةِ . فَإِنَّ الصَّبْرَ قُوَّةٌ مِنْ قُوَّةِ
الْعَقْلِ . وَبِقَدْرِ مَوَادِّ الْعَقْلِ وَقُوَّتِهَا يَقْوَى الصَّبْرُ

وَمِنْ حِكْمِهِ : أَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ مَلَكَ جِدُّهُ هَزَلَهُ وَقَهَرَ
رَأْيُهُ هَوَاهُ . وَأَعْرَبَ عَنْ ضَمِيرِهِ فِعْلُهُ . وَلَمْ يَخْذَعَهُ رِضَاهُ
عَنْ حَظِّهِ

٢٣ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أُدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ . الْإِنْتِبَاضُ مِنَ النَّاسِ
مَكْسَبَةٌ لِلْعِدَاوَةِ وَالْإِنْبِسَاطُ إِلَيْهِمْ مَجْلَبَةٌ لِقِرْنَاءِ السَّوِّءِ . فَكُنْ
بَيْنَ الْمُنْتَبِضِ وَالْمُنْبَسِطِ

سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ أَنْ يُوصِيَهُ
فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَيْكَ تَأَنٍّ وَعَجَلَةٌ وَكَيْسٌ ^(١) وَعَجْزٌ
فَدَاوٍ بِمَعْضَاهَا بَعْضٌ . وَلَا تُصَاحِبْ مِنَ الرِّجَالِ مَنْ قَدَّرَكَ
عِنْدَهُ كَقَدْرِ حَاجَتِهِ مِنْكَ . فَإِذَا انْقَطَعَتْ حَوَائِجُهُ انْقَطَعَتْ
أَسْبَابُ مَوَدَّتِهِ . وَأَتَّخِذْ مِنَ الرِّجَالِ كُلِّ مَنْ لَهُ قَدَمٌ فِي
الْخَيْرِ وَعَزِيمَةٌ فِي الْحَقِّ فَإِنَّهُ يُعِينُكَ وَيَكْفِيكَ مَوْتَهُ . وَإِذَا
غَرَسْتَ غَرْسًا فَأَحْسِنِ تَرْبِيَتَهُ

وَقَالَ أَبَانُ بْنُ سَلِيمٍ : كَلِمَةٌ حِكْمَةٌ مِنْ أَخِيكَ خَيْرٌ لَكَ
مِنْ مَالٍ يُعْطِيكَ . لِأَنَّ الْمَالَ يُظْفِيكَ وَالْكَلِمَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ
تَهْدِيكَ

٢٤ أَوْصَى بَعْضُ الْعُلَمَاءِ ابْنَهُ فَقَالَ لَهُ : أَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ
الْأَدَبَ أَفْضَلُ أَثَاثٍ وَالْمَرْوَةَ أَفْضَلُ مِيرَاثٍ . لِأَنَّ الْأَدَبَ

(١) الكيس حسن التاني في الامور والعقل والفتنة

زِينَةُ الْحَسَبِ وَحَلِيَّةٌ فِي الْمَجَالِسِ وَأَنْسٌ فِي الْوَحْدَةِ وَعَوْنٌ
 فِي الْمُرُوءَةِ . وَإِنَّا الْمَرْءُ بِمُرُوءَتِهِ وَأَصْلُ الْمُرُوءَةِ اجْتِنَابُ
 الْمَرْءِ مَا يَشِينُهُ وَأَخْتِيَارُهُ مَا يَزِينُهُ . وَلَا مُرُوءَةَ لِمَنْ لَا أَدَبَ
 لَهُ . وَلَا أَدَبَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ . فَوَاطِبُ يَا بَنِي عَلَى طَلَبِ
 الْأَدَبِ جُهْدَكَ وَأَشْغَلْ بِهِ عَقْلَكَ وَتَدَبَّرْ مِنْهُ فِي الْخَلَاءِ مَا
 يَزِينُكَ فِي الْمَلَاءِ

وَقَدْ رَسَمْتُ لَكَ يَا بَنِي رَسْمًا إِنْ لَزِمْتَهُ أَجَلَّكَ الْمُلُوكُ
 وَأَنْقَادَ لَكَ السُّوقَةَ وَالصَّعَالِيكَ . يَا بَنِي أَوَّلُ مَا أُوصِيكَ بِهِ
 تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَالشُّكْرُ لَهُ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَأَمْتِثِلْ
 قَوْلَ الشَّاعِرِ

لَيْسَ الشَّرِيفُ بِكَامِلٍ فِي ظَرْفِهِ حَتَّى يَكُونَ عَنِ الْحَرَامِ عَظِيمًا
 فَإِذَا تَوَرَّعَ عَنِ مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهِنَاكَ يُدْعَى فِي الْأَنَامِ ظَرِيفًا
 يَا بَنِي إِذَا اجْتَمَعَتْ عَلَيْكَ أَشْغَالُ جَمَّةٍ فَأَبْدَأْ بِأَحْبَبِهَا إِلَى
 اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَحْمَدِهَا عَاقِبَةً . فَفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ
 اِعْمَلْ وَأَنْتَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَى حَذَرٍ وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَبْعُوثٌ
 وَأَعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ عَمَلٍ مُخَصِّي عَلَيْكَ وَمَا خَلَّفْتَ مَوْزُوتٌ

وَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّبْرَ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ وَأَحْسَنُ الْمَعَاقِلِ
فَعَلَيْكَ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
صَبْرْتُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُجِدْ غَيْبَ صَبْرِهِ

أَلَدَّ وَأَحَلَى مِنْ جَنَى النَّحْلِ فِي الْقَمِّ

يَا بُنَيَّ اسْتَغْنِ عَنِ النَّاسِ جُهْدَكَ فَيَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَيْكَ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ أَغْنَى النَّاسِ عَنِ النَّاسِ مَنْ أَفْرَدَ اللَّهُ بِحَاجَتِهِ . وَمَا
اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللَّهِ إِلَّا أَفْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ

يَا بُنَيَّ لَا تَزْهَدَنَّ فِي مَعْرُوفٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ ذُو صُرُوفٍ فَكَمْ
مِنْ طَالِبٍ كَانَ مَطْلُوبًا إِلَيْهِ وَرَاغِبٍ صَارَ مَرْغُوبًا مَا لَدَيْهِ .
وَأَعْلَمُ أَنَّ الزَّمَانَ ذُو أَلْوَانٍ وَمَنْ يَصْحَبِ الزَّمَانَ يَرِ الْأَهْوَانَ
وَكَانَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

وَعُدَّ مِنَ الرَّحْمَنِ فَضْلًا وَمِنَّةً عَلَيْكَ إِذَا مَا جَاءَ لِلْعُرْفِ طَالِبٌ
وَلَا تَمْنَعَنَّ ذَا حَاجَةٍ جَاءَ طَالِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاغِبٌ
رَأَيْتُ أَلْوَانَ هَذَا الزَّمَانِ بِأَهْلِهِ وَبَيْنَهُمْ فِيهِ تَكُونُ الْعَجَائِبُ
يَا بُنَيَّ إِذَا فَعَلْتَ مَعْرُوفًا فَلَا تَمَنَّ بِهِ . فَإِنَّ الْمِنَّةَ تَهْدِمُ
الصَّنِيعَةَ وَتَحْبِطُ^(١) الْأَجْرَ وَتُسْقِطُ الشُّكْرَ وَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ

(١) تبطل

فَلَا تَكُ مَنَابًا بِخَيْرٍ فَعَلْتَهُ فَقَدْ يَفْسِدُ الْمَعْرُوفَ بِالْمَنْ صَاحِبِهِ
 وَكُنْ يَا بَنِي أَحْسَنُ مَا تَكُونُ فِي الظَّاهِرِ حَالًا أَقَلُّ مَا تَكُونُ
 فِي الْبَاطِنِ جَمَالًا . وَعَلَيْكَ بِالْوَفَاءِ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى النُّقَى . وَأَعْلَمُ
 أَنَّهُ لَا يَتِمُّ كَرَمُ الْمَرْءِ إِلَّا بِحُسْنِ وَفَائِهِ . يَا بَنِي إِذَا وَعَدْتَ
 أَحَدًا عِدَّةً فَتَمِّمْهَا وَعَجِّلْ بِهَا . وَخُذْ فِي أُمُورِكَ بِالْإِنَاءَةِ وَحَسَنِ
 التَّثَبُّتِ تَسْلَمُ مِنْ عِتَابِ الْإِخْوَانِ عِنْدَ عَوَاقِبِهَا . وَإِذَا أُمْتَمَنَكَ
 أَحَدٌ عَلَى أَمَانَةٍ فَالَهُ عَنْ ذِكْرِهَا حَتَّى تُسَلِّمَهَا مَصُونَةً إِلَى أَهْلِهَا
 يَا بَنِي أَلْقِ صَدِيقَكَ وَعَدُوَّكَ بِوَجْهِ الرِّضَى وَكَفَّ عَنْهَا
 الْأَذَى وَكُنْ لِلْإِخْوَانِ وَالرُّفَقَاءِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

وَكُنْتُ إِذَا صَحِبْتُ رِجَالَ قَوْمٍ صَحِبْتُهُمْ وَشِيمَتِي الْوَفَاءُ
 فَأَحْسِنُ حِينَ يُحْسِنُ مُحْسِنُوهُمْ وَأَجْتَنِبُ الْإِسَاءَةَ إِنْ أَسَاءُوا
 أَشَاءَ سِوَى مَشِيئَتِهِمْ وَأَتِي مَشِيئَتَهُمْ وَأَتْرُكُ مَا أَشَاءَ
 يَا بَنِي أَكْرِمُ عَرِضَكَ وَصْنُهُ جُهْدَكَ وَأَجْعَلُ مَالَكَ وَقَايَةَ
 لِعَرِضِكَ وَأَجْعَلُ عَرِضَكَ وَقَايَةَ لِدِينِكَ وَكُنْ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ
 أَتِي بِمَالِي عَرِضِي لَا أُدْنِسُهُ

لَا بَارَكَ اللَّهُ بَعْدَ الْعَرِضِ فِي الْمَالِ

أَحْتَالُ فِي الْمَالِ إِنْ أَوْدَى فَأَكْسِبُهُ
 وَلَسْتُ لِلْعَرَضِ إِنْ أَوْدَى بِمُحْتَالٍ
 يَا بَنِي كُنْ حَذِيرًا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ (١) وَكُنْ ذَاكِرًا كَأَنَّكَ
 سَاهٍ . وَكُنْ فَطِنًا كَأَنَّكَ غَافِلٌ . فَإِنَّ اللَّيْبَ الْعَاقِلَ هُوَ
 الْفَطْنُ الْمُتَغَافِلُ . وَإِذَا أَعْتَذَرَ إِلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ قَوْلٍ بَلَغَتْهُ عَنْهُ
 أَوْ سَمِعَتْهُ مِنْهُ فَأَقْبِلْ مَعْذِرَتَهُ وَلَا تَدَعْ صَلَاتَهُ فَتَكُونَ قَدْ جَعَلْتَ
 صَدِيقًا عَدُوًّا

يَا بَنِي كُنْ جَوَادًا بِالْمَالِ فِي مَوْضِعِ الْحَقِّ . بِخِيَلًا
 بِالسِّرِّ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ . فَإِنَّ مِنْ تَعَامٍ كَرَمٍ الْحَرَّ الْقِيَامِ
 بِالْبِرِّ وَالْجَلِّ بِمَكْتُومِ السِّرِّ

يَا بَنِي إِذَا التَّبَسَّ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَشَاوِرْ لِبَيْبَا . وَإِذَا أُرْسِلْتَ
 رَسُولًا فَلْيَكُنْ حَلِيمًا (٢) . فَإِنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ فَكُنْ رَسُولَ
 نَفْسِكَ . فَإِنَّ مُشَاوَرَةَ اللَّيْبِ قُوَّةٌ لِرَأْيِكَ وَحِلْمٌ رَسُولِكَ
 حَزْمٌ فِي أُمُورِكَ . وَإِذَا اسْتَشَارَكَ عَدُوًّا أَوْ صَدِيقًا فَأَمْنَحْهُ
 النَّصِيحَةَ . فَإِنْ فَعَلْتَ قُلْتَ بِالْحِكْمَةِ وَبَرَّتَ مِنْ التَّهْمَةِ .

(١) جاهل لا تجربة لك (٢) عاقلاً

يَا بُنَيَّ لَا تَدْعُ مَوْاصِلَةَ الْكَرِيمِ وَفِرَّ الْفِرَارَ كُلَّهُ مِنَ اللَّئِيمِ
فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَكَ وَدُّهُ إِلَّا مِنْ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ أَوْ فَرَقِ^(١)
مِنْكَ . فَإِنْ أَسْتَغْنَى عَنْكَ كَانَ عَلَيْكَ . وَإِذَا أَحْتَجْتَ إِلَيْهِ
هُنْتَ عِنْدَهُ . قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ مَنْ أَحْوَجَكَ الدَّهْرُ إِلَيْهِ وَتَعَلَّقَتْ بِهِ هُنْتَ عَلَيْهِ
لَيْسَ يَصْفُو وَدُّ مِنْ آخِيَتِهِ إِنْ تَعَرَّضْتَ لِشَيْءٍ فِي يَدَيْهِ
يَا بُنَيَّ عَلَيْكَ بِالْصِّدْقِ فَإِنَّهُ زَيْنٌ فِي الدُّنْيَا وَنَجَاةٌ فِي الْآخِرَةِ .
وَصِدْقٌ يُعْطِبُ صَاحِبَهُ خَيْرٌ مِنْ كَذِبٍ يَنْجُو بِهِ كَاذِبُهُ .
وَجَنَّبِ الْكُذِبَ فَإِنَّهُ شَيْنٌ فِي الدُّنْيَا وَوَبَالٌ فِي الْآخِرَةِ .
وَالْكَذُوبُ يُرَدُّ صِدْقُهُ كَمَا يُرَدُّ كَذِبُهُ . وَعَلَيْكَ بِالسَّخَاءِ
وَأَكْتِسَابِ الْحَمْدِ وَالْمُدَارَاةِ عَنِ الْعَرِضِ

وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ حِينَ الطَّاعَةِ لَهَا . وَبِرَّهَا
مِيتِينَ الرَّحْمِ عَلَيْهَا . وَالْكَفُّ عَنِ أَعْرَاضِ النَّاسِ صِيَانَةٌ
لِأَعْرَاضِهَا . قَالَ الشَّاعِرُ
وَمَا عَقَّ مَوْلُودٌ مِنَ الدَّاسِ وَالِدًا عُقُوقَ الَّذِي يُجْنِي لِوَالِدِهِ شَتْمًا

يَا بُنَيَّ لَا تَسْتَخِفَّ بِمُحَقَّقِ الرَّجَالِ فَيَسْتَخَفُّوا بِمُحَقِّكَ . وَأَقْبَلْ
 مِنْهُمْ الْجَمِيلُ وَكَافِي عَلَيْهِ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ دَامَ لَكَ
 حَمْدُهُمْ وَصَفَا لَكَ وَدُهُمْ . وَخُذْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ

خُذِ الْعَفْوَ وَأَصْحَحْ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ

وَدَعْ كَدَرَ الْأَخْلَاقِ وَأَعْمِدْ لِمَا صَفَا

يَا بُنَيَّ إِذَا أَحْبَبْتَ فَلَا تَفْرِطْ وَإِذَا أَبْغَضْتَ فَلَا تُشْطِطْ .

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ

وَأَحْبِبْ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ قَاطِعُ

وَأَبْغِضْ إِذَا أَبْغَضْتَ بَغْضًا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ

يَا بُنَيَّ إِذَا سَمِعْتَ كَلِمَةً حَاسِدٍ فَكُنْ كَأَنَّكَ غَيْرُ شَاهِدٍ

قَالَ الشَّاعِرُ

أَعْرِضْ عَنِ الْعَوْرَاءِ إِنْ أُسْمِعْتَهَا وَأَقْعُدْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ لَا تَسْمَعُ

يَا بُنَيَّ إِذَا نَازَعْتِكَ نَفْسُكَ إِلَى أَمْرٍ مَحْظُورٍ فَنَحْوِهَا سُوءَ

الْعَاقِبَةِ وَعَاتِبَهَا عَلَى مَا بِهِ طَالَبْتِكَ . فَإِنْ لَمْ يَنْفَعِهَا عِتَابُكَ

فَكَيْفَ يَنْفَعُهَا عِتَابُ غَيْرِكَ . وَفِي ذَلِكَ قِيلَ

وَلَيْسَ عِتَابُ النَّاسِ لِلْمَرْءِ نَافِعًا إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ لُبٌّ يِعَاتِبُهُ

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَالْبُخْلَ فَإِنَّهُ لَوْمٌ وَصَاحِبُهُ مَذْمُومٌ . وَإِيَّاكَ
وَالْمَطْلَ فَإِنَّهُ أَجَابٌ لِلذَّمِّ مِنَ الْبُخْلِ . وَلَا تَنْقُلْ نَمِيمَةً فَتَكْسِبَ
بِهَا شَتِيمَةً . مَعَ أَنَّ مَنْ عُرِفَ بِهَا تَحْفِظًا مِنْ مَجَالَسَتِهِ وَزُهْدًا
فِي مَوَاصِلَتِهِ

يَا بُنَيَّ لَا تَعِبْ أَحَدًا بِمَا يَبْدُو لَكَ مِنْ عِيُوبِهِ . فَإِذَا
هَمَمْتَ بِذَلِكَ فَأَذْكُرْ عِيُوبَ نَفْسِكَ . فَإِنَّكَ تَرَى مَا يَشْغُلُكَ
عَنْ عِيُوبِ النَّاسِ . فَإِنْ عَيْبْتَ أَحَدًا بِمَا فِيهِ كَانَ ذَلِكَ قَبِيحًا .
وَأَقْبَحُ مِنْهُ أَنْ تَعِيبَهُ بِمَا فِيكَ . وَفِي ذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ
إِذَا مَا ذَكَرْتَ النَّاسَ فَاتْرُكْ عِيُوبَهُمْ

فَلَا عَيْبَ إِلَّا دُونَ مَا مِنْكَ يَذْكُرُ
فَإِنْ عَيْبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي هُوَ فِيهِمْ .

فَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ مِنْكَ كَرُ

وَإِنْ عَيْبْتَ قَوْمًا بِالَّذِي فِيكَ مِثْلُهُ

فَكَيْفَ يَعْيبُ الْعُورَ مَنْ هُوَ أَعْوَرُ

يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَقَرِينَ السُّوءِ فَإِنَّا صِلَاحُ أَخْلَاقِ الْعَرَّةِ

بِمُقَارَنَةِ الْكِرَامِ وَفَسَادُهَا بِمُحَادَثَةِ اللَّئَامِ . وَإِنَّا يُعْرِفُ الْعَرَّةُ

بِقَرِينِهِ وَخَدِينِهِ . وَإِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْكَلَامِ وَالْمَزَاحِ وَالضَّحِكِ
 فَإِنَّ مَعَ كَثْرَةِ الْكَلَامِ الزَّلَلِ وَالْمَزَاحِ يُورِثُ الْبَغْضَاءَ وَكَثْرَةَ
 الضَّحِكِ تَذْهِبُ الْبِهَاءَ . فَأَقْلِلْ مِنَ الْكَلَامِ . وَلْيَكُنْ ضَحِكُكَ
 تَبَسًّا . وَلَا تُمَازِحْ شَرِيفًا فَيَحْقِدَ عَلَيْكَ . وَلَا وَضِيعًا فَيَجْتَرِيَّ
 عَلَيْكَ . وَالزَّمِ الصَّمْتَ وَلْيَكُنْ كَلَامُكَ بِتَقْدِيرٍ وَصَمْتُكَ فِي
 تَفْكِيرٍ . وَأَعْلَمْ أَنَّ الْمِرَاءَ ^(١) يُمْرِضُ قَلْبَكَ وَيُضْعِفُ رَأْيَكَ
 وَيُزِرِّي بِمُرُوءَتِكَ عِنْدَ جُلَسَائِكَ وَيُفْسِدُ الصَّدَاقَةَ الْقَدِيمَةَ .
 وَأَعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ مِنَ الْكَلَامِ مَا هُوَ أَحْرُّ مِنَ الْجَمْرِ وَأَمْرُهُ
 مِنَ الصَّبْرِ . وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 النَّارُ أَبْلَغُ أَوْجَاعٍ سَمِعْتُ بِهَا وَالْقَوْلُ أَبْلَغُ مِنْ كَيِّْ الْمَسَامِيرِ
 يَا بُنَيَّ إِذَا آتَيْتَ بَلَدَةً أَهْلَهَا عَلَى غَيْرِ مَا تَعْرِفُ فَاتْرُكْ
 كَثِيرًا مِمَّا كُنْتَ تَعْرِفُ وَخُذْ بِمَا يَعْرِفُونَ . فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
 حُسْنِ الْمُدَارَاةِ . وَكَثِيرٌ مِنْ دَارِي فَلَمْ يَسْلَمْ . فَكَيْفَ بِنَ
 لَمْ يَدَارِ

يَا بُنَيَّ أَغْضِ عَنِ الْفُكَاهَاتِ مِنَ الْمَضَاحِكِ وَالْحِكَايَاتِ .

(١) المجادلة والظعن في قول الخصم تصغيراً له

وَلَا تَبَدَّلْ تَبَدُّلَ الْعَبْدِ . وَلَا تُلَحَّ فِي الْحَاجَاتِ وَلَا تَخَضَعُ فِي
الطَّلِبَاتِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تُعَلِّمَ أَهْلَكَ وَوَالِدَكَ كَثْرَةَ مَالِكَ أَوْ قِلَّتَهُ .
فَإِنَّهُمْ إِنْ عَلِمُوا قِلَّتَهُ هُنَّتْ عَلَيْهِمْ . وَإِنْ عَلِمُوا كَثْرَتَهُ لَمْ
تَبْلُغْ بِهِ رِضَاهُمْ

يَا بَنِي أَخْفِ أَهْلَكَ وَوَالِدَكَ فِي غَيْرِ عُنْفٍ وَأَرْفُقْ بِهِمْ
فِي غَيْرِ ضَعْفٍ وَلَا تَرِهِمْ بَغْضًا فَيَنْفَرُوا مِنْكَ . وَأَحْبِبْ وَوَالِدَكَ
وَأَحْسِنِ أَدَبَهُمْ . وَلَا تُهَازِلْ أَمَّتَكَ وَلَا عَبْدَكَ

يَا بَنِي إِذَا خَاصَمْتَ فَدَعْ الْحِدَّةَ وَفَكِّرْ فِي الْحُجَّةِ . وَأَصْبِرْ
لِمَنْ خَصَمَكَ ^(١) وَلَا تَغْضَبْ فَتَذْهَلَ عَنْ حُجَّتِكَ . وَأَرِ الْحَاكِمَ
بَيْنَكَ حِلْمَكَ . وَلَا تَكْثِرِ الْإِشَارَةَ بِيَدِكَ

يَا بَنِي لَا تَقْرُشْ عِرْضَكَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ . وَلَا تَنْقُضْ عَهْدًا
فَتَحْمِلَ بِذَلِكَ حَقْدًا . . . يَا بَنِي اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْذَرِ أَنْ تَعْصِيَهُ . فَإِنَّهُ
لَيْسَ لَكَ مِنْ وِرَائِهِ وَزَرٌ ^(٢) . وَلَا مِنْ دُونِهِ مُعْتَصِمٌ

وَإِيَّاكَ وَالْخُمْرَ فَإِنَّهَا مَتْلَفَةٌ لِلْمَالِ . وَمَفْسَدَةٌ لِلْعَقْلِ وَمَسْقَطَةٌ
لِلنَّبِيَّةِ وَالْبِهَاءِ . وَإِيَّاكَ وَالْإِخْتِلَافَ فَإِنَّهُ لَيْسَ مَعَهُ اتِّتِلَافٌ .
وَلَا يَكُنْ لَكَ جَارُ السُّوءِ جَارًا وَلَا خَدِينُ السُّوءِ زَوَّارًا

(١) غلبك في الخصومة (٢) ملجأ

الباب الثالث

في اللطائف

قَالَ الرَّشِيدُ لِلْمَأْمُونِ : لَا تَتَكَلَّمْ عَلَيَّ أَنْ تَقُولَ كَانَ أَبِي
الرَّشِيدَ . وَأَعْمَلْ عَلَيَّ مَا يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي الْمَأْمُونِ

* * *

وَقَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ يَوْمًا لِقَوْمِهِ : إِنِّي أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ
لَيْسَ لِي فَضْلٌ عَلَيْكُمْ . لَكِنِّي أَبْسُطُ لَكُمْ وَجْهِي وَأَبْدُلُ لَكُمْ
مَالِي وَأَقْضِي حُقُوقَكُمْ وَأَحُوطُ حَرِيمَكُمْ . فَمَنْ فَعَلَ مِثْلَ فِعْلِي
فَهُوَ مِثْلِي وَمَنْ زَادَ عَلَيَّ فَهُوَ خَيْرٌ مِنِّي وَمَنْ زِدْتُ عَلَيْهِ
فَأَنَا خَيْرٌ مِنْهُ . قِيلَ لَهُ : يَا أَبَا مُحَمَّدٍ مَا يَدْعُوكَ إِلَى هَذَا
الْكَلَامِ . قَالَ : حَضَمْتُ عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ

* * *

قَالَ أَعْرَابِيٌّ لِذَاوُدَ بْنِ يَزِيدَ الْمُهَلَّبِيِّ : إِنِّي لَمْ أَصُنْ وَجْهِي
عَنْ مَسْئَلَتِكَ فَصُنْ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّي . وَضَعْنِي مِنْ كَرَمِكَ
حَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنَ الثِّقَةِ بِكَ . فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ

دِرْهِمٍ وَقَالَ لَهُ: هِيَ أَكْبَرُ مِنْ قَدْرِكَ . فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ:
لَئِنْ جَاوَزْتَ قَدْرِي فَأَبْلَغَتْ أَمْلِي فِيكَ

* * *

اجْتَمَعَ النَّاسُ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ وَقَامَ الْخُطْبَاءُ لِبَيْعَةِ^(١) يَزِيدٍ وَأَظْهَرَ
قَوْمٌ الْكِرَاهَةَ . فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخُطْبَاءِ يُقَالُ لَهُ يَزِيدُ بْنُ
الْمُنْعِ . فَأَخْطَرَ طَمَاحًا مِنْ سَيْفِهِ شِبْرًا ثُمَّ قَالَ: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
هَذَا (وَأَشَارَ إِلَى مُعَاوِيَةَ) ثُمَّ قَالَ: فَإِنَّ يَهْلِكَ فِهَذَا . (وَأَشَارَ
إِلَى يَزِيدٍ) ثُمَّ قَالَ . فَمَنْ أَبِي فِهَذَا (وَأَشَارَ إِلَى سَيْفِهِ) .
فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ سَيِّدُ الْخُطْبَاءِ

* * *

كُتِبَ عَلَى بَابِ قَرْيَةٍ مِنْ قَرَى بَلْخِ . أَبْوَابُ الْمُلُوكِ
تَحْتَاجُ إِلَى ثَلَاثَةِ: عَقْلٍ وَإِبَاءٍ وَمَالٍ . فَلَمَّا قَرَأَهَا أَحَدُ الْحُكَمَاءِ
كَتَبَ تَحْتَهَا: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ . مَنْ كَانَ لَهُ وَاحِدٌ مِنْهَا لَمْ
يَقْرَبْ بَابَ السُّلْطَانِ

* * *

أَرَادَ عُمَرُ بْنُ هَبِيرَةَ أَنَّ يُؤَلِّيَ أَبَا حَنِيفَةَ الْقَضَاءَ فَأَبَى .
فَحَلَفَ لِيُضْرِبَنَّهُ بِالسِّيَاطِ وَيَسْجِفَنَّهُ . فَضْرَبَهُ حَتَّى انْتَفَخَ وَجْهُهُ
وَرَأْسُهُ مِنَ الضَّرْبِ . فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ : الضَّرْبُ بِالسِّيَاطِ فِي
الدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنَ الضَّرْبِ بِمَقَامِعِ الْحَدِيدِ فِي الآخِرَةِ

* * *

تَقَدَّمَ الْمَأْمُونُ بْنُ هُرُونَ الرَّشِيدِ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي يَحْيَى
بِنِ أَكْثَمَ مَعَ رَجُلٍ أَدْعَى عَلَيْهِ بِثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ . فَقَدَّمَ
لِلْمَأْمُونِ مَقْعَدًا يَجْلِسُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ يَحْيَى : لَا تَأْخُذْ عَلَيَّ
خَضَمِكَ شَرَفَ الْمَجْلِسِ . وَلَمْ يَكُنْ لِلرَّجُلِ بَيْنَهُ فَأَرَادَ الْقَاضِي
أَنْ يُحَلِّفَ الْمَأْمُونَ . فَدَفَعَ الْمَأْمُونُ إِلَى الرَّجُلِ ثَلَاثِينَ
أَلْفَ دِينَارٍ وَقَالَ : وَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ لَكَ هَذَا الْمَالَ إِلَّا خَشِيَةً
أَنْ تَقُولَ الْعَامَّةُ : إِنِّي تَنَاوَلْتُكَ مِنْ جِهَةِ الْقُدْرَةِ . ثُمَّ أَمَرَ
لِيَحْيَى بِمَالٍ وَأَجْزَلَ عَطَاءَهُ

* * *

عَبَّرَ رَجُلٌ سُقْرَاطَ الْحَكِيمِ بِمُجْمُولٍ نَسَبِهِ وَتَأَهُ عَلَيْهِ بِجَسَبِهِ
وَشَرَفِ آبَائِهِ . فَقَالَ لَهُ سُقْرَاطُ : إِلَيْكَ أَنْتَهَى شَرَفُ قَوْمِكَ

وَمِنِّي أُبَدَأُ شَرَفُ قَوْمِي . فَأَنَا فَخْرُ قَوْمِي وَأَنْتَ عَارُ قَوْمِكَ

* * *

أَهْدَى أَبُو إِسْحَقَ الصَّائِبِي فِي قَوْمِ الْمَهْرَجَانِ ^(١) إِلَى عَضُدِ
الدَّوْلَةِ إِصْطِرْلَابًا ^(٢) فِي جِرْمِ الدَّرْهَمِ وَكَتَبَ مَعَهُ هَذِهِ
الْأَبْيَاتَ

أَهْدَى إِلَيْكَ بَنُو الْأَمْلَاكِ وَأَجْتَهَدُوا

فِي مَهْرَجَانٍ جَدِيدٍ أَنْتَ تَبْلِيهِ

لَكِنَّ عَبْدَكَ إِبْرَاهِيمَ حِينَ رَأَى

سَمُوْ قَدْرِكَ عَنْ شَيْءٍ يُسَامِيهِ

لَمْ يَرْضَ بِالْأَرْضِ يَهْدِيهَا إِلَيْكَ فَقَدَ

أَهْدَى لَكَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِمَا فِيهِ

كَتَبَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ كِتَابَةً بَلِيغَةً إِلَى الْمَنْصُورِ يَشْكُو فِيهَا

سَوْءَ حَالِهِ وَكَثْرَةَ عَيْلَتِهِ وَضَيْقَ ذَاتِ يَدَيْهِ فَكَتَبَ الْمَنْصُورُ

فِي جَوَابِهِ : الْبَلَاغَةُ وَالْغِنَى إِذَا اجْتَمَعَا لِأَمْرٍ أَبْطَرَاهُ . وَإِنْ

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُشْفِقُ عَلَيْكَ مِنَ الْبَطْرِ فَأَكْتَفِ بِأَحَدِهِمَا

(١) عيد الفرس (٢) آلة يقاس بها ارتفاع الشمس والكواكب

لَمَّا مَلَكَ الإسْكَندَرُ بِلَادَ فَارِسَ كَتَبَ إِلَى أَرِسْطُو :
 إِنِّي قَدْ وَتَرْتُ^(١) جَمِيعَ مَنْ فِي المَشْرِقِ . وَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَتَفَقَّهُوا
 بَعْدِي عَلَى قَصْدِ بِلَادِي وَأَذَى قَوْمِي . وَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَقْتُلَ
 أَوْلَادَ مَنْ بَقِيَ مِنَ المُلُوكِ وَالْحَقِيقِ بِأَبَائِهِمْ لئَلَّا يَكُونَ لَهُمْ
 رَأْسٌ يُجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَرِسْطُو : إِنَّكَ إِنْ قَتَلْتَهُمْ
 أَفْضَى المَلِكُ إِلَى السَّفَلَةِ وَالْأَنْدَالِ . وَالسَّفَلَةُ إِذَا مَلَكَوا طَغَوْا
 وَبَغَوْا وَالرَّأْيُ أَنْ تُمَلِّكَ كُلًّا مِنْ أَوْلَادِ المُلُوكِ كُورَةَ^(٢)
 لِيَقُومَ كُلُّ مِنْهُمْ فِي وَجْهِ الأَخْرِ وَيَشْتَغِلَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ فَلَا
 يَتَفَرَّغُوا . فَحَسَمَ الإسْكَندَرُ البِلَادَ عَلَى مُلُوكِ الطَّوَائِفِ

* * *

لَمَّا قُطِعَتْ أَعْضَاءُ الحُسَيْنِ بْنِ مَنْصُورٍ وَاحِدَةً وَاحِدَةً لَمْ
 يَتَأَوَّهُ وَلَمْ يَتَأَلَّمْ . وَكَانَ كَلَّمَا قُطِعَ مِنْهُ عَضْوٌ يَقُولُ
 وَحُرْمَةَ الأُودِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِي إِفْسَادِهِ الأَدَّهْرُ
 مَا قَدَّ لِي عَضْوٌ وَلَا مَفْصِلٌ^(٣) إِلَّا وَفِيهِ لَكُمْ ذِكْرٌ

* * *

(١) أصبت بمكروه (٢) ناحية (٣) كل ملتحق عظيمين من الجسد

كَتَبَ مَلِكُ الْهِنْدِ إِلَى الرَّشِيدِ يَتَهَدَّدُهُ فِي كِتَابٍ طَوِيلٍ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الرَّشِيدُ : الْجَوَابُ مَا تَرَاهُ لَأَمَا تَقْرَأُهُ

* * *

بَنَى عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ بَابًا لِلْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَبَنَى
الْحُجَّاجُ بَابًا آخَرَ بِإِزَائِهِ . فَجَاءَتْ صَاعِقَةٌ فَأَحْرَقَتْ بَابَ عَبْدِ
الْمَلِكِ وَسَلِمَ بَابُ الْحُجَّاجِ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحُجَّاجُ : مَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَوْلَايَ إِلَّا كَمَثَلِ ابْنِي
آدَمَ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ .
فَسَرَى (١) ذَلِكَ عَنْهُ وَأَذْهَبَ حَزْنُهُ

* * *

سُئِلَ الْأِسْكَندَرُ : أَيُّ شَيْءٍ نِلْتَهُ بِمَلِكِكَ أَنْتَ أَشَدُّ
سُرُورًا بِهِ . قَالَ : قُوَّتِي عَلَى مُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيَّ بِأَكْثَرِ
مِنْ إِحْسَانِهِ

* * *

كَانَ فِي زَمَانِ دِيوجَانِسَ الْحَكِيمِ رَجُلٌ مُصَوِّرٌ فَتَرَكَ

(١) كَشَفَ عَنْهُ الْهَمَّ

التَّصْوِيرِ وَصَارَ طَبِيبًا . فَقَالَ لَهُ دِيوجَانِسُ : أَحْسَنْتَ إِنَّكَ
لَمَّا رَأَيْتَ خَطَأَ التَّصْوِيرِ ظَاهِرًا لِلْعَيْنِ وَخَطَأَ الطَّبِّ يُوَارِيهِ
الْتَّرَابُ تَرَكْتَ التَّصْوِيرَ وَدَخَلْتَ فِي الطَّبِّ

* * *

دَخَلَ بَشَارُ الْأَعْمَى عَلَى الْمَهْدِيِّ وَعِنْدَهُ خَالُهُ يَزِيدُ بْنُ
مَنْصُورِ الْحَمِيرِيِّ . فَأَنشَدَهُ قَصِيدَةً يَمْدَحُهُ بِهَا فَلَمَّا أَتَمَّهَا
قَالَ لَهُ يَزِيدُ . مَا صِنَاعَتُكَ أَيُّهَا الشَّيْخُ . فَقَالَ لَهُ : أَتَقْبُ
الْمُلُوءَ . فَقَالَ لَهُ الْمَهْدِيُّ : أَتَهْزَأُ بِمَخَالِي . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا يَكُونُ جَوَابِي لَهُ وَهُوَ يَرَانِي شَيْخًا أَعْمَى يُنْشِدُ شِعْرًا . فَضَحِكَ
الْمَهْدِيُّ وَأَجَازَهُ

* * *

قَالَ رَجُلٌ لِمُطِيعِ بْنِ إِيَّاسٍ : جِئْتُكَ خَاطِبًا مَوَدَّتِكَ .
فَقَالَ لَهُ : قَدْ زَوَّجْتُكَ عَلَى شَرْطٍ أَنْ تَجْعَلَ صِدَاقَهَا (١) أَنْ لَا
تَسْمَعَ فِي مَقَالَةِ النَّاسِ

* * *

لَمَّا وُلِّيَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِيهِ أُطْرَحَ حَارِثَةَ

(١) مهرها

بْنِ بَدْرِ وَجَفَاهُ . فَقَالَ لَهُ حَارِثَةُ : مَا لَكَ لَا تُنْزِلُنِي الْمُنْزِلَةَ
الَّتِي كَانَ يُنْزِلُنِي أَبُوكَ : أَتَدَّعِي أَنَّكَ أَفْضَلُ مِنْهُ أَوْ أَعْقَلُ .
قَالَ لَهُ : إِنَّ أَبِي كَانَ قَدْ بَرَعَ ^(١) فِي الْفَضْلِ وَالسِّيَاسَةِ بَرُوعًا لَا
تُضْرَهُ صُحْبَةُ مِثْلِكَ . وَأَنَا حَدَثٌ أَخْشَى أَنْ تُحْرِقَنِي بِنَارِكَ

* * *

كَانَ بَعْضُ الْمُلُوكِ قَدْ غَضِبَ عَلَى بَعْضِ حَاشِيَتِهِ فَأَسْقَطَ
الْوَزِيرُ اسْمَهُ مِنْ دِيْوَانِ الْعَطَايَا . فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ : أَبْقِهِ عَلَى
مَا كَانَ عَلَيْهِ لِأَنَّ غَضَبِي لَا يُسْقِطُ هِمَّتِي

* * *

سُئِلَ بَعْضُ الْعَرَبِ عَنِ اسْمِهِ فَقَالَ : بَجْرٌ . قَالَ : ابْنُ مَنْ .
قَالَ : ابْنُ فَيَاضٍ . قَالَ : مَا كُنَيْتُكَ . فَقَالَ : أَبُو الْوَدَى .
فَقَالَ : لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ لِقَاؤُكَ إِلَّا فِي زَوْرَقٍ ^(٢)

لا تجتمع المحاباة مع التقوى والعدل

قَالَ الرَّبِيعُ لِلْمَنْصُورِ : إِنَّ لِفُلَانٍ حَقًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ
تُقْضَى حَقُّهُ وَتُوَلِّيهُ نَاحِيَةً . فَقَالَ : يَا رَبِيعُ إِنَّ لَاتِّصَالِهِ بِنَا

(١) فاق (٢) الزورق سفينة صغيرة

حَقًّا فِي أَمْوَالِنَا لَا فِي أَعْرَاضِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ . وَإِنَّا لَا نُؤَلِّي
 لِلْحُرْمَةِ وَالرَّعَايَةِ ^(١) بَلْ لِيَلِ اسْتِحْقَاقِ وَالْكِفَايَةِ . وَلَا نُؤَثِّرُ ذَا
 النَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ عَلَى ذِي الدِّرَايَةِ . فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ كَمَا وَصَفْنَا
 شَارَكِنَاهُ فِي أَعْمَالِنَا . وَمَنْ كَانَ عَطْلًا ^(٢) لَمْ يَكُنْ لَنَا عُذْرٌ عِنْدَ
 النَّاسِ فِي تَوَلِّيَتِنَا إِيَّاهُ . وَكَانَ الْعُذْرُ فِي تَرْكِِنَا لَهُ . وَفِي خَاصِّ
 أَمْوَالِنَا مَا يَسَعُهُ

عدالة الاسكندر

إِنَّ الْإِسْكَندَرَ كَانَ يُسْأَلُ عَنْ سِيرَةِ الْمَلِكِ الَّذِي
 يَقْصِدُهُ . فَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ فِيهَا بَعْضُ الْحَيْفِ أَوْ الْجَوْرِ
 أَوْ الْمِيلِ مَعَ هَوَى أَوْ فِسَادٍ فِي تَدْبِيرٍ أَوْ تَضْيِيعِ لِسْنَةٍ أَوْ
 حَزْمٍ . فَيَكْتُبُ إِلَيْهِ : إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا وَأَنَّكَ
 تَحْيِفُ ^(٣) عَلَيَّ رَعِيَّتِكَ وَتُخَالِفُ السُّنَّةَ . فَإِنِ انْتَقَلْتَ عَنْ ذَلِكَ
 فَإِنَّكَ لِي أَخٌ وَأَنَا لَكَ عَوْنٌ . وَإِنِ آيَّتْ فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ
 عَلَى نَفْسِي إِقَامَةَ الْحَقِّ وَإِحْيَاءَ السُّنَّةِ وَالْأَخْذَ لِلْمَظْلُومِ مِنْ

(١) من رعى عليه حرمة إذا حفظها (٢) خاليًا من المال والادب والخلي

(٣) تجور وتظلم

الظالم . وليس الإسكندر وأصحابه ممن يبالي بالموت .
فإن موتاً على حقٍ خيرٌ من حياةٍ على باطلٍ . ولأنَّ يهلكَ
طالباً للحقِّ خيرٌ له من أن يعيشَ قاعداً عنه

ذكاء المأمون

قيل إنَّ الكِسائيَّ كان لا يردُّ^(١) أولادَ الرَّشيدِ إذا
غَلَطُوا في العَرَضِ عَلَيْهِ . إنا كان لا يزالُ منكسباً طرفه فإذا
غَلَطَ أَحَدُهُمْ نَظَرَ إِلَيْهِ وَرُبَّمَا ضَرَبَ الْأَرْضَ بِمُخِيزَرَانَةٍ فِي
يَدَيْهِ . فَأَفْتَتَحَ الْمَأْمُونُ يَوْمًا إِحْدَى السُّورِ^(٢) عَلَى الْكِسَائِيِّ .
فَلَمَّا قَرَأَ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ » نَظَرَ
إِلَيْهِ الْكِسَائِيُّ . فَتَأَمَّلَ الْمَأْمُونُ فَإِذَا هُوَ مُصِيبٌ فَمَضَى فِي
قِرَاءَتِهِ . فَلَمَّا صَارَ إِلَى الرَّشِيدِ قَالَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِن
كُنْتَ قَدْ وَعَدْتَ الْكِسَائِيَّ وَعَدًّا فَإِنَّهُ يَسْتَنْجِزُهُ . فَقَالَ لَهُ :
كَانَ قَدْ اسْتَعَطَفَنِي عَلَى الْفُقَرَاءِ فَأَقَالَ لَكَ . فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ :
لَمْ يَقُلْ لِي شَيْئًا وَأَخْبَرَهُ بِالْآيَةِ . فَتَمَثَّلَ الرَّشِيدُ
وَأَنْتَ أَمْرُوهُ يُرْجَى لِخَيْرٍ وَإِنَّا لِكُلِّ أَمْرٍ مَا أَوْرَثَتْهُ أَوْلَاهُ

(١) يخطيء (٢) جمع السورة وهي القطعة المستقلة من القرآن

سُئِلَ أَفْلَاطُونُ : أَيُّ شَيْءٍ يَعْظُمُ عَلَيْكَ . فَقَالَ : إِذَا
أَضْطَرَرْنَا أَنْ نَقُولَ الَّذِي إِذَا قُلْنَاهُ غَمٌّ أَصْدِقَاءَنَا . وَإِذَا لَمْ
نَقُلْهُ كَانَ تَقْصَبًا لِلنَّامُوسِ

غلام يخطب بين يدي الخليفة

حُكِيَ أَنَّ الْبَادِيَةَ فَحَطَّتْ ^(١) فِي أَيَّامِ هِشَامٍ . فَقَدِمَتْ
عَلَيْهِ الْعَرَبُ فَهَابُوا أَنْ يَكَلِّمُوهُ . وَكَانَ فِيهِمْ دِرْوَاسُ بْنُ
حَبِيبٍ وَهُوَ ابْنُ سِتِّ عَشْرَةَ سَنَةً لَهُ ذُوَابَةٌ ^(٢) وَعَلَيْهِ شَمْلَتَانِ .
فَوَقَعَتْ عَلَيْهِ عَيْنُ هِشَامٍ فَقَالَ لِحَاجِبِهِ : مَا شَاءَ أَحَدٌ أَنْ
يَدْخُلَ عَلَيَّ إِلَّا دَخَلَ حَتَّى الصَّبِيَّانِ . فَوَثَبَ دِرْوَاسُ حَتَّى
وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُطْرِقًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ لِلْكَلامِ
نَشْرًا وَطَيًّا وَإِنَّهُ لَا يُعْرَفُ مَا فِي طِيِّهِ إِلَّا بِنَشْرِهِ فَإِنْ أذِنَ
لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَنْشُرَهُ نَشْرَتُهُ . فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ وَقَالَ :
أَنْشُرُهُ لِلَّهِ دَرَكًا . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّهُ أَصَابَتْنَا سِنُونَ
ثَلَاثٌ : سَنَةٌ أَذَابَتْ الشَّحْمَ وَسَنَةٌ أَكَلَتْ اللَّحْمَ وَسَنَةٌ دَقَّتْ
الْعَظْمَ . وَفِي أَيْدِيكُمْ فَضُولٌ مَالٍ فَإِنْ كَانَتْ لِلَّهِ فَفَرَّقُوها

(١) أجديت أي انقطع عنها المطر ويست أرضها (٢) ناصية وهي
قصاص الشعر أي حيث تنتهي نبتته من مقدمته أو مؤخره

عَلَى عِبَادِهِ . وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فَعَلَامٌ تَحْبِسُونَهَا عَنْهُمْ . وَإِنْ
كَانَتْ لَكُمْ فَتَصَدَّقُوا بِهَا عَلَيْهِمْ . فَإِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .
فَقَالَ هِشَامٌ : مَا تَرَكَ الْغُلَامُ لَنَا فِي وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ عُدْرًا .
فَأَمَرَ لِلْبَوَادِي بِمِئَةِ أَلْفِ دِينَارٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ حَاجَةٌ .
قَالَ : مَا لِي حَاجَةٌ فِي خَاصَّةِ نَفْسِي دُونَ عَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ . فَخَرَجَ
مِنْ عِنْدِهِ وَهُوَ مِنْ أَجَلِ الْقَوْمِ .

عزيز النفس لا يبغي جفنه على المهانة

قَالَ مُعَاوِيَةُ يَوْمًا لِجَارِيَةِ بْنِ قُدَامَةَ : مَا كَانَ أَهْوَنَكَ عَلَى
قَوْمِكَ إِذْ سَمَّوكَ جَارِيَةَ . فَقَالَ : مَا كَانَ أَهْوَنَكَ عَلَى قَوْمِكَ
إِذَا سَمَّوكَ مُعَاوِيَةَ ^(١) . قَالَ : أَسْكُتُ لِأُمِّ لَكَ . قَالَ : أُمُّ
لِي وَوَلَدَتِي . أَمَا وَاللَّهِ إِنْ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبِينَ
جَوَانِحِنَا . وَالسُّيُوفَ الَّتِي قَاتَلْنَاكَ بِهَا لَفِي أَيْدِينَا . وَإِنَّكَ لَمْ
تُهْلِكْنَا قِسْوَةً وَلَمْ تَمْلِكْنَا عَنُوتَةً . وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَنَا عَهْدًا وَمِيثَاقًا
وَأَعْطَيْتَنَا سَمْعًا وَطَاعَةً . فَإِنْ وَفَيْتَ لَنَا وَفِينَا لَكَ وَإِنْ نَزَعْتَ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّا تَرَكْنَا وَرَاءَنَا رِجَالًا شِدَادًا وَأَسِنَّةً حِدَادًا .

(١) هي الانثى من الكلاب

فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: لَا أَكْثَرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ مِثْلَكَ يَا جَارِيَّةُ. فَقَالَ
لَهُ: قُلْ مَعْرُوفًا فَإِنَّ شَرَّ الدُّعَاءِ مُحِيطٌ بِأَهْلِهِ

* * *

كَانَ أَحْمَدُ بْنُ طُولُونَ وَالِي مِصْرَ مُتَحَلِّياً بِالْعَدْلِ مَعَ
تَجْبُرِهِ وَسَفْكَهِ لِلدِّمَاءِ. وَكَانَ يَجْلِسُ لِلْمَظْلَمِ وَيُنْصِفُ الْمَظْلُومَ
مِنَ الظَّالِمِ. . . حُكِيَ أَنَّ وَلَدَهُ الْعَبَّاسَ اسْتَدْعَى بِمَغْنِيَّةٍ وَهُوَ
يَصْطَبِخُ^(١) يَوْمًا. فَلَقِيهَا بَعْضُ صَالِحِي مِصْرَ وَمَعَهَا غُلَامٌ يَحْمِلُ
عُودَهَا فَكَسَرَهُ. فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ إِلَى أَبِيهِ وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ.
فَأَمَرَ بِإِحْضَارِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فَلَمَّا أُحْضِرَ إِلَيْهِ قَالَ:
أَنْتَ الَّذِي كَسَرْتَ الْعُودَ. قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: أَفَعَلِمْتَ لِمَنْ
هُوَ. قَالَ: نَعَمْ هُوَ لِابْنِكَ الْعَبَّاسِ. قَالَ: أَفَمَا أَكْرَمْتَهُ لِي.
فَقَالَ: أَكْرَمُهُ لَكَ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ. وَلَا طَاعَةَ لِخَلْقِي فِي
مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ. فَأَطْرَقَ أَحْمَدُ عِنْدَ ذَلِكَ ثُمَّ قَالَ: كُلُّ مَنْكَرٍ
رَأَيْتُهُ فَعَيْرُهُ وَأَنَا مِنْ وَرَائِكَ

(١) يشرب الخمر صباحاً

العقلاء يستميلون اليهم الأعداء بلطف تدبيرهم

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ أَرْضٌ وَكَانَ لَهُ فِيهَا عَبِيدٌ
يَعْمَلُونَ فِيهَا . وَإِلَى جَانِبِهَا أَرْضٌ لِمُعَاوِيَةَ وَفِيهَا أَيْضًا عَبِيدٌ
يَعْمَلُونَ فِيهَا . فَدَخَلَ عَبْدُ مُعَاوِيَةَ فِي أَرْضِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
الزُّبَيْرِ . فَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ كِتَابًا إِلَى مُعَاوِيَةَ يَقُولُ لَهُ فِيهِ :
أَمَّا بَعْدُ يَا مُعَاوِيَةُ فَإِنَّ عَبِيدَكَ قَدْ دَخَلُوا فِي أَرْضِي فَأَنْهَمُ
عَنْ ذَلِكَ وَإِلَّا كَانَ لِي وَالكَ شَأْنٌ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ
مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِهِ وَقَرَأَهُ دَفَعَهُ إِلَى وَلَدِهِ يَزِيدَ . فَلَمَّا قَرَأَهُ
قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ : يَا بُنَيَّ مَا تَرَى . قَالَ : أَرَى أَنَّ تَبَعْتَ إِلَيْهِ
جَيْشًا يَكُونُ أَوَّلُهُ عِنْدَهُ وَآخِرُهُ عِنْدَكَ يَا تُونَكَ بِرَأْسِهِ .
فَقَالَ : بَلْ غَيْرُ ذَلِكَ خَيْرٌ مِنْهُ يَا بُنَيَّ . ثُمَّ أَخَذَ وَرَقَةً وَكَتَبَ
فِيهَا جَوَابَ كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ يَقُولُ فِيهِ : أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى كِتَابِكَ وَسَاءَ لِي مَا سَاءَ لَكَ وَاللُّدُنِيَا بِأَسْرَهَا هَيْئَةً
عِنْدِي فِي جَنْبِ رِضَاكَ . نَزَلَتْ ^(١) عَنْ أَرْضِي لَكَ فَأَضِفْهَا
إِلَى أَرْضِكَ بِمَا فِيهَا مِنَ الْعَبِيدِ وَالْأَمْوَالِ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا

وَقَفَّ عَبْدُ اللَّهِ عَلَى كِتَابِ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ : وَقَفْتُ عَلَى
 كِتَابِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ وَلَا أَعْدَمَهُ الرَّأْيَةَ
 الَّذِي أَحَلَّهُ مِنْ قُرَيْشٍ هَذَا الْحَجَلَ وَالسَّلَامُ . فَلَمَّا وَقَفَ
 مُعَاوِيَةُ عَلَى كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ وَقَرَأَهُ رَمَى بِهِ إِلَى ابْنِهِ يَزِيدَ .
 فَلَمَّا قَرَأَهُ تَهَلَّلَ وَجْهَهُ وَأَسْفَرَ . فَقَالَ لَهُ أَبُوهُ : يَا بَنِيَّ مَنْ
 عَفَّاسَادَ وَمَنْ حَلَمَ عَظِيمَ وَمَنْ تَجَاوَزَ أُسْتَمَالَ إِلَيْهِ الْقُلُوبَ .
 فَإِذَا ابْتَلَيْتَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَدْوَاءِ فِدَاؤِهِ بِمِثْلِ هَذَا الدَّوَاءِ

* * *

دَخَلَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْمَنْصُورِ
 بَعْدَ مَا كَتَبَ أَمَانَهُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ إِمَارَتَكُمْ بِكُرْهُ
 وَدَوْلَتَكُمْ جَدِيدَةٌ . فَأَذِيقُوا النَّاسَ حَلَاوَتَهَا وَجَنِّبُوهُمْ مَرَارَتَهَا
 تَخَفْ عَلَى قُلُوبِهِمْ طَاعَتَكُمْ وَتُسْرِعْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ مَحَبَّتَكُمْ

* * *

قَالَ كِسْرَى لِيُوسُفَ الْمَغْنِيَّيَ وَقَدْ قَتَلَ الْفُلَيْهَنْدَ تَلْمِيذَهُ :
 كُنْتُ أُسْتَرِيحُ مِنْكَ إِلَيْهِ وَمِنْهُ إِلَيْكَ فَأَذْهَبَ حَسْدُكَ وَنَعَلَ^(١)

(١) فساد وسوء وضعينة

صَدْرِكَ شَطْرَ تَمْتَعِي • وَأَمَرَ أَنْ يُطْرَحَ تَحْتَ أَرْجُلِ الْفِيلَةِ (١)
 فَقَالَ : أَيُّهَا الْمَلِكُ إِذَا كُنْتُ أَنَا قَدْ أَذْهَبْتُ شَطْرَ تَمْتَعِكَ
 وَأَذْهَبْتَ أَنْتَ الشَّطْرَ الْآخَرَ • أَلَيْسَ جِنَايَتُكَ عَلَى نَفْسِكَ
 مِثْلَ جِنَايَتِي عَلَيْكَ • قَالَ كِسْرَى : دَعُوهُ فَمَا دَلَّهُ عَلَى هَذَا
 الْكَلَامِ إِلَّا مَا جُعِلَ لَهُ مِنْ طُولِ الْمُدَّةِ

* * *

نَظَرَ رَجُلٌ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهُوَ غُلَامٌ صَغِيرٌ فَقَالَ : إِنِّي أَظُنُّ
 أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ سَيَسُودُ قَوْمَهُ • فَسَمِعَتْهُ أُمُّهُ هِنْدٌ فَقَالَتْ :
 تَكَلَّمْتُ إِذَا لَمْ يَسُدْ غَيْرَ قَوْمِهِ

* * *

دَخَلَ أَبُو نَضْرِ عَلَى عَامِلٍ لِلْخَلِيفَةِ فَقَالَ لَهُ الْعَامِلُ : أَبَا النَّضْرِ
 إِنَّا تَأْتِينَا كُتُبٌ مِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ فِيهَا وَفِيهَا وَلَا نَجِدُ بَدَأَ مِنْ
 إِنْفَازِهَا • فَمَا تَرَى : فَقَالَ لَهُ أَبُو النَّضْرِ : قَدْ أَتَاكَ كِتَابٌ
 مِنْ اللَّهِ تَعَالَى قَبْلَ كِتَابِ الْخَلِيفَةِ فَأَيُّهَا أَتَبَعْتَ كُنْتَ مِنْ
 أَهْلِهِ

* * *

(١) جمع فيل

قَالَ الشَّعْبِيُّ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ شَرِيحٍ إِذْ دَخَلَتْ عَلَيْهِ
 أَمْرَأَةٌ تَشْتَكِي زَوْجَهَا وَهُوَ غَائِبٌ وَتَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا. فَقُلْتُ:
 أَصْلَحَكَ اللَّهُ مَا أَرَاهَا إِلَّا مَظْلُومَةً. قَالَ: وَمَا عَلِمْتُكَ
 قُلْتُ: ابْكَايَهَا. قَالَ: لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ أُخُوَّةَ يُوسُفَ جَاءُوا أَبَاهُمْ
 عِشَاءً يَبْكُونَ وَهُمْ لَهُ ظَالِمُونَ

* * *

خَطَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فِي النَّاسِ لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ الْمُصْعَبِ
 أَخِيهِ فَقَالَ: إِنْ يُقْتَلُ فَقَدْ قُتِلَ أَبُوهُ وَأَخُوهُ وَعَمُّهُ. إِنَّا
 وَاللَّهِ لَأَنَمُوتُ حَتْفًا وَلَكِنْ قَطْعًا بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَمَوْتًا تَحْتِ
 ظِلَالِ السُّيُوفِ. وَإِنْ يُقْتَلِ الْمُصْعَبُ فَإِنَّ فِي آلِ الزُّبَيْرِ
 خَلْفًا مِنْهُ

* * *

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِابْنِ عُلْقَمَةَ الثَّعْلَبِيِّ: مَا بَلَغَ
 عِزُّكُمْ. قَالَ: لَمْ يُطْمَعْ فِيْنَا وَلَمْ نُؤْمَنْ. قَالَ: فَمَا مَبْلَغُ
 حِفَاظِكُمْ^(١). قَالَ يَدْفَعُ الرَّجُلُ مَنَا عَمَّنِ اسْتَجَارَ بِهِ مِنْ غَيْرِ

(١) دفاعكم وحمابتكم

قَوْمِهِ كَدِفَاعِهِ عَنِ نَفْسِهِ . قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مِثْلِكَ مَنْ يَصِفُ
قَوْمَهُ

* * *

سَأَلَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَبَا مُحَمَّدٍ عَنْ رَجُلٍ يُؤَلِّيهِ خُرَاسَانَ
فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِي فُلَانٍ . قَالَ : مَصْنُوعٌ لَهُ وَلَيْسَ بِصَاحِبِهَا
قَالَ : فَفُلَانٍ . قَالَ : سَرِيعُ الْغَضَبِ بَعِيدٌ عَنِ الرِّضَى . يَسْأَلُ
الْكَثِيرَ وَيَمْنَعُ الْقَلِيلَ . يَحْسُدُ وَيُنَافِسُ أَبَاهُ وَيَحْقِرُ مَوْلَاهُ .
قَالَ : فَفُلَانٍ . قَالَ : يَكْفِي الأَكْفَاءَ وَيَعَادِي الأَعْدَاءَ وَيَفْعَلُ
مَا يَشَاءُ . قَالَ : مَا فِي وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ خَيْرٌ

* * *

لَمَّا قَدِمَ رِجَالُ الكُوفَةِ عَلَى عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ يَشْكُونَ
سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ عُمَرُ : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ أَهْلِ الكُوفَةِ .
إِنْ وَلَّيْتُ عَلَيْهِمُ التَّقِيَّ ضَعْفُوهُ (١) . وَإِنْ وَلَّيْتُ عَلَيْهِمُ القَوِيَّ
أَفْجَرُوهُ (٢) . فَقَالَ لَهُ المَغِيرَةُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ التَّقِيَّ
الضَّعِيفَ لَهُ نَقْوَاهُ وَعَالِيكَ ضَعْفُهُ . وَالقَوِيُّ الفَاجِرَ لَكَ قُوَّتُهُ
وَعَلَيْهِ فُجُورُهُ . قَالَ : صَدَقْتَ فَأَنْتَ القَوِيُّ الفَاجِرُ فَأَخْرِجْ

(١) عدوه ضعيفاً (٢) وجدوه فاجراً اي منبعثاً في المعاصي

إِلَيْهِمْ . فَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِمْ أَيَّامَ عُمَرَ وَصَدْرًا مِنْ أَيَّامِ عُمَانَ
وَأَيَّامِ مُعَاوِيَةَ حَتَّى مَاتَ

سياسة معاوية في رعيته

قَالَ زِيَادٌ : مَا غَلَبَنِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةُ فِي شَيْءٍ مِنْ
السِّيَاسَةِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً . اسْتَعْمَلْتُ رَجُلًا فَكَسَرَ خِرَاجَهُ
فَخَشِيَ أَنْ أُعَاقِبَهُ فَفَرَّ إِلَيْهِ وَاسْتَجَارَ بِهِ فَأَمَنَهُ . فَكَتَبْتُ إِلَيْهِ :
إِنَّ هَذَا أَدَبٌ سَوْءٌ مِنْ قِبَلِي . فَكَتَبَ إِلَيَّ : إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ
تَسُوسَ كِلَانَا النَّاسَ سِيَاسَةً لِيْنِ فِيمَرْحُوا فِي الْمَعْصِيَةِ وَلَا سِيَاسَةً
شِدَّةً فَتَحْمِلُهُمْ عَلَى الْمَهَالِكِ . وَلَكِنْ تَكُونُ أَنْتَ لِلشِّدَّةِ وَالْعَلِظَةِ
وَأَكُونُ أَنَا لِلرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ

* * *

قِيلَ لِحَلْفِ الْأَحْمَرِ وَكَانَ شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلْيَمَنِ : أَمَا كَانَ
أَبْنُ مَعْدِي كَرِبَ يَكْذِبُ . فَقَالَ : كَانَ يَكْذِبُ فِي الْمَقَالِ
وَيَصْدُقُ فِي الْفِعَالِ

* * *

حِكْمِي أَنَّ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ لَمَّا وَلِيَ الْكُوفَةَ سَارَ إِلَى دَارِ
هِندَ بِنْتِ النُّعْمَانِ وَهِيَ فِيهَا عَمِيَاءُ . فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ :

مَنْ أَزَتْ . قَالَ : الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ الثَّقَفِيُّ . قَالَتْ : مَا حَاجَتُكَ
 قَالَ : جِئْتُ خَاطِبًا . قَالَتْ : إِنَّكَ لَمْ تَكُنْ جِئْتَنِي لِجَمَالٍ أَوْ مَالٍ
 وَلَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَتَشَرَّفَ فِي مَحَافِلِ الْعَرَبِ فَنَقُولُ : تَزَوَّجَتْ
 بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْدِرِ . وَإِلَّا فَأَيْ خَيْرٍ فِي أُجْتِمَاعِ
 عَمِيَاءَ وَأَعْوَرَ

* * *

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : أَتَانِي رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْتَشِيرُنِي فِي أَمْرٍ
 يَتَزَوَّجُهَا . فَقُلْتُ : يَا ابْنَ أَخِي أَقْصِرَةَ النَّسَبِ أَمْ طَوِيلَتُهُ .
 فَلَمْ يَفْهَمْ عَنِّي . فَقُلْتُ : يَا ابْنَ أَخِي أَمَّا الْقَصِيرَةُ النَّسَبِ
 فَالَّذِي إِذَا ذَكَرْتَ أَبَاهَا أَكْتَفَتْ بِهِ . وَالطَّوِيلَةُ النَّسَبِ
 فَهِيَ الَّتِي لَا تُعْرَفُ حَتَّى تُطِيلُ فِي نَسَبِهَا . فَإِيَّاكَ أَنْ تَقَعَ مَعَ
 قَوْمٍ قَدْ أَصَابُوا كَثِيرًا مِنَ الدُّنْيَا مَعَ دَنَاءَةٍ فِيهِمْ فَتُضَيِّعَ
 نَسَبَكَ فِيهِمْ

* * *

كَانَ كِسْرَى أَنْوَشِرَوَانَ يُمْسِكُ عَمَّا تَمِيلُ إِلَيْهِ شَهْوَتُهُ
 وَلَا يَنْهَمِكُ فِيهِ . وَكَانَ يَقُولُ : تَرَكْنَا مَا نَحِبُهُ لِنَسْتَفِينِي عَنِ
 الْعِلَاجِ بِمَا نَكْرَهُهُ

حُرُّ الضمير لا يداهن ولا يطيق المداهنة

لَمَّا نَصَبَ مُعَاوِيَةُ ابْنَهُ يُزِيدَ لَوْلَايَةِ الْعَهْدِ أَقْعَدَهُ فِي قُبَّةِ
 حَمْرَاءَ . وَجَعَلَ النَّاسُ يُسَلِّمُونَ عَلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ يُسَلِّمُونَ عَلَى
 يُزِيدَ حَتَّى جَاءَ رَجُلٌ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَقَالَ :
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ : أَعَلِمَ أَنَّكَ لَوْ لَمْ تُؤَلِّ هَذَا أُمُورَ الْمُسْلِمِينَ
 لَأَضَعْتَهَا . فَقَالَ مُعَاوِيَةُ لِلْأَحْنَفِ وَرَأَاهُ سَاكِنًا : مَا لَكَ لَا
 تَقُولُ يَا أَبَا بَجْرٍ . فَقَالَ : أَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى إِنْ كَذَبْتُ وَأَخَافُكُمْ
 إِنْ صَدَقْتُ . فَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَمَّا تَقُولُ . فَلَمَّا خَرَجَ
 الْأَحْنَفُ لَقِيَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ بِالْبَابِ فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا بَجْرٍ إِنِّي
 لَأَعْلَمُ أَنَّ هَذَا مِنْ شِرَارِ خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى . وَلَكِنَّ فِي أَيْدِيهِمْ
 خَزَائِنَ الْأَمْوَالِ فَلَسْنَا نَطْمَعُ فِي إِخْرَاجِهَا إِلَّا بِمَا سَمِعْتِ .
 فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا هَذَا أَمْسِكْ فَإِنَّ ذَا الْوَجْهَيْنِ خَلِيقٌ أَنْ
 لَا يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا

* * *

قَدِمَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بَعْدَ
 قَتْلِ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ . فَطَلَبَ مِنْهُ سَيْفَ الزُّبَيْرِ وَقَالَ لَهُ :

رُدَّهُ إِلَيَّ فَإِنَّهُ السِّيفُ الَّذِي أَعْطَاهُ الرَّسُولُ إِيَّاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ .
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : أَوْ تَعْرِفُهُ . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : بِمَاذَا .
 قَالَ : أَعْرِفُهُ بِمَا لَا تَعْرِفُ بِهِ سِيفَ أَبِيكَ أَعْرِفُهُ بِقَوْلِ
 الشَّاعِرِ

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفِنَهُمْ
 بَيْنَ فُلُولٍ (١) مِنْ قِرَاعِ (٢) الْكِتَابِ

* * *

كَانَ الْفَرَزْدَقُ هَجَاءً لِعَمْرٍو بْنِ هَبِيرَةَ . فَلَمَّا سَجِنَ وَتُقِبَ
 لَهُ السُّجْنُ وَسَارَ هُوَ وَبَنُوهُ تَحْتَ الْأَرْضِ قَالَ الْفَرَزْدَقُ
 وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ سَدَّ ظَهْرُهَا وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَطْنُهَا لَكَ مَخْرَجًا
 دَعَوْتَ الَّذِي نَادَاهُ يُونُسُ بَعْدَمَا ثَوَى فِي ثَلَاثِ مُظْلِمَاتٍ فَفَرَّجَا
 فَقَالَ ابْنُ هَبِيرَةَ : مَا رَأَيْتُ أَشْرَفَ مِنْ الْفَرَزْدَقِ هَجَائِي
 أَمِيرًا وَمَدَحِي أَسِيرًا

* * *

دَخَلَ أَبُو نُخَيْلَةَ عَلَى مُسْلِمَةَ فَأَنشَدَهُ هَذِهِ الْآيَاتَ
 أَمْسِلِمَةَ يَا فَخْرَ كُلِّ خَلِيفَةٍ وَيَا فَارِسَ الدُّنْيَا وَيَا جَبَلَ الْأَرْضِ

(١) ثلم السيف (٢) مضاربة ومجالدة

شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ دِينٌ عَلَى النَّفْسِ وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ نِعْمَةً يَقْضِي
 وَأَحْبَبْتَ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلًا وَلَكِنْ بَعْضُ الَّذِي كَرَّ أَنْبَهُ مِنْ بَعْضِ
 فَلَمَّا سَمِعَهُ الرَّشِيدُ قَالَ: هَكَذَا يَكُونُ شِعْرُ الْأَشْرَافِ: مَدَحَ
 صَاحِبِهِ وَلَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ

الكريم لا يخل ولو افقر

وَفَدَّ أَبُو الشَّيْمَقِ إِلَى مَدِينَةِ سَابُورَ يُرِيدُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ
 السَّلَامِ . فَلَمَّا دَخَلَهَا تَوَجَّهَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَوَجَدَهُ فِي دَارِ الْخِرَاجِ
 يُطَالِبُ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ يَتَوَجَّعُ لَهُ . فَلَمَّا رَأَاهُ مُحَمَّدٌ قَالَ
 وَلَقَدْ قَدِمْتَ عَلَى رِجَالِ طَالِمَا قَدِمَ الرِّجَالُ عَلَيْهِمْ فَتَمَوُّوا
 أَخْنَى (١) الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ فَكُنَّا نَمَّا كَانُوا بِأَرْضٍ أَقْفَرَتْ فَتَحَوُّوا
 فَقَالَ أَبُو الشَّيْمَقِ

الْجُودُ أَقْفَرَهُمْ وَأَذْهَبَ مَا لَهُمْ فَالْيَوْمَ إِنْ رَامُوا السَّمَاحَةَ بِخَلْوَا
 قَالَ . فَنُفِخَ مُحَمَّدٌ نُوْبُهُ وَخَاتَمَهُ وَدَفَعَهَا إِلَيْهِ . فَكَتَبَ بِذَلِكَ
 مُسْتَوْفِي الْخِرَاجِ إِلَى الْخَلِيفَةِ . فَوَقَعَ إِلَى عَامِلِهِ بِإِسْقَاطِ الْخِرَاجِ
 عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ السَّلَامِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ وَإِسْقَاطِ مَا عَلَيْهِ مِنَ
 الْبَقَايَا . وَأَمَرَ لَهُ بِمِئَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ مَعُونَةً لَهُ عَلَى مَرْوَةِ

(١) اخني عليه الدهر اذا تناول عليه واهلكه

الباب الرابع

في الحكايات والنوادر

سلم الرئاسة

قَالَ عُمَارَةُ الْفَقِيهُ : كُنْتُ أُجَالِسُ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
 كَثِيرًا فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ . فِينَا أَنَا مَعَهُ إِذْ قَالَ لِي : يَا عُمَارَةُ
 إِنْ تَعِشْ قَلِيلًا فَسَتَرَى الْأَعْنَاقَ مَائِلَةً إِلَيَّ وَالْأَمَالَ نَحْوِي
 سَامِيَةً . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ فَلَا عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَنِي لِرَجَائِكَ أَبَا
 وَالْمَلِكِ ذَرِيعةً . فَوَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتَ لِأَمْلَانِ يَدَيْكَ غِبْطَةً
 وَلَا كَسُوتَكَ نِعْمَةً سَابِغَةً . قَالَ : ثُمَّ إِنْ عَبْدَ الْمَلِكِ سَارَ إِلَى
 دِمَشْقَ وَصَارَتْ إِلَيْهِ الْخِلَافَةُ . فَخَرَجْتُ إِلَيْهِ زَائِرًا وَأَسْتَأْذَنْتُ
 فَأَذِنَ لِي وَدَخَلْتُ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ . فَلَمَّا انْقَضَى سَلَامِي قَالَ :
 مَرْحَبًا بِأَخِي . وَنَادَى أَحَدَ غُلَامَيْهِ فَقَالَ : بَوِّئْ لَهُ دَارًا وَأَحْسِنْ
 مِهَادَهُ وَتَزَيَّهُهُ وَآثِرَهُ عَلَى خَاصَّتِي . قَالَ : فَفَعَلْتُ وَأَقَمْتُ عِنْدَهُ
 عِشْرِينَ لَيْلَةً أَحْضَرُ غَدَاءَهُ وَعَشَاءَهُ . فَلَمَّا أَرَدْتُ الْأَنْصِرَافَ
 وَالْأَوْبَةَ إِلَى أَهْلِي أَمَرَ لِي بِعِشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ وَمِئَتِي أَلْفَ

دَرَّهْمٍ وَمِئَةِ نَاقَةٍ بِرِيقِهَا وَكُسُوتِهَا . وَقَالَ لِي : أَتَرَانِي يَا عِمَارَةَ
 مَا لَاتُ يَدِيكَ غِبِطَةً . فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 وَإِنَّكَ ذَاكِرٌ لِدَٰلِكَ . قَالَ : نَعَمْ وَاللَّهِ لَا خَيْرَ فِيمَنْ يَذْكُرُ
 مَا وُعِدَ بِهِ وَيَنْسَى مَا وَعَدَ . كَمْ لِهَذَا الْأَمْرِ يَا عِمَارَةُ .
 قُلْتُ : وَاللَّهِ لَكَانَهُ بِالْأَمْسِ وَلَهُ دَهْرٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
 فَوَاللَّهِ مَا كَانَ ذَلِكَ عَنْ خَيْرٍ سَمِعْنَاهُ وَلَا حَدِيثٍ كَتَبْنَاهُ وَلَا
 أَشْرٍ رَوَيْنَاهُ . غَيْرَ أَنِّي عَقَلْتُ فِي الْخُدَاثَةِ أَشْيَاءَ رَجَوْتُ أَنْ
 يَرْفَعَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَتِي وَيُنْشُرَ بِهَا ذِكْرِي . قُلْتُ : وَمَا هِيَ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : كُنْتُ لَا أَشَارِي ^(١) وَلَا أُمَارِي وَلَا
 أَهْتِكُ سِتْرًا سَتَرَهُ اللَّهُ دُونِي وَلَا أَرْكُبُ مُحَرَّمًا حَظَرَهُ اللَّهُ
 عَلَيَّ . وَلَا حَسَدْتُ وَلَا بَغَيْتُ . وَكُنْتُ مِنْ قَوْمِي كَالْوَاسِطَةِ ^(٢)
 مِنَ الْقِلَادَةِ . وَكُنْتُ أَكْرَمُ جَلِيسِي وَإِنْ كَانَ دَمِيمًا .
 وَأَرْفَعُ قَدْرَ الْأَدِيبِ وَأَكْرَمُ ذَا الثِّقَةِ وَأُدَارِي السَّفِيهَ وَأَرْحَمُ
 الضَّعِيفَ . فَبِذَلِكَ رَفَعَ اللَّهُ قَدْرِي يَا عِمَارَةَ . خُذْ أَهْبَةَ
 السَّفَرِ وَأَمْضِ رَاشِدًا

(١) لا ائتمادي في الخصومة (٢) الجوهري الذي في وسط القلادة

سوء الادارة يهدم اس الملك

إِنَّ الْمُقَدِّرَ مِنْ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ خَلَا يَوْمًا بِبِطَانَتِهِ ^(١)
 فَقَالَ : إِنَّا كُنَّا فِي أَوَّلِ أَمْرِنَا لَا نُنْكِرُ مِنْ حَالِنَا وَلَا مِنْ
 حَالِ الْجُنْدِ وَلَا مِنْ حَالِ الرَّعِيَّةِ شَيْئًا . ثُمَّ صِرْنَا نُنْكِرُ الْأَحْوَالَ
 الثَّلَاثَ فَلَيْتَكَلَّمُ كُلُّ بِنَا عِنْدَهُ . فَأَطْرَقَتِ الْجُمَاعَةُ فَقَالَ :
 مَا لَكُمْ لَا تَتَكَلَّمُونَ . فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ عِيسَى : أَيْدِ اللَّهُ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ إِنْ مِثْلَ هَذَا لَا يَقْدُرُ أَحَدٌ مِنْ عِبِيدِكَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
 فِيهِ إِلَّا خَلْوَةً . قَالَ : فَلْيَقْعُدْ مِنْ عِنْدَهُ جَوَابٌ عَنْ ذَلِكَ
 فَقَامُوا وَقَعَدَ ابْنُ عِيسَى ثُمَّ قَالَ : إِنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ صَلَاحُهَا
 وَأَخْتِلَالُهَا مِنْ قَبْلِ الْوُزَرَاءِ وَهُمْ وِلَاةُ التَّدْبِيرِ وَالنَّظَرِ فِي
 الْجَبَابِاتِ . فَكَانَ أَوَّلُ وَزِيرٍ نَظَرَ فِي الْأَعْمَالِ أَمِينًا فِي أَمْوَالِكُمْ
 كَافِيًا فِي خَاصَّتِكُمْ عَادِلًا فِي رَعِيَّتِكُمْ . فَلَمْ يُنْكِرْهُ مَوْلَانَا مِنْ
 الْأَحْوَالِ الثَّلَاثِ شَيْئًا . إِلَّا أَنَّ أَكْفَاءَهُ حَسَدَوْهُ عَلَى مَكَانِهِ
 مِنْ السُّلْطَانِ وَتَنَاءَ النَّاسِ عَلَيْهِ فَتَوَسَّلُوا بِكُلِّ سَبَبٍ إِلَى عَزْلِهِ
 فَكَانَ ذَلِكَ . وَوَلِيَ الثَّانِي فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ سَدِّ الْمَكَانِ

الَّذِي آتَى مِنْهُ الْأَوَّلُ . فَأَشْتَغَلَ بِمُدَارَاةِ الْخَاصَّةِ وَقَبَلَ
 الْجَاهَاتِ^(١) وَأَحْتَاكَ إِلَى الْمُصَانَعَاتِ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَدٌّ مِنْ الْمَيْلِ
 عَلَى الرَّعِيَّةِ وَهِيَ أَوَّلُ مَا يَمْدُ إِلَيْهِ الْيَدُ . فَضَجَّتْ بِهِ فَلَمْ يَكُنْ
 لَكَ بَدٌّ مِنْ عَزَاهِ . وَوَلِيَ الثَّلَاثُ فَأَحْتَاكَ إِلَى سَدِّ الْمَكَانِينَ
 وَقَدْ تَشَعَّبَتِ الْأَحْوَالُ وَتَقَلَّصَتِ الْأَمْوَالُ . فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَدٌّ مِنْ
 التَّغْيِيرِ لِمَا يَحْتَاكَ إِلَيْهِ السُّلْطَانُ فَعَمَّ الْأَخْتِلَالَ الْأَحْوَالَ
 الثَّلَاثَ . فَاسْتَحْسَنَ الْمُقْتَدِرُ مَا آتَى بِهِ وَقَالَ لَهُ : فَإِذَا يُصْلِحُ مَا
 اخْتَلَّ وَيُصْحِحُ مَا أَعْتَلَّ . قَالَ : أَنْ تُوَلِّيَ مَنْ يُقَدِّمُ خَوْفَ
 اللَّهِ فَتَأْمَنَ مَعَهُ الرَّعِيَّةُ ثُمَّ يَخَافُكَ فَتَأْمَنَهُ فِي مَا يَجِبُهِ إِلَيْكَ
 وَفِي مَا يُخْرِجُهُ عَنْكَ . وَإِذَا خَافَ اللَّهُ وَخَافَكَ أَحْتَجَّتْ أَنْ
 تَسُدَّ لَهُ مَكَانَ الْخَوْفِ مِنَ النَّاسِ بِكَثْرَةِ الْأَسْتِدْعَاءِ وَالْعَمَلِ
 بِمَا أَشَارَ بِهِ . وَأَنْ لَا تَجْعَلَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ وَسِطَةً . فَبِهَذَا
 تَتَوَفَّرُ الْأَمْوَالُ وَتُصْلِحُ الْأَحْوَالُ وَتَبْسُطُ الْأَيْدِي بِالْإِدْعَاءِ لَكَ
 وَتَنْكَفُ أَكْفُ الشَّفَاعَاتِ وَالْجَاهَاتِ . فَقَالَ : قَدْ قَلَّدْنَاكَ مَا
 وَرَاءَ بَابِنَا وَأَشْرَطْنَا لَكَ مَا شَرَطْتَهُ لِمَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ . فَقَبِلَ

(١) جمع الجاهة بمعنى الجاه والتزلة

يَدُهُ وَأَنْصَرَفَ إِلَى مَكَانِ الْوِزَارَةِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا نَطَقَ بِهِ أَنْ
 جَعَلَ الْخُرْجَ أَقْلَ مِنَ الدَّخْلِ وَوَلَّى لِلْكِفَايَةِ لَا لِلْعِنَايَةِ وَبَلَغَ
 مِنَ السِّيَاسَةِ وَالْأَمَانَةِ إِلَى الْغَايَةِ . فَصَلَحَتِ الْأَحْوَالُ وَتَكَاثَفَ
 مَا تَقَلَّصَ مِنَ الظَّلَالِ

كرم حاتم

كَانَ حَاتِمٌ مِنَ أَجْوَدِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ حَتَّى ضُرِبَ بِهِ الْمَثَلُ
 فِي الْجُودِ . وَكَانَ إِذَا اشْتَدَّ الْبَرْدُ وَكَلَبَ^(١) الشِّتَاءُ أَمَرَ غُلَامَانَهُ
 بِنَارٍ فَيُوقِدُونَهَا فِي بَقَاعِ الْأَرْضِ لِيَنْظُرَ إِلَيْهَا مَنْ ضَلَّ عَنِ
 الطَّرِيقِ لَيْلاً فَيَقْصِدَهَا . وَلَمْ يَكُنْ حَاتِمٌ يُمْسِكُ^(٢) شَيْئاً مِمَّا
 عَدَا فَرَسَهُ وَسِلَاحَهُ فَإِنَّهُ كَانَ لَا يَجُودُ بِهَا . وَلَهُ فِي الْجُودِ
 أَخْبَارٌ مَأْثُورَةٌ وَأَنْتَارٌ نَادِرَةٌ تَشْهَدُ لَهُ بِالتَّفَوُّقِ عَلَى جَمِيعِ
 الْأَجْوَادِ . وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَتْهُ أُمْرَأَتُهُ نَوَارُ قَالَتْ : أَصَابَتْنَا
 سَنَةٌ أَقْشَعَرَّتْ لَهَا الْأَرْضُ وَأَغْبَرَتْ أَفْقُ السَّمَاءِ . وَرَاحَتِ
 الْأَيْلُ حُدْبَاءَ^(٣) حُدَابِيرَ^(٤) . وَضَعَتِ الْمَرَاضِعُ عَلَى أَوْلَادِهَا .

(١) اشتدَّ (٢) يجبس ويمنع (٣) دابة حدياء بدت حراقها

(٤) ضامرة

فَمَا تَبَضُّ (١) بِقَطْرَةٍ حَتَّى آيَقْنَا بِالْمَلَائِكِ . فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنِي لَيْلَةٍ
صَبْرٍ بَعِيدَةٍ مَا بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ إِذْ تَضَاغَى (٢) صَبِيئِنَا جُوعًا وَهُمْ
عَبْدُ اللَّهِ وَعَدِيٌّ وَسَفَانَةٌ . فَقَامَ حَاتِمٌ إِلَى الصَّبِيِّينِ وَقَمَّتْ أَنَا
إِلَى الصَّبِيَّةِ وَجَعَلْنَا نَعْلِمُهُمْ فَوَاللَّهِ مَا سَكَتُوا إِلَّا بَعْدَ هِدَاةٍ (٤)
مِنَ اللَّيْلِ . فَلَمَّا نَامُوا أَقْبَلَ يُعَلِّمُنِي بِالْحَدِيثِ حَتَّى أَنَامَ فَعَرَفْتُ
مَا يُرِيدُ فَتَنَاقَشْتُ فَلَمَّا تَهَوَّرَ اللَّيْلُ إِذَا شَيْءٌ قَدْ رَفَعَ كِسْرَ (٥)
الْخُبَاءِ . فَقَالَ : مَنْ هَذَا . فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَدِيٍّ أَتَيْتُكَ مِنْ
عِنْدِ صَبِيَّةٍ يَتَعَاوَنَ كَالذِّئَابِ جُوعًا فَأَجَدْتُ مُعْوَلًا إِلَّا
عَلَيْكَ . فَقَالَ : أَحْضِرِيهِمْ فَقَدْ أَشْبَعَكَ اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ . فَقَامَتْ
مُسْرِعَةً لِأَوْلَادِهَا . فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَقُلْتُ لَهُ : يَا حَاتِمُ بِمَاذَا
تُشْبِعُ أَطْفَالَهَا فَوَاللَّهِ مَا نَامَ صَبِيَّانِكَ مِنَ الْجُوعِ . فَقَالَ : وَاللَّهِ
لَأُشْبِعَنَّكَ وَأُشْبِعَنَّ صَبِيَّانِكَ وَصَبِيَّانَهَا

فَلَمَّا جَاءَتِ الْمَرْأَةُ نَهَضَ قَائِمًا وَأَخَذَ الْمُدِيَّةَ (٦)
بِيَدِهِ وَعَمَدَ إِلَى فَرَسِهِ فَذَبَحَهُ وَكَشَطَهُ عَنْ جِلْدِهِ . ثُمَّ أَجَجَّ
نَارًا وَدَفَعَ إِلَى الْمَرْأَةِ شَفْرَةً وَقَالَ لَهَا : شَأْنُكَ . قَطَّعِي وَأَشْوِي

(١) تعطي قليلاً (٢) باردة (٣) تضوروا من الجوع وصاحوا (٤) طائفة
(٥) الكسر الشقة السفلى من الخباء، (٦) الشفرة وهي السكين العظيم العريض

وَكُلِّي وَأَطْعِمِي صَبِيَانَكَ . فَأَكَلَتِ الْمَرْأَةُ وَأَشْبَعَتْ صَبِيَانَهَا
ثُمَّ أَيْقَظَتْ أَوْلَادِي وَأَكَلَتْ وَأَطْعَمْتَهُمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ إِنْ
هَذَا لَهَوُ اللَّوْمِ . تَأْكُلُونَ وَأَهْلُ الْحَيِّ حَالَهُمْ مِثْلُ حَالِكُمْ .
ثُمَّ أَتَى الْحَيَّ بَيْتًا يَقُولُ لَهُمْ : هَبُوا أَيُّهَا الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ
بِالنَّارِ . فَاجْتَمَعُوا حَوْلَ الْفَرَسِ وَتَقَنَّعَ حَاتِمٌ بِكِسَائِهِ وَجَلَسَ
نَاحِيَةً فَوَاللَّهِ مَا ذَاقَ مِنْهُ مِزْعَةً (١) وَإِنَّهُ لَأَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَّا .
فَأَصْبَحْنَا وَمَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْفَرَسِ إِلَّا الْعَظْمُ وَالْحَافِرُ
فَأَنشَأَ حَاتِمٌ يَقُولُ

مَهْلًا نَوَارُ أَقْلِي اللَّوْمَ وَالْعَدْلَا وَلَا تَقُولِي لَشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مَهْلِكُهُ مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْبَحْرَ وَالْجِبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً إِنْ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سَبَلَا
إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتَّبَعُهُ سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَجْوِي الْوَارِثُ الْإِبْلَا
فَأَصْدُقُ حَدِيثِكَ إِنْ الْمَرْءُ يَتَّبَعُهُ مَا كَانَ بَنِي إِذَا مَا نَعَشَهُ حُمَلَا
لَيْتَ الْبَخِيلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلَّهُمْ كَمَا يَرَاهُمْ فَلَا يُقْرَى إِذَا نَزَلَا
لَا تَعْذِلْنِي عَلَى مَالٍ وَصَلَتْ بِهِ رِحْمًا وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وَصَلَا

(١) المزرعة القطعة من اللحم

يَسْعَى الْفَتَى وَحِمَامُ الْمَوْتِ يَدْرِكُهُ وَكُلُّ يَوْمٍ يَدِي لِلْفَتَى الْأَجَلَا
إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يَدْرِكُنِي يَوْمِي وَأَصْبَحُ عَنْ دُنْيَايَ مُشْتَغَلَا

صاحب المروءة لا يرد طلباً

إِسْتَعْمَلَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عُمَانَ بْنَ حَيَّانَ عَلَى
الْمَدِينَةِ وَأَمْرَهُ بِالْغَلِظَةِ عَلَى أَهْلِ الظَّنَّةِ . فَلَمَّا اسْتُخْلِفَ سُلَيْمَانُ
أَخَذَهُ بِالْفِي أَلْفِ دِرْهَمٍ . فَأَجْتَمَعَ الْقَيْسِيَّةُ فِي ذَلِكَ فَتَحَمَلُوا
شَطْرَهَا وَضَاقُوا ذَرْعًا بِالشَّطْرِ الثَّانِي . وَوَافَقَ ذَلِكَ اسْتِعْمَالَ
سُلَيْمَانَ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ عَلَى الْعِرَاقِ . فَقَالَ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ:
عَلَيْكُمْ بِيَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ فَإِنَّ لَهَا أَحَدًا غَيْرَهُ . فَتَحَمَلُوا ^(١) إِلَى
يَزِيدَ وَفِيهِمْ عُمَرُ بْنُ هُبَيْرَةَ وَالْقَعْقَاعُ بْنُ حَبِيبٍ وَالْهَذِيلُ بْنُ
زُفَرَ وَأَنْتَهَوْا إِلَى رِوَاقِ يَزِيدَ . فَاسْتَأْذَنَ لَهُمْ حَاجِبُهُ فَخَرَجَ
يَزِيدُ إِلَى الرُّوَاقِ فَقَرَّبَ ^(٢) وَرَحَّبَ ثُمَّ دَعَا بِالْغَدَاءِ . فَاتُوا
بِطَعَامٍ مَا أَنْكَرُوا مِنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا عَرَفُوا . فَلَمَّا تَعَدَّوْا تَكَلَّمَ
عُمَانُ بْنُ حَيَّانَ وَكَانَ لَسِنًا ^(٣) مَفُوهًا ^(٤) وَقَالَ : زَادَكَ اللَّهُ
فِي تَوْفِيقِكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ . إِنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَجْهِي

(١) ترحلوا (٢) قرَّب فلاناً قال له حياك الله (٣) فصيحاً

(٤) منطيقاً وبلغياً

إِلَى الْمَدِينَةِ عَامِلًا عَلَيْهَا وَأَمَرَنِي بِالْغِلْظَةِ عَلَى أَهْلِ الظَّنَّةِ
 وَالْأَخْذِ بِهِمْ^(١) . وَإِنَّ سُلَيْمَانَ أَغْرَمَنِي غَرَامَةً وَأَنْتَهُ مَا يَسَعُهَا
 مَالِي وَلَا تَحْمِلْهَا طَاقَتِي . فَاتَيْنَاكَ لِتَحْمِلَ مِنْ هَذَا الْمَالِ مَا
 خَفَّ عَلَيْكَ . وَمَا بَقِيَ وَاللَّهِ ثَقِيلٌ عَلَيَّ . ثُمَّ تَكَلَّمَ كُلٌّ مِنْهُمْ
 بِمَا حَضَرَهُ فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ : مَرْحَبًا بِكُمْ وَأَهْلًا إِنَّ
 خَيْرَ الْمَالِ مَا قُضِيَتْ بِهِ الْحُقُوقُ وَحُمِلَتِ الْمَغَارِمُ . وَإِنَّمَا
 لِي مِنَ الْمَالِ مَا فَضَّلَ عَن إِخْوَانِي . وَأَيُّمُ اللَّهِ لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ
 أَحَدًا أَمَلًا^(٢) بِمَاجَتِكُمْ مِنِّي لَهَدَيْتُكُمْ إِلَيْهِ . فَأُحْتَكِمُوا^(٣)
 وَأَكْثَرُوا . فَقَالَ عَثْمَانُ بْنُ حِيَّانَ : النُّصْفَ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ .
 قَالَ : نَعَمْ وَكَرَامَةً . فَشَكَرُوا لَهُ وَقَامُوا فخرَجُوا . فَلَمَّا سَارُوا
 عَلَى بَابِ السُّرَادِقِ قَالَ عُمَرُ بْنُ هَبِيرَةَ : قَبَّحَ اللَّهُ رَأْيَكُمْ وَاللَّهِ
 مَا يُبَالِي يَزِيدُ أَنْصَفَهَا تَحْمِلَ أُمَّ كُلِّهَا . فَمَنْ لَكُمْ بِالنُّصْفِ
 الْبَاقِي . قَالَ الْقَوْمُ : هَذَا وَاللَّهِ الرَّأْيُ . وَسَمِعَ يَزِيدُ مُنَاجَاتَهُمْ
 فَقَالَ لِلْحَاجِبِ : أَنْظِرْ يَا يَحْيَى إِنْ كَانَ قَدْ بَقِيَ عَلَى الْقَوْمِ شَيْءٌ

(١) معاقبتهم والابقاع بهم (٢) اقدر (٣) احكم في الامر تصرف

فيه كما يريد

فَلْيَرْجِعُوا . فَرَجَعُوا إِلَيْهِ وَقَالُوا : أَقَلْنَا . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ .
 قَالُوا : فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَحْمِلَهَا كُلَّهَا فَانْتِ أَهْلِهَا وَإِنْ أَيْتَ فَمَا
 لَهَا أَحَدٌ غَيْرُكَ . قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ . وَغَدَا يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ
 إِلَى سُلَيْمَانَ وَأَخْبَرَهُ بِأَمْرِ عُمَانَ بْنِ حَيَّانَ وَأَصْحَابِهِ . فَقَالَ
 لَهُ سُلَيْمَانُ : أَدِّ إِذَا عَنَهُ الْمَالُ . فَقَالَ يَزِيدُ : وَاللَّهِ مَا حَمَلْتُهُ
 إِلَّا لِأُودِيَّتِهِ . ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ هَذِهِ الْحَمَالَةَ (١)
 وَإِنْ عَظُمَ خَطْبُهَا فَحَمْدُهَا وَاللَّهِ أَعْظَمُ مِنْهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَدَفَعَ
 إِلَى الْخُزَّانِ الْمَالَ . فَدَخَلُوا عَلَى سُلَيْمَانَ فَأَخْبَرُوهُ بِقَبْضِ الْمَالِ
 فَقَالَ : أَحْمِلُوا إِلَى يَزِيدَ مَالَهُ فَإِنَّهُ حَقِيقٌ أَنْ يُكَفَّأَ عَلَى
 مَرْوَةَ تَه

بالحلم ملك معاوية قلوب الرعية

حَبَسَ مَرْوَانَ وَهُوَ وَالِي الْمَدِينَةِ غُلَامًا مِنْ بَنِي لَيْثٍ فِي
 جَنَابَةِ جَنَاهَا . فَأَنَّهُ جَدُّ الْغُلَامِ وَهِيَ أُمُّ سِنَانِ بِنْتِ جَشْمَةَ
 الْمَذْحِجِيَّةِ فَكَلَّمَتْهُ فِي الْغُلَامِ . فَأَغْلَظَ مَرْوَانَ فَمَخَّرَجَتْ إِلَى
 مُعَاوِيَةَ فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ فَانْتَسَبَتْ فَعَرَفَهَا . فَقَالَ لَهَا : مَرْحَبًا

(١) الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم

بَابِنَةِ جَشْمَةَ مَا أَقْدَمَكَ أَرْضَنَا وَقَدْ عَهَدْتُكَ تَشْتَمِينَنَا وَتَحْضِينَ
 عَلَيْنَا عَدُونًا . قَالَتْ : إِنَّ لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَخْلَاقًا طَاهِرَةً
 وَأَحْلَامًا وَافِرَةً . لَا يَجْهَلُونَ بَعْدَ عِلْمٍ وَلَا يَسْفِهُونَ بَعْدَ حِلْمٍ
 وَلَا يَنْتَقِمُونَ بَعْدَ عَفْوٍ . وَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاتِّبَاعِ مَا سَنَّ آبَاؤُهُ
 لَأَنْتَ . قَالَ : صَدَقْتَ نَحْنُ كَذَلِكَ . فَكَيْفَ قَوْلُكَ

عَزَبَ^(١) الرُّقَادُ فَمُقَاتِي لَا تَرْقُدُ وَاللَّيْلُ يَصْدُرُ بِالْهَمُومِ وَيُورِدُ
 يَا آلَ مَذْحِجٍ لَا مَقَامَ فَشَمِّرُوا إِنَّ الْعَدُوَّ لِآلِ أَحْمَدَ يَقْصِدُ
 هَذَا عَلِيٌّ كَالْهَيْلَالِ تَحْفُهُ وَسَطَ السَّمَاءِ مِنَ الْكُوكَبِ أَسْعَدُ
 خَيْرُ الْخَلَائِقِ وَأَبْنُ عَمِّ مُحَمَّدٍ^(٢) إِنَّ يَهْدِيكُمْ بِالنُّورِ مِنْهُ تَهْتَدُوا
 مَا زَالَ مَذْهَبُ شَهْرِ الْحُرُوبِ مُظْفَرًا وَالنَّصْرُ فَوْقَ لَوَائِهِ مَا يَفْقَدُ
 قَالَتْ : كَانَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ
 لَنَا خَلْفًا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ جُلَسَائِهِ : كَيْفَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

وَهِيَ الْقَائِلَةُ

إِمَّا^(٣) هَلِكْتَ أبا الْحُسَيْنِ قَلَمَ تَزَلُ
 بِالْحَقِّ تُعْرِفُ هَادِيًا مَهْدِيًا

(١) ذهب وغاب (٢) جمع سعد (٣) مركبة من ان الشرطية وما

الزائدة اي ان هلكت

فَأَذْهَبَ عَلَيْكَ صَلَاةُ رَبِّكَ مَا دَعَتْ

فَوْقَ الْغُصُونِ حَامَةً قُمْرِيًّا (١)

قَدْ كُنْتَ بَعْدَ مُحَمَّدٍ خَلْفًا كَمَا

أَوْصَى إِلَيْكَ بِنَا فَكُنْتَ وَفِيًّا

قَالَتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا وَرَثَكَ وَاللَّهِ الشَّانَ (٢) فِي

قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا هَوْلَاءُ . فَأُدْحِضْ (٣) مَعَالَتَهُمْ وَأَبْعِدْ مَنَزِلَتَهُمْ

فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ تَزِدُّ مِنْ اللَّهِ قُرْبًا وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ حُبًّا .

قَالَ . وَإِنَّكَ لَتَقُولِينَ ذَلِكَ . قَالَتْ : سُبْحَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ مَا

مِثْلُكَ مُدِحٍ بِيَاطِلٍ وَلَا أَعْتُذِرُ إِلَيْهِ بِكَذِبٍ . وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ

ذَلِكَ مِنْ رَأْيِنَا وَضَمِيرِ قُلُوبِنَا . كَانَ وَاللَّهُ عَلِيٌّ أَحَبَّ إِلَيْنَا

مِنْكَ وَأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ غَيْرِكَ . قَالَ : مِمَّنْ . قَالَتْ :

مِنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ وَسَعِيدِ بْنِ الْعَاصِي . قَالَ : وَبِمِ اسْتَحَقَّتْ

ذَلِكَ عِنْدَكَ . قَالَتْ : بِسَعَةِ حِلْمِكَ وَكَرَمِ عَفْوِكَ . قَالَ :

فَإِنَّهُمَا يُطْمَعَانِ فِي ذَلِكَ . قَالَتْ : هُمَا وَاللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ عَلَى

مَا كُنْتَ عَلَيْهِ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ . قَالَ : وَاللَّهُ لَأَقْدَقَارِبُ

(١) القمرية ضرب من الحمام (٢) البغض (٣) ابطل

فَمَا حَاجَتِكَ . قَالَتْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ مَرْوَانَ تَبَنَّىكَ ^(١)
بِالْمَدِينَةِ تَبَنَّىكَ مَنْ لَا يُرِيدُ مِنْهَا الْبَرَّاحَ ^(٢) . لَا يَحْكُمُ بِعَدْلٍ
وَلَا يَقْضِي بِسُنَّةٍ . يَتَّبِعُ عَثْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَيَكْشِفُ عَوْرَاتِ
الْمُؤْمِنِينَ . حَبَسَ ابْنَ أَبِي فَاتِيئَةَ فَأَغْلَظَ لِي . فَأَسْمَعْتُهُ
أَخْشَنَ مِنَ الْحَجَرِ وَالْقَمْتِ أَمْرًا مِنَ الصَّابِ . ثُمَّ رَجَعْتُ
إِلَى نَفْسِي بِاللَّائِمَةِ وَقُلْتُ : لِمَ لَا أَصْرِفُ ذَلِكَ إِلَى مَنْ هُوَ
أَوْلَى بِالْعَقْرِ مِنْهُ . فَأَتَيْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِتَكُونَ فِي أَمْرِي
نَازِرًا . قَالَ : صَدَقْتَ لَا أَسْأَلُكَ عَنْ ذَنْبِهِ وَالْقِيَامِ بِبُحْبُوحِهِ
أَكْتُبُوا لَهَا بِإِطْلَاقِهِ . قَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنَّى لِي
بِالرَّجْعَةِ وَقَدْ نَفِدَ زَادِي وَكَلَّتْ رَاحِلَتِي . فَأَمَرَ لَهَا بِرَاحِلَةٍ
وَخَمْسَةِ آلَافٍ

مسلم بن الوليد وهرون الرشيد

كَانَ هُرُونُ الرَّشِيدُ يَقْتُلُ أَوْلَادَ فَاطِمَةَ وَشِيعَتَهُمْ . وَكَانَ
مُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ قَدْ رُمِيَ عِنْدَهُ بِالشَّيْعِ . فَأَمَرَ بِطَلْبِهِ
فَهَرَبَ مِنْهُ . ثُمَّ أَمَرَ بِطَلْبِ أَنَسِ كَاتِبِ الْبَرَامِكَةِ فَهَرَبَ مِنْهُ .

(١) تبنيك بالمكان أقام به وتمكن (٢) الزوال والتحول والذهاب

ثُمَّ وَجِدَ هُوَ وَمُسْلِمٌ بِنُ الْوَلِيدِ بِيخْدَادَ فَلَمَّا أَتَى بِهِمَا إِلَى
الرَّشِيدِ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْفَرَنِي بِهِمَا يَا غُلَامُ أَحْضِرْهُمَا .
فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ نَظَرَ إِلَى مُسْلِمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ فَرَفَقَ لَهُ
وَقَالَ : يَا مُسْلِمُ أَنْتَ الْقَائِلُ

أَنْسَ الْهُوَى بِنِي عَلِيٍّ فِي الْحَشَا وَأَرَاهُ يَطْمَحُ عَنْ بَنِي الْعَبَّاسِ
قَالَ : بَلْ أَنَا أَقُولُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

أَنْسَ الْهُوَى بِنِي الْعُمُومَةِ فِي الْحَشَا مُسْتَوْحِشًا مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ (١)
وَإِذَا تَكَامَلَتِ الْفَضَائِلُ كُنْتُمْ أَوْلَى بِذَلِكَ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ
فَعَجِبَ هَرُونَ مِنْ سُرْعَةِ بَدِيهِتِهِ (٢) وَقَالَ لَهُ بَعْضُ جُلَسَائِهِ :

أَسْتَبَقَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ مِنْ أَشْعَرِ النَّاسِ وَأَمْتَحِنُهُ فَسَتَرَى
مِنْهُ عَجَبًا . فَقَالَ لَهُ : قُلْ شَيْئًا فِي أَنَسٍ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ أَفْرِخَ رَوْعَتِي (٣) أَفْرِخَ اللَّهُ رَوْعَكَ يَوْمَ الْحَاجَةِ إِلَى
ذَلِكَ . فَإِنِّي لَمْ أَدْخُلْ عَلَى خَلِيفَةٍ قَطُّ ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ
تَلَمَّظَ السِّيفُ مِنْ شَوْقٍ إِلَى أَنَسٍ فَأَلْمَوْتُ يَلْحَظُوا وَالْأَقْدَارُ تَنْتَظِرُ

(١) جمع الانس بمعنى البشر (٢) البديهة هي المعرفة الحاصلة ابتداءً

في النفس لا بسبب الفكر (٣) يقال أفرخ روعته أي سكن فرعته واضطرابه

فَلَيْسَ يَبْلُغُ مِنْهُ مَا يُؤْمَلُهُ حَتَّى يُؤْمَرَ فِيهِ رَأْيُكَ الْقَدَرُ
 أَمْضَى مِنَ الْمَوْتِ يَعْنُو عِنْدَ قُدْرَتِهِ وَلَيْسَ لِلْمَوْتِ عَفْوٌ حِينَ يَقْتَدِرُ
 فَأَجْلَسَهُ هُرُونٌ وَرَاءَ ظَهْرِهِ لِيُثَلِّلَ يَرَى مَا هَمَّ بِهِ حَتَّى
 إِذَا فَرَّغَ مِنْ قَتْلِ النَّسِيِّ قَالَ لَهُ : أَنَشِدْنِي أَشْعَرَ شِعْرٍ لَكَ .
 فَكَلَّمَا فَرَّغَ مِنْ قَصِيدِ قَالَهُ : أَلَيْ تَقُولُ فِيهَا : الْوَحْلِ . فَأَنَّى
 رَوَيْتَهَا وَأَنَا صَغِيرٌ . فَأَنشَدَهُ شِعْرَهُ الَّذِي أَوَّلُهُ
 أَدِيرَ أَعْلَى الرَّاحِ لَا تَشْرَبْ أِقْبَلِي وَلَا تَطْلُبَا مِنْ عِنْدِ قَاتِلَاتِي ذَحْلِي^(٢)

حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ

إِذَا مَا عَلَتْ مِنَّا ذُؤَابَةٌ شَارِبٍ تَمَشَّتْ بِنَا مَشْيَ الْمُقِيدِ فِي الْوَحْلِ
 فَضْحِكَ هُرُونٌ وَقَالَ : عَلَيْكَ . أَمَا رَضِيتَ أَنْ قِيدَتْهُ حَتَّى
 يَمْشِي فِي الْوَحْلِ . ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِجَائِزَةٍ وَخَلَّى سَبِيلَهُ

كثرة العنف تدعو الى العصيان والتمرد

لَمَّا انْتَبَضَ طَاهِرُ ابْنِ الْحُسَيْنِ بِخُرَاسَانَ عَنِ الْمَأْمُونِ
 وَأَخَذَ حَذْرَهُ أَدَبَ لَهُ الْمَأْمُونُ وَصَيَّفًا^(٣) بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ
 وَعَلَّمَهُ فُنُونَ الْعِلْمِ . ثُمَّ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ مَعَ الْطَافِ^(٤) كَثِيرَةً

(١) يشاور (٢) ثأري (٣) غلاماً (٤) جمع لطف وهو الاكرام والبر

مِنْ طَرَائِفِ الْعِرَاقِ . وَقَدْ وَاطَّأَهُ ^(١) عَلَى أَنْ يُسَمَّهُ ^(٢) وَوَعَدَهُ
 عَلَى ذَلِكَ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ . فَلَمَّا أَنْتَهَى الْوَصِيفُ إِلَى خُرَّاسَانَ
 قَدَّمَ لِطَاهِرِ الْهَدِيَّةَ فَقَبِلَهَا وَأَمَرَ بِإِنْزَالِ الْوَصِيفِ فِي دَارٍ
 وَأَجْرَى عَلَيْهِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ التَّوَسُّعَةِ فِي الْإِزَالَةِ ^(٣) وَتَرَكَهُ
 أَشْهُرًا . فَلَمَّا بَرِمَ ^(٤) الْوَصِيفُ بِمَكَانِهِ كَتَبَ إِلَيْهِ : يَا سَيِّدِي
 إِنْ كُنْتَ تَقْبَلُنِي فَأَقْبَلْنِي وَإِلَّا فَرُدَّنِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .
 فَاسْتَدْعَاهُ ابْنُ الْحُسَيْنِ إِلَيْهِ فَلَمَّا أَنْتَهَى إِلَى بَابِ الْعَجَلِسِ
 الَّذِي كَانَ فِيهِ أَمْرُهُ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ بَابِ الْعَجَلِسِ وَقَدْ جَلَسَ
 عَلَى لَبْدٍ ^(٥) أَبْيَضٍ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُصْحَفٌ مَشْهُورٌ وَسَيْفٌ مَسْلُوبٌ
 ثُمَّ قَالَ لَهُ : قَدْ قَبَلْنَا مَا بَعَثَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَكَ فَإِنَّا
 لَا نَقْبَلُكَ . وَقَدْ صَرَفْنَاكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَيْسَ عِنْدِي
 جَوَابٌ أَكْتُبُهُ إِلَّا مَا تَرَى مِنْ حَالِي . فَأَبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
 السَّلَامَ وَأَعْلَمَهُ بِالْحَالِ الَّتِي رَأَيْتَنِي فِيهَا . فَلَمَّا قَدِمَ الْوَصِيفُ
 عَلَى الْمَأْمُونِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَوَصَفَ لَهُ الْحَالَةَ
 الَّتِي رَأَاهُ فِيهَا شَاوَرَ وَزَرَّاهُ فِي ذَلِكَ وَسَأَلَهُمْ عَنْ مَعْنَاهُ فَلَمْ

(١) وافقه (٢) يسقيه السم (٣) السفر (٤) ضجر (٥) بساط من صوف

يَعْلَمُهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ . فَقَالَ الْمَأْمُونُ : لَكِنِّي قَدْ فَهِمْتُ مَعْنَاهُ :
 أَمَّا جُلُوسُهُ عَلَى اللَّبَدِ الْأَبْيَضِ فَهُوَ يُخْبِرُنَا أَنَّهُ عَبْدٌ ذَلِيلٌ .
 وَأَمَّا الْمُصْحَفُ الْمُنشُورُ فَإِنَّهُ يُذَكِّرُنَا بِالْعَهْدِ الَّتِي لَهُ عَلَيْنَا .
 وَأَمَّا السِّيفُ الْمَسْلُوبُ فَإِنَّهُ يَقُولُ : إِنْ نَكَّتَ تِلْكَ الْعَهْدَ
 فَهَذَا يَجْهَدُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ . أَغْلِقُوا عَنَّا بَابَ ذِكْرِهِ وَلَا تَهَيِّجُوهُ
 فِي شَيْءٍ مِمَّا هُوَ فِيهِ

ما انفع الاتعاظ

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَلَاءِ : خَرَجْنَا حُجَّاجًا مِنَ الْمَدِينَةِ .
 فَلَمَّا كُنَّا بِالْحَلِيفَةِ نَزَلْنَا . فَوَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ عَلَيْهِ أَثْوَابُ
 رَثَّةٍ فَقَالَ : مَنْ بِنِي سَاقِيًا . مَنْ يَمَلَأُ قَرْبَةً (١) أَوْ إِدَاوَةً (٢)
 فَقُلْنَا : دُونَكَ هَذِهِ الْقَرَبَ فَاْمَلَأْهَا فَاْخْذَهَا وَأَنْطَلِقْ .
 فَلَمْ يَلِثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى أَقْبَلَ وَقَدْ أُمْتَلَأَتْ أَثْوَابُهُ طِينًا .
 فَوَضَعَهَا وَهُوَ كَالْمَسْرُورِ الضَّاحِكِ ثُمَّ قَالَ : لَكُمْ غَيْرُ هَذَا .
 قُلْنَا : لَا . وَأَطْعَمَنَاهُ قُرْصًا بَارِدًا فَاْخْذَهُ وَحَمْدَ اللَّهِ وَشَكَرَ
 لَهُ . ثُمَّ أَعْتَزَلَ وَقَعَدَ يَأْكُلُ أَكْلَ جَائِعٍ . فَاذْرَكْتَنِي

(١) القربة سقاء اللبن او الماء يستقى به (٢) مطهرة

عَلَيْهِ الرِّقَّةُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ بِطَعَامٍ طَيِّبٍ كَثِيرٍ وَقُلْتُ : قَدِ عَلِمْتُ
 أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْكَ الْقُرْصُ مَوْقِعًا فِدُونِكَ هَذَا الطَّعَامَ فَكَلَّمَهُ .
 فَنظَرَ فِي وَجْهِهِ وَتَبَسَّمَ وَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ إِنَّمَا هِيَ فَوْرَةٌ
 هَذِهِ النَّارُ قَدْ أَطْفَأْتَهَا (وَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى بَطْنِهِ) . فَرَجَعْتُ
 وَقَدْ انْكَسَفَ بَالِي لِمَا رَأَيْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ . فَقَالَ لِي رَجُلٌ كَانَ
 إِلَيَّ جَانِبِي : أَتَعْرِفُهُ . قُلْتُ : لَا . قَالَ : هَذَا رَجُلٌ مِنْ
 بَنِي هَاشِمٍ مِنْ وُلْدِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ يَسْكُنُ
 الْبَصْرَةَ فَتَابَ وَخَرَجَ مِنْهَا فَقُقِدَ وَمَا يَعْرِفُ لَهُ أَثَرٌ . فَأَعْجَبَنِي
 قَوْلُهُ ثُمَّ لَحِقْتُ بِهِ وَنَاشَدْتُهُ اللَّهُ وَقُلْتُ لَهُ : هَلْ لَكَ أَنْ
 تُعَادِنِي (١) فَإِنَّ مَعِيَ فَضْلًا مِنْ رَاحِلَتِي . فَجَزَانِي خَيْرًا وَقَالَ :
 لَوْ أَرَدْتُ شَيْئًا مِنْ هَذَا لَكَانَ لِي مَعْدًا . فَأَنَا رَجُلٌ مِنْ وُلْدِ
 الْعَبَّاسِ كُنْتُ أَسْكُنُ الْبَصْرَةَ وَكُنْتُ ذَا كِبَرٍ شَدِيدٍ وَجَبْرُوتٍ
 وَبَذَخٍ . وَإِنِّي أَمَرْتُ خَادِمًا لِي أَنْ يَحْشُوَ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ
 وَمِخْدَةَ بوردٍ مَشُورٍ فَفَعَلْتُ . فَإِنِّي لَنَائِمٌ إِذْ أَيْقَظَنِي قِمَعٌ
 وَرَدَةٌ أَغْلَتُهُ الْخَادِمَةُ . فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَأَوْجَعْتَهَا ضَرْبًا ثُمَّ عَدْتُ

(١) تركب معي

إِلَى مَضْجِي بَعْدَ أَنْ أُخْرِجَ ذَلِكَ الْقَمْعُ مِنَ الْمِخْدَةِ . فَأَتَانِي
 آتٍ فِي مَنَامِي فِي صُورَةٍ فَظِيْعَةٍ فَهَرَّرَنِي وَقَالَ : أَفَقِيَ مِنْ غَشِيَتِكَ
 وَأَنْتَبَهَ مِنْ حَيْرَتِكَ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ

يَا خَدُّكَ إِنَّكَ إِنْ تُوَسَّدَ لِنَا وَوَسِدَّتْ بَعْدَ الْمَوْتِ صَمَّ الْجَنْدَلِ
 فَأَمَهْدَ لِنَفْسِكَ صَالِحًا تَجُوبُ بِهِ فَلْتَنْدَمَنَّ غَدًا إِذَا لَمْ تَفْعَلِ
 فَأَنْتَبَهْتُ فَرَعًا وَخَرَجْتُ مِنْ سَاعَتِي هَارِبًا بِدِينِي إِلَى رَبِّي

الحاكم العادل يتعهد عماله ويمجازيهم على مظالمهم

لَمَّا اسْرَفَ الْحَجَّاجُ فِي قَتْلِ أَسْرَى دَيْرِ الْجَمَّاجِمِ وَإِعْطَاءِ
 الْأَمْوَالِ بَلَغَ ذَلِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدَ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ .
 فَشَقَّ عَلَيْهِ وَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ إِسْرَافُ
 فِي الدِّمَاءِ وَتَبْذِيرُ فِي الْعَطَاءِ . وَقَدْ حَكَمْتُ عَلَيْكَ فِي الدِّمَاءِ
 فِي الْخَطَا بِالدِّيَةِ ^(١) . وَفِي الْعَمْدِ بِالْقَوْدِ ^(٢) . وَفِي الْأَمْوَالِ أَنْ
 تَرُدَّهَا إِلَى مَوَاضِعِهَا ثُمَّ تَعْمَلْ فِيهَا بِرَأْيِي فَإِنَّا هُوَ مَالُ اللَّهِ
 تَعَالَى وَنَحْنُ أَمْنَاؤُهُ . فَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَدْتَ النَّاسَ لِي فَمَا
 أَغْنَانِي عَنْهُمْ . وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَرَدْتَهُمْ لِنَفْسِكَ فَمَا أَغْنَاكَ

(١) المال الذي يعطى ولي القتل بدل النفس (٢) بالقصاص

عَنْهُمْ . وَسَيِّئَاتِكَ مِنِّي أَمْرَانِ : لِينٌ وَشِدَّةٌ فَلَا يُؤْمِنُكَ إِلَّا
الطَّاعَةُ وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْمَعْصِيَةُ . وَإِذَا أَعْطَاكَ اللَّهُ عَزًّا وَجَلًّا
الظَّفَرَ فَلَا تَقْتُلَنَّ جَانِحًا ^(١) وَلَا أَسِيرًا . وَكَتَبَ إِلَيْهِ فِي أَسْفَلِ

الْكِتَابِ

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أُمُورًا كَرِهْتَهَا وَتَطَلَّبَ رِضَائِي بِالَّذِي أَنَا طَالِبُهُ
فَلَا تَأْمِنَنِي وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ فَإِنَّكَ تُجْزِي بِالَّذِي أَنْتَ كَاسِبُهُ
فَلَمَّا وَرَدَ الْكِتَابُ عَلَى الْحَجَّاجِ كَتَبَ إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ فَقَدْ

وَرَدَ كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَذْكُرُ إِسْرَافِي فِي الدِّمَاءِ وَتَبْذِيرِي
فِي الْأَمْوَالِ . وَلَعَمْرِي مَا بَالَتْ فِي عُقُوبَةِ أَهْلِ الْمَعْصِيَةِ وَمَا
قَضَيْتُ إِلَّا حُقُوقَ أَهْلِ الطَّاعَةِ . فَإِنْ كَانَ قَتَلِي الْعُصَاةَ

إِسْرَافًا وَإِعْطَائِي الْمُطِيعِينَ تَبْذِيرًا فَلْيُمْضِ ^(٢) لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا سَلَفَ . وَوَاللَّهِ مَا أَصَبَتْ الْقَوْمَ خَطَاءً فَأَدِيمُ ^(٣) وَلَا ظَلَمْتُهُمْ
عَمْدًا فَأُقَادُ ^(٤) بِهِمْ . وَلَا قَتَلْتُ إِلَّا لَكَ وَلَا أَعْطَيْتُ إِلَّا فَيْكَ

وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَكَتَبَ فِي أَسْفَلِ

الْكِتَابِ

(١) مائلًا (٢) فلينفذ ويجز (٣) من ودى القاتل القاتل إذا اعطى
وليّه ديبته (٤) فأقتل بهم قوداً

إِذَا أَنَا لَا أَبْغِي رِضَاكَ وَأَنْتَ بِي
 وَمَا لِأَمْرِي بَعْدَ الْخَلِيفَةِ جَنَّةٍ ^{وَيَسِّرُهُ (١)}
 فَلَوْ قَارَفَ الْحُجَّاجُ فِيكَ خَطِيئَةً ^(٢)
 إِذَا أَنَا لَمْ أُدْنِ الشَّفِيقَ لِنُصْحِهِ
 وَأَعْطَى الْمُوَأْسِي فِي الْبَلَاءِ عَطِيَّةً
 فَمَنْ يَبْقَى بِأَسِي وَيَرْجُو مَوَدَّتِي
 وَأَمْرِي إِلَيْكَ الْيَوْمَ مَا قُلْتَ قَلْتُهُ
 وَمَهْمَا أَرَدْتَ الْيَوْمَ مِنِّي أَرَدْتُهُ
 وَقَفَّ بِي عَلَى حَدِّ الرِّضَى لَا أَجُوزُهُ
 وَإِلَّا فَدَعْنِي وَالْأُمُورَ فَإِنِّي
 فَلَمَّا أَنْتَهَى الْكِتَابُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : خَافَ أَبُو مُحَمَّدٍ
 صَوَلَاتِي وَلَمْ يُعَاوِدْ لِأَمْرٍ كَرِهْتُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فَمَنْ يَلُومُنِي
 عَلَى مَحَبَّتِهِ . يَا غُلَامُ أَكْتُبُ إِلَيْهِ : الشَّاهِدُ يَرَى مَا لَا يَرَى
 الْغَائِبُ وَأَنْتَ أَعْلَى عَيْنًا بِمَا هُنَاكَ

(١) الجنة كل ما وقى من سلاح (٢) قارف الذنب فعله واتاه

ما انفع الاستشارة

حُكِيَ عَنِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ صَدَرَ مِنْ عَمِّهِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ أُمُورٌ مُؤَلِّمَةٌ لَا تَحْتَمِلُهَا حِرَاسَةُ الْخِلَافَةِ
وَلَا تَتَجَاوَزُ^(١) عَنْهَا سِيَاسَةُ الْمَلِكِ . فَجَبَسَهُ عِنْدَهُ ثُمَّ بَلَّغَهُ
عَنِ ابْنِ عَمِّهِ عَيْسَى بْنِ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ وَكَانَ وَالِيًا عَلَى الْكُوفَةِ
مَا أَفْسَدَ عَقِيدَتَهُ فِيهِ وَأَوْحَشَهُ مِنْهُ وَصَرَفَ وَجْهَهُ مِيلَهُ إِلَيْهِ
عَنْهُ . فَتَسَاءَلَمُ الْمَنْصُورُ مِنْ ذَلِكَ وَسَاءَ ظَنُّهُ وَتَأَرَّقَ جَفْنُهُ وَقَلَّ
أَمْنُهُ وَتَزَايَدَ خَوْفُهُ وَحُزْنُهُ . فَأَدَّتْهُ فِكْرَتُهُ إِلَى أَمْرِ دَبْرِهِ
وَكَتَمَهُ عَنْ جَمِيعِ حَاشِيَتِهِ وَسَتَرَهُ . فَاسْتَحْضَرَ ابْنَ عَمِّهِ
عَيْسَى فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَابَلَهُ عَلَى مَجْرَى عَادَتِهِ . ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْ
كَانَ بِحَضْرَتِهِ وَأَقْبَلَ عَلَى عَيْسَى وَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ الْعَمِّ إِنِّي
مُطَّلِعٌ عَلَى أَمْرٍ لَا أَجِدُ غَيْرَكَ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَا أَرَى سِوَاكَ
مُسَاعِدًا لِي عَلَى حَمْلِ ثِقَلِهِ . فَهَلْ أَنْتَ فِي مَوْضِعِ ظَنِّي بِكَ
وَعَامِلٌ مَا فِيهِ بَقَاءُ نِعْمَتِكَ الَّتِي هِيَ مَنْوُطَةٌ^(٢) بِبِقَاءِ مُلْكِي .
فَقَالَ لَهُ : أَنَا عَبْدُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَنَفْسِي طَوْعٌ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ .

فَقَالَ إِنَّ عَمِّي وَعَمَّكَ عَبْدُ اللَّهِ قَدْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ (١) وَأَعْتَمَدَ
 عَلَى مَا بَعْضُهُ يُبِيحُ دَمَهُ . وَفِي قَتْلِهِ صَلَاحٌ مُلْكِنَا فَنُذَهُ إِلَيْكَ
 وَأُقْتَلَهُ سِرًّا . ثُمَّ سَلَّمَهُ إِلَيْهِ وَعَزَمَ الْمَنْصُورُ عَلَى الْحَجِّ مُضْمِرًا
 أَنَّ ابْنَ عَمِّهِ عَيْسَى إِذَا قَتَلَ عَمَّهُ عَبْدُ اللَّهِ أَلْزَمَهُ الْقِصَاصَ
 وَسَلَّمَهُ إِلَى أَعْمَامِهِ أَخُوَّةِ عَبْدِ اللَّهِ لِيَقْتُلُوهُ بِهِ قِصَاصًا . فَيَكُونُ
 قَدْ أُسْتَرِاحَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ : عَبْدِ اللَّهِ وَعَيْسَى . قَالَ عَيْسَى : فَلَمَّا
 أَخَذْتُ عَمِّي وَفَكَّرْتُ فِي قَتْلِهِ رَأَيْتُ مِنَ الرَّأْيِ أَنَّ أَشَاوِرَ
 فِي قَضِيَّتِهِ مَنْ لَهُ رَأْيٌ عَسَى أَنْ أُصِيبَ الصَّوَابَ فِي ذَلِكَ .
 فَأَحْضَرْتُ يُونُسَ بْنَ قُرَّةَ الْكَاتِبَ وَكَانَ لِي حُسْنُ ظَنٍّ
 فِي رَأْيِهِ وَعَقِيدَةٌ صَالِحَةٌ فِي مَعْرِفَتِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّ أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ دَفَعَ إِلَيَّ عَمَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَأَمَرَنِي بِقَتْلِهِ وَإِخْفَاءِ أَمْرِهِ .
 فَمَا رَأَيْكَ فِي ذَلِكَ وَمَا تُشِيرُ بِهِ . فَقَالَ لِي : أَيُّهَا الْأَمِيرُ
 أَحْفَظْ نَفْسَكَ بِحِفْظِ عَمِّكَ وَعَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنِّي أَرَى
 لَكَ أَنْ تُدْخِلَهُ فِي مَكَانٍ دَاخِلِ دَارِكَ وَتَكْتُمُ أَمْرَهُ عَنْ كُلِّ
 أَحَدٍ مِمَّنْ عِنْدَكَ وَتَتَوَلَّى بِنَفْسِكَ حَتَّى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ إِلَيْهِ

وَتَجْعَلُ دُونَهُ مَخَالِقَ وَأَبْوَابًا • وَأَظْهَرُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّكَ
 قَتَلْتَهُ وَأَنْفَذْتَ أَمْرَهُ فِيهِ وَأَنْتَهَيْتَ إِلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ • فَكَأَنِّي
 بِهِ إِذَا تَحَقَّقَ مِنْكَ أَنَّكَ فَعَلْتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ وَقَتَلْتَ عَمَّهُ أَمْرَكَ
 بِإِحْضَارِهِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ • فَإِنِ اعْتَرَفْتَ أَنَّكَ قَتَلْتَهُ
 بِأَمْرِهِ أَنْكَرَ أَمْرَهُ لَكَ وَأَخَذَكَ بِقَتْلِهِ وَقَتَلَكَ بِهِ • فَقَبِلْتُ
 مَشُورَتَهُ وَعَمِلْتُ بِهَا وَأَظْهَرْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنِّي أَنْفَذْتُ
 أَمْرَهُ • ثُمَّ حَجَّ الْمَنْصُورُ فَلَمَّا قَدِمَ مِنْ حَجِّهِ وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي
 نَفْسِهِ أَنِّي قَدْ قَتَلْتُ عَنْهُ عَبْدَ اللَّهِ دَسَّ إِلَى عُمُومَتِهِ أُخُوَّةُ
 عَبْدِ اللَّهِ وَحَثَمٌ عَلَى أَنْ يَسْأَلُوهُ فِي أَخِيهِمْ وَيَسْتَوْهَبُوهُ مِنْهُ •
 فَجَاؤُوا إِلَيْهِ وَقَدْ جَلَسَ وَالنَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فَسَأَلُوهُ
 فِي عَبْدِ اللَّهِ • فَقَالَ : نَعَمْ إِنَّ حُقُوقَكُمْ تُقْتَضِي إِسْعَافَكُمْ بِحَاجَتِكُمْ
 كَيْفَ وَفِيهَا صَلَةٌ رَحِيمٍ وَإِحْسَانٌ إِلَى مَنْ هُوَ فِي مَقَامِ الْوَالِدِ •
 ثُمَّ أَمَرَ بِإِحْضَارِي إِلَيْهِ فَلَمَّا وَقَفْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ : يَا عَيْسَى
 كُنْتُ قَدْ دَفَعْتُ إِلَيْكَ قَبْلَ خُرُوجِي إِلَى الْحَجِّ عَمِّي عَبْدَ اللَّهِ
 لِيَكُونَ عِنْدَكَ فِي مَنَزِلِكَ إِلَى حِينِ رُجُوعِي • فَقُلْتُ : قَدْ فَعَلْتُ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ • فَقَالَ الْمَنْصُورُ : قَدْ سَأَلَنِي فِيهِ عُمُومَتُكَ

وَقَدْ رَأَيْتُ الصَّفْحَ عَنْهُ وَقَضَاءَ حَاجَتِهِمْ . وَصَلَةَ الرَّحِمِ بِإِجَابَةِ
 السُّؤَالِ فِيهِ فَأَتَيْنَا بِهِ السَّاعَةَ . فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ
 تَأْمُرْنِي بِقَتْلِهِ وَالْمُبَادَرَةَ إِلَى ذَلِكَ . قَالَ : كَذَبْتَ لَمْ أَمُرْكَ
 بِذَلِكَ وَلَوْ أَرَدْتُ قَتْلَهُ لَأَسَلَمْتَهُ إِلَى غَيْرِكَ . ثُمَّ أَظْهَرَ الْغَيْظَ
 وَقَالَ لِعُمُومَتِهِ : قَدْ أَقْرَبْتُ بِقَتْلِ أَخِيكُمْ مَدْعِيًا أَنِّي أَمَرْتُهُ بِقَتْلِهِ
 وَقَدْ كَذَبَ عَلَيَّ . قَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَادْفَعْهُ إِلَيْنَا
 لِنَقْتُلَهُ بِهِ وَنَقْتَصِرَ مِنْهُ . فَقَالَ : شَأْنَكُمْ بِهِ . قَالَ عَيْسَى :
 فَأَخَذُونِي إِلَى الرَّحْبَةِ وَأَجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيَّ . فَقَامَ وَاحِدٌ مِنْ
 عُمُومَتِي إِلَيَّ وَسَلَّ سَيْفَهُ لِيَضْرِبَنِي بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَا عَمُّ أَفَاعِلُ
 أَنْتَ . قَالَ : إِي وَاللَّهِ كَيْفَ لَا أَقْتُلُكَ وَقَدْ قَتَلْتَ أَخِي .
 فَقَالَ لَهُمْ : لَا تُعْجِلُوا وَرُدُّونِي إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرُدُّونِي إِلَيْهِ .
 فَقُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا أَرَدْتُ قَتْلِي بِقَتْلِهِ . وَالَّذِي
 دَبَّرْتَهُ عَلَيَّ عَصَمَنِي اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فِعْلِهِ . وَهَذَا عَمُّكَ بَاقٍ
 حَيًّا سَوِيًّا . فَإِنْ أَمَرْتَنِي بِدَفْعِهِ إِلَيْهِمْ دَفَعْتُهُ السَّاعَةَ . فَأَطْرَقَ
 الْمَنْصُورُ وَعَلِمَ أَنَّ رِيحَ فِكْرِهِ صَادَفَتْ إِعْصَارًا (١) وَأَنَّ أَنْفِرَادَهُ

(١) الاعصار ريح نشير السحاب او التي فيها رعد وبرق او التي فيها الزباير

الشديد

بِتَدْيِيرِهِ قَارَنَ خَسَارًا . ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ : ائْتِنَا بِهِ .
فَمَضَيْتُ وَأَحْضَرْتُهُ فَلَمَّا رَأَاهُ الْمَنْصُورُ قَالَ لِعُمُومَتِهِ : ائْتِرْ كُرْهُ
عِنْدِي وَأَنْصَرِفُوا حَتَّى أَرَى فِيهِ رَأْيًا . قَالَ عِيسَى : فَتَرَ كِنَاهُ
وَأَنْصَرَفْنَا وَقَدْ سَلِمَتْ رُوحِي وَزَالَتْ كُرْبَتِي بِبَرَكَاتِهِ الْأَسْتِشَارَةِ
وَقَبُولِ الْمَشُورَةِ وَالْعَمَلِ بِهَا . ثُمَّ إِنَّ الْمَنْصُورَ أَسْكَنَ عَبْدَ
اللَّهِ فِي بَيْتِ بَنِي أُسَّةَ عَلَى الْمَلْحِ . ثُمَّ أَرْسَلَ الْمَاءَ حَوْلَهُ لَيْلًا
فَذَابَ الْمَلْحُ وَسَقَطَ الْبَيْتُ . فَمَاتَ عَبْدُ اللَّهِ وَدُفِنَ بِمَقَابِرِ
بَابِ الشَّامِ .

الصدوق الصدوق يرعى الوفاء في القرب والبعد

حِكْمِي أَنْ الْخُلَيْفَةَ الْمَأْمُونِ لَمَّا وَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ طَاهِرٍ
أَبْنَ الْحُسَيْنِ مِصْرَ وَالشَّامَ وَأَطْلَقَ حُكْمَهُ دَخَلَ عَلَى الْمَأْمُونِ
أَحَدُ إِخْوَانِهِ يَوْمًا فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ
طَاهِرٍ يَمِيلُ إِلَى وُلْدِ أَبِي طَالِبٍ وَهَوَاهُ مَعَ الْعُلُوِّيِّينَ وَكَذَلِكَ
كَانَ أَبُوهُ قَبْلَهُ . فَحَصَلَ عِنْدَ الْمَأْمُونِ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ
أَخِيهِ مِنْ جِهَةِ أَبِي طَاهِرٍ . فَتَشَوَّشَ فِكْرُهُ وَضَاقَ صَدْرُهُ
فَأَسْتَحْضَرَ ثِقَةً مِنْ رِجَالِهِ وَجَعَلَهُ فِي زِيِّ الزُّهَادِ وَالنُّسَاكِ

الْغَزَاةِ وَقَالَ لَهُ : أَمْضِ إِلَى مِصْرَ وَخَالِطِ أَهْلَهَا وَدَاخِلِ كِبْرَاءَهَا
 وَأَسْتَمِعْهُمْ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُلَوِيِّ وَأَذْكَرْ مَنَاقِبَهُ .
 ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ اجْتَمَعَ بَعْضُ بَطَانَةِ ابْنِ طَاهِرٍ ثُمَّ اجْتَمَعَ بِابْنِ
 طَاهِرٍ بَعْدَ ذَلِكَ وَأَدْعَاهُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْعُلَوِيِّ وَأَكْشِفْ
 بَاطِنَهُ وَأَبْحَثْ عَن دَفِينِ نَيْتِهِ وَأَثْنِي بِمَا تَسْمَعُ . فَفَعَلَ ذَلِكَ
 الرَّجُلُ مَا أَمَرَهُ بِهِ الْمَأْمُونُ وَتَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ وَدَعَا جَمَاعَةً
 مِنْ أَهْلِهَا . ثُمَّ كَتَبَ وَرَقَةً لَطِيفَةً وَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ وَقَتَ
 رُكُوبِهِ . فَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الرُّكُوبِ وَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ خَرَجَ
 الْحَاجِبُ إِلَى الرَّجُلِ وَأَدْخَلَهُ عَلَى ابْنِ طَاهِرٍ وَهُوَ جَالِسٌ
 وَحْدَهُ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ : لَقَدْ فَهِمْتُ مَا قَصَدْتَهُ فَهَاتِ
 مَا عِنْدَكَ . فَقَالَ : وَبِئْسَ الْأَمَانُ . قَالَ : نَعَمْ . فَأَظْهَرَ لَهُ
 مَا أَرَادَهُ وَدَعَاهُ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ :
 كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى الْكُفْرَانِ بِنِعْمَةِ الْمَأْمُونِ وَالْقُدْرِ بِهِ وَأَنَا
 بِفَضْلِ رِعَايَتِهِ وَإِحْسَانِهِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ الَّتِي تَرَاهَا مِنَ الْحُكْمِ
 وَالنِّعْمَةِ وَالْعِزِّ وَالْوِلَايَةِ . فَوَاللَّهِ لَوْ دَعَوْتَنِي إِلَى الْجَنَّةِ عِيَانًا لَمَا
 غَدَرْتُ وَلَمَا نَكثْتُ بَيْعَتَهُ وَتَرَكْتُ الْوَفَاءَ لَهُ . فَسَكَتَ الرَّجُلُ

فَقَالَ لَهُ ابْنُ طَاهِرٍ : وَاللَّهِ مَا أَخَافُ إِلَّا عَلَى نَفْسِكَ فَارْحَلْ
 مِنْ هَذَا الْبَلَدِ . فَلَمَّا يَسَّ الرَّجُلُ مِنْهُ وَكَشَفَ بَاطِنَهُ وَسَمِعَ
 كَلَامَهُ رَجَعَ إِلَى الْمَأْمُونِ وَأَخْبَرَهُ بِصُورَةِ الْحَالِ . فَسَرَّهُ
 ذَلِكَ وَزَادَ فِي إِحْسَانِهِ إِلَى ابْنِ طَاهِرٍ وَضَاعَفَ إِعْنَامَهُ عَلَيْهِ

شجاع يفلق بسيفه هامة اسد

كَانَ جَمْدَرُ بْنُ رَبِيعَةَ الْعُكْلِيِّ بَطَلًا شَجَاعًا وَفَاتِكًا مُغِيرًا
 وَشَاعِرًا بَلِيغًا . قَهَرَ أَهْلَ الْيَمَامَةِ وَأَبَادَهُمْ فَلَبَّغَ ذَلِكَ الْحَجَّاجَ
 ابْنَ يُوسُفَ فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ يُؤَيِّدُهُ بِتَغْلِبِ جَمْدَرٍ عَلَيْهِ وَيَأْمُرُهُ
 بِالْتَّجَرُّدِ لَهُ حَتَّى يَقْتُلَهُ أَوْ يَحْمِلَهُ إِلَيْهِ أَسِيرًا . فَوَجَّهَ الْعَامِلُ
 إِلَيْهِ فِتْيَةً مِنْ بَنِي حَنْظَلَةَ وَجَعَلَ لَهُمْ جَعَلًا^(١) عَظِيمًا إِنْ
 هُمُ قَتَلُوهُ أَوْ أَتَوْا بِهِ أَسِيرًا . فَتَوَجَّهَ الْفِتْيَةُ فِي طَلَبِهِ حَتَّى
 إِذَا صَارُوا عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْهُ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ يَقُولُونَ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ
 الْأَنْقِطَاعَ إِلَيْهِ وَالتَّفَرُّغَ لخدمته . فَوَثِقَ بِذَلِكَ مِنْهُمْ وَسَكَنَ^(٢)
 إِلَى قَوْلِهِمْ . فَبَيْنَا هُوَ مَعَهُمْ يَوْمًا إِذْ وَثَبُوا عَلَيْهِ فَشَدُّوهُ
 وَثَاقًا وَقَدِمُوا بِهِ عَلَى الْعَامِلِ فَوَجَّهَ بِهِ إِلَى الْحَجَّاجِ مَعَهُمْ

(١) الجعل ما يجعل للعامل على عمله (٢) ارتاح

فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَيْهِ وَمَثَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ : أَنْتَ جَمْدَرٌ .
 قَالَ : نَعَمْ أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ . قَالَ : مَا جَرَأَكَ عَلَى مَا بَلَغَنِي
 عَنْكَ . قَالَ : كَلْبٌ ^(١) الزَّمَانِ وَجَفْوَةٌ السُّلْطَانِ وَجُرْأَةٌ
 الْجَبَانِ . قَالَ : وَمَا بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ . قَالَ : لَوْ أَبْتَلَانِي الْأَمِيرُ
 وَجَعَلَنِي مَعَ الْفُرْسَانِ لَرَأَى مِنِّي مَا يُعْجِبُهُ . قَالَ : فَتَعَجَّبَ الْحَجَّاجُ
 مِنْ ثَبَاتِ عَقْلِهِ وَمَنْطِقِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا جَمْدَرُ إِنِّي قَازِفٌ ^(٢)
 بِكَ فِي حَاجِرٍ ^(٣) فِيهِ أَسَدٌ عَظِيمٌ . فَإِنْ قَتَلْتَ كِفَانًا مَوْوَنَتَكَ
 وَإِنْ قَتَلْتَهُ عَفَوْنَا عَنْكَ . قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ قَرِبَ الْفَرَجُ
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَأَمَرَ بِهِ بِقَصْفِ دَوِّهِ ^(٤) بِالْحَدِيدِ . ثُمَّ كَتَبَ
 إِلَى عَامِلِهِ أَنْ يَرْتَادَ ^(٥) لَهُ أَسَدًا ضَارِيًا وَيَعْمَلُهُ إِلَيْهِ . فَتَحْمِلُ
 الْعَامِلُ وَارْتَادَ لَهُ أَسَدًا كَانَ فَاتِكًا خَبِيثًا قَدِ أَفْنَى عَامَّةَ الْمَوَاشِي
 فَتَحْمِلُوا حَتَّى أَخَذُوهُ وَصَيَّرُوهُ فِي قَفْصٍ وَسَجَبُوهُ عَلَى عَجَلٍ .
 فَلَمَّا قَدِمُوا بِهِ عَلَى الْحَجَّاجِ أَمَرَ بِهِ فَأُلْقِيَ فِي الْحَاجِرِ وَلَمْ
 يُطْعَمْ شَيْئًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَاعَ وَأَسْتَكَلَبَ . ثُمَّ أَمَرَ بِجَمْدَرِ

(١) يقال زمان كلب اي ملح على اهله . ايسوهم (٢) رام

(٣) الحاجر الارض المرتفعة ووسطها منخفض (٤) شدوه واوثقوه

(٥) يطلب

أَنْ يُنْزِلُوهُ إِلَيْهِ فَأَعْطَوْهُ سَيْفًا وَأَنْزَلُوهُ إِلَيْهِ مُقِيدًا . وَأَشْرَفَ
 الْحَجَّاجُ وَالنَّاسُ حَوْلَهُ يَنْظُرُونَ إِلَى الْأَسَدِ مَا هُوَ صَانِعٌ بِحِجْدَرِهِ .
 فَلَمَّا نَظَرَ الْأَسَدُ إِلَى حِجْدَرِ نَهْضٍ وَوَثْبٍ وَتَمَطَّى وَزَعَقَ زَعَقَةً
 مَلَأَ دَوِيهَا الْجِبَالَ وَرَوَّعَتِ أَهْلَ الْأَرْضِ . فَشَدَّ^(١) عَلَيْهِ
 حِجْدَرٌ وَهُوَ يُنْشِدُ وَيَقُولُ

لَيْتَ لِي وَلَيْتَ فِي مَجَالِ ضَنْكَ كِلَاهُمَا ذُو قُوَّةٍ وَسَفْكَ
 وَصَوْلَةٍ وَبَطْشَةٍ وَفَتْكَ إِنْ يَكْشِفِ اللَّهُ قِنَاعَ الشُّكِّ
 فَأَنْتَ لِي فِي قَبْضَتِي وَمَلِكِي

ثُمَّ دَنَا مِنْهُ وَضْرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَفَلَقَ هَامَتَهُ . فَكَبَّرَ النَّاسُ
 وَأَعْجَبَ الْحَجَّاجُ ذَلِكَ وَقَالَ : لِلَّهِ دَرَكٌ مَا أَنْجَبَكَ وَمَا أَنْجَدَكَ .
 ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ مِنَ الْحَاجِرِ وَفَكَ عَنْهُ قِيُودَهُ وَقَالَ لَهُ :
 اخْتَرِ إِمَّا أَنْ تُقِيمَ مَعَنَا فَنُكْرِمَكَ وَتُقَرِّبَ مَنْزِلَتِكَ . وَإِمَّا
 أَنْ نَأْذَنَ لَكَ فَتَلْحَقَ بِبِلَادِكَ وَأَهْلِكَ عَلَى أَنْ تَضْمَنَ لَنَا أَنْ
 لَا تَأْتِيَ بِهَا مُنْكَرًا وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا . قَالَ : بَلْ اخْتَارْتُ صُحْبَتَكَ
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ . فَجَعَلَهُ مِنْ سُمَّارِهِ وَخَوَّاصِهِ ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ
 وُلَّاهُ عَلَى الْيَامَةِ وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ

زبيدة والمأمون

لَمَّا قَتَلَ الْمَأْمُونُ أَخَاهُ مُحَمَّدَ بْنَ زُبَيْدَةَ أَرْسَلَتْ أُمُّهُ
زُبَيْدَةُ ابْنَتَهُ جَعْفَرَ إِلَى أَبِي الْعَتَاهِيَةِ لِيَقُولَ آيَاتًا عَلَى لِسَانِهَا
لِلْمَأْمُونِ فَقَالَ

أَلَا إِنَّ رَبَّ الدَّهْرِ يَدُنِي وَيَبْعِدُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَذُمُّ وَتُحْمَدُ
أَقُولُ لِرَبِّ الدَّهْرِ إِنْ ذَهَبَتْ يَدِي فَقَدْ بَقِيَتْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لِي يَدِي
إِذَا بَقِيَ الْمَأْمُونُ لِي فَالرَّشِيدُ لِي وَلِي جَعْفَرٌ لَمْ يَهْلِكَا وَمُحَمَّدُ

وَكَتَبَتْ إِلَيْهِ مِنْ قَوْلِهِ

لِخَيْرِ إِمَامٍ قَامَ مِنْ خَيْرِ مَعْشَرٍ وَأَفْصَحَ مِنْطِيقٍ عَلَى عَوْدِ مِنْبَرٍ
كَتَبْتُ وَعَيْنِي تَسْتَهْلِكُ دُمُوعَهَا إِلَيْكَ ابْنُ بَعْلِي مِنْ جَفُونِي وَمُحْجَرِي
فُجِعْنَا بِأَدْنَى النَّاسِ مِنْكَ قَرَابَةً وَمَنْ زَلَّ عَنْ كَبْدِي فَقَلَّ تَصْبِرِي
أَتَى طَاهِرٌ لَا طَهَرَ اللَّهُ طَاهِرًا وَمَا طَاهِرٌ فِي فِعْلِهِ بِمِطْهَرٍ
فَأَبْرَزَنِي مَكْشُوفَةَ الْوَجْهِ حَاسِرًا وَأَنْهَبَ أَمْوَالِي وَخَرَّبَ أَدُورِي ^(١)
وَعَزَّ عَلَى هَرُونَ مَا قَدْ لَقِيْتُهُ وَمَا نَابَنِي مِنْ نَاقِصِ الْخُلُقِ أَعُورٍ
فَلَمَّا نَظَرَ الْمَأْمُونُ إِلَى كِتَابِهَا وَجَّهَ إِلَيْهَا بِجَبَاءٍ ^(٢) جَزِيلٍ

(١) المحجر ما دار واحاط بالعين (٢) جمع دار (٣) عطاء

وَكَتَبَ إِلَيْهَا يَسْأَلُهَا التَّقْدُومَ عَلَيْهِ . فَلَمَّ تَأْتِيهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ
 وَقَبِلَتْ مِنْهُ مَا وَجَّهَ إِلَيْهَا . فَلَمَّا صَارَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ قَالَ
 لَهَا : مَنْ قَائِلُ الْآيَاتِ . قَالَتْ : أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . قَالَ : وَكَمْ
 أَمَرْتِ لَهُ . قَالَتْ : عِشْرُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . قَالَ الْمَأْمُونُ :
 وَقَدْ أَمَرْنَا لَهُ بِمِثْلِ ذَلِكَ . وَأَعْتَدَرِ إِلَيْهَا مِنْ قَتْلِ أَخِيهِ
 مُحَمَّدٍ وَقَالَ : لَسْتُ صَاحِبَهُ وَلَا قَاتِلَهُ . فَقَالَتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
 إِنْ لَكُمَا يَوْمًا تَجْتَمِعَانِ فِيهِ وَأَرْجُو أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمَا إِنْ
 شَاءَ اللَّهُ .

جزاء الكرم والوفاء

كَانَ فِي أَيَّامِ خِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ يُقَالُ
 لَهُ خَزِيمَةُ بْنُ بَشِيرٍ مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَتْ لَهُ مَرْوَةٌ ظَاهِرَةٌ
 وَنِعْمٌ وَأَفْرَةٌ وَكَانَ مَشْهُورًا بِالْكَرَمِ وَبِرِّ الْأَخْوَانِ وَمُوَاسَاةِ
 ذَوِي الْبُؤْسِ وَالْفَاقَةِ . فَلَمَّ يَزَلْ عَلَى تِلْكَ الْحَالَةِ حَتَّى قَعَدَ
 بِهِ الدَّهْرُ . فَأَحْتَاكَ إِلَى إِخْوَانِهِ الَّذِينَ كَانَ يَتَفَضَّلُ عَلَيْهِمْ
 وَيُوَاسِيهِمْ . فَاسْوَهُ حِينًا ثُمَّ مَلَّوهُ . فَلَمَّا لَاحَ لَهُ تَغْيِيرُهُمْ
 أَتَى امْرَأَتَهُ وَكَانَتْ ابْنَةَ عَمِّهِ . فَقَالَ لَهَا : يَا بِنْتَ الْعَمِّ قَدْ

رَأَيْتُ مِنْ إِخْوَانِي تَغْيِيرًا وَقَدْ عَزَمْتُ عَلَى أَنْ أَلْزِمَ بَيْتِي إِلَى
 أَنْ يَأْتِيَنِي الْمَوْتُ . ثُمَّ إِنَّهُ أَغْلَقَ بَابَهُ وَأَقَامَ يَتَّقَوْتُ بِمَا
 عِنْدَهُ حَتَّى نَفِدَ جَمِيعُهُ وَبَقِيَ حَائِرًا فِي أَمْرِهِ . وَكَانَ يَوْمَئِذٍ
 عِكْرِمَةُ الْفَيَاضُ الرَّبِيعِيُّ وَالْيَا عَلَى الْجَزِيرَةِ وَكَانَ فِي الْكَرَمِ
 بِالْمَنْزِلَةِ الْعَظِيمَةِ وَقَدْ سُمِّيَ الْفَيَاضُ لَزِيَادَةِ كَرَمِهِ . فَبَيْنَا هُوَ
 فِي مَجْلِسِهِ وَعِنْدَهُ جَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ مِنْ مَعَارِفِهِ إِذْ جَرَى
 ذِكْرُ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَسَأَلَهُمْ عِكْرِمَةُ عَنْ حَالِهِ فَقَالُوا :
 إِنَّهُ فِي أَشَقِّ حَالٍ مِنَ الْفَقْرِ وَقَدْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَلَزِمَ بَيْتَهُ .
 فَقَالَ عِكْرِمَةُ : أَفَمَا وَجَدَ خُزَيْمَةُ بْنُ بَشِيرٍ مُوَأَسِيًا أَوْ مُكَافِيًا .
 فَقَالُوا : لَا . فَأَمْسَكَ عِكْرِمَةُ عَنِ الْكَلَامِ . ثُمَّ لَمَّا كَانَ
 اللَّيْلُ عَمَدَ إِلَى أَرْبَعَةِ آلَافِ دِينَارٍ فَجَعَلَهَا فِي كَيْسٍ وَاحِدٍ .
 ثُمَّ أَمَرَ بِإِسْرَاجِ دَابَّتِهِ وَخَرَجَ سِرًّا مِنْ عِنْدِ أَهْلِيهِ وَسَارَ
 وَمَعَهُ غُلَامٌ مِنْ غِلْمَانِهِ يَحْمِلُ الْمَالَ . وَكَانَ اللَّيْلُ قَدْ أَنْصَفَ
 فَلَمْ يَزَلْ سَائِرًا حَتَّى وَقَفَ بِيَابِ خُزَيْمَةَ . فَأَخَذَ الْكَيْسَ
 مِنَ الْغُلَامِ ثُمَّ أَبْعَدَهُ عَنْهُ وَتَقَدَّمَ إِلَى الْبَابِ وَقَرَعَهُ . فَخَرَجَ
 إِلَيْهِ خُزَيْمَةُ فَنَاولَهُ عِكْرِمَةَ الْكَيْسَ وَقَالَ لَهُ : أَصْلِحْ بِهِذَا

شَأْنِكَ . فَتَنَاوَلَهُ فَرَأَهُ ثَقِيلًا فَوَضَعَهُ عَنْ يَدِهِ ثُمَّ أَمْسَكَ
 بِإِجَامِ الدَّابَّةِ وَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ جُعِلْتُ فِدَاكَ . فَقَالَ لَهُ
 عِكْرِمَةُ : يَا هَذَا مَا جِئْتُكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ وَالسَّاعَةِ وَأَنَا أُرِيدُ
 أَنْ تَعْرِفَنِي . قَالَ : فَمَا أَقْبَلُهُ إِلَّا إِنْ عَرَفْتَنِي مِنْ أَنْتَ . فَقَالَ
 عِكْرِمَةُ : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . قَالَ : زِدْنِي . قَالَ : لَا
 ثُمَّ مَضَى . وَدَخَلَ خَزِيمَةَ بِالْكَيسِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ فَقَالَ لَهَا :
 ابْشِرِي فَقَدَ آتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ وَالْخَيْرِ . قَوْمِي فَأَسْرِجِي . قَالَتْ
 لَا سَبِيلَ إِلَى السِّرَاجِ لِأَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَنَا زَيْتٌ . فَبَاتَ خَزِيمَةُ
 يَلْمَسُ بِيَدِهِ الْكَيسَ فَيَجِدُ خَشُونَةَ الدَّنَانِيرِ وَلَا يُصَدِّقُ .
 وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَإِنَّ أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ قَدْ تَفَقَّدَتْهُ وَسَأَلَتْ عَنْهُ
 فَأُخْبِرَتْ بِخُرُوجِهِ بَعْدَ هِدَاةٍ مِنَ اللَّيْلِ فَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ .
 فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى مَنْزِلِهِ قَالَتْ لَهُ : وَالِي الْجَزِيرَةِ لَا يَخْرُجُ بَعْدَ
 هِدْيٍ مِنَ اللَّيْلِ مُنْفَرِدًا مِنْ غِلْمَانِهِ فِي سِرٍّ مِنْ أَهْلِهِ إِلَّا لِأَمْرٍ
 ذِي شَأْنٍ فَيُخْبِرُنِي فِيْمَ خَرَجْتَ . قَالَ : يَا هَذِهِ مَا خَرَجْتُ فِي
 هَذَا الْوَقْتِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ بِي أَحَدٌ . قَالَتْ : لَا بَدَأَنْ
 تُخْبِرُنِي . قَالَ : تَكْتُمِينَهُ إِذَا قُلْتُ . قَالَتْ : فَإِنِّي أَفْعَلُ .

فَأَخْبَرَهَا بِالنِّصَّةِ عَلَى وَجْهِهَا . وَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ خُزَيْمَةَ فَإِنَّهُ
لَمَّا أَصْبَحَ صَالِحَ النَّوْمَاءِ وَأَصْلَحَ مَا كَانَ مِنْ حَالِهِ مُخْتَلًا .
ثُمَّ إِنَّهُ تَجَهَّزَ بِرِيدِ الْخَلِيفَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ فَلَمَّا وَقَفَ
بِبَابِهِ أَسْتَأْذَنَ فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَأَخْبَرَ الْخَلِيفَةَ بِوُصُولِهِ .
وَكَانَ عَارِفًا بِمُرُوءَتِهِ وَكَرَمِهِ فَأَذِنَ لَهُ . فَلَمَّا دَخَلَ سَلَّمَ عَلَيْهِ
بِالْخِلَافَةِ فَقَالَ لَهُ سُلَيْمَانُ : يَا خُزَيْمَةُ مَا أَبْطَأَكَ عَنَّا . قَالَ :
سُوءُ الْحَالِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَمَا مَنَعَكَ مِنَ النَّهْضَةِ
إِلَيْنَا . قَالَ : ضَعْفِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَقِلَّةُ مَا بِيَدِي . قَالَ :
فَمَنْ أَنْهَضَكَ إِلَيْنَا الْآنَ . قَالَ لَمْ أَعْلَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا
أَنِّي بَعْدَ هَذِهِ مِنَ اللَّيْلِ لَمْ أَشْعِرْ إِلَّا وَالْبَابُ يُطْرَقُ فَخَرَجْتُ
فَرَأَيْتُ رَجُلًا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كَيْتَ وَكَيْتَ . وَأَخْبَرَهُ بِقِصَّتِهِ .
فَقَالَ سُلَيْمَانُ : أَمَا عَرَفْتَ الرَّجُلَ . قَالَ : مَا عَرَفْتُهُ
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَنَكِّرًا . وَلَمْ يُخْبِرْنِي بِاسْمِهِ وَشَأْنِهِ
وَإِنَّمَا قَالَ لِي : أَنَا جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ . وَلَمْ يَزِدْ عَلَيَّ ذَلِكَ .
قَالَ . فَتَلَهَّفَ سُلَيْمَانُ عَلَى تَنَكُّرِ الرَّجُلِ وَتَشَوَّقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ
وَقَالَ : لَوْ عَرَفْنَاكَ لَكَافَأْنَاكَ عَلَى مُرُوءَتِهِ . ثُمَّ كَتَبَ لَخُزَيْمَةَ

أَلْوَالِيَةَ عَلَى الْجَزِيرَةِ عَوَضًا عَنْ عِكْرِمَةَ الْفَيَاضِ وَأَمَرَهُ بِالتَّوَجُّهِ
 إِلَيْهَا . فَتَوَجَّهَ مِنْ سَاعَتِهِ فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهَا خَرَجَ عِكْرِمَةُ لِمَلَاقَاتِهِ
 مَعَ جَمِيعِ أَعْيَانِ الْبَلَدِ وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ عَزَلُهُ . فَلَمَّا ذَنُوبًا مِنْهُ
 سَلَّمُوا عَلَيْهِ ثُمَّ سَارُوا جَمِيعًا إِلَى أَنْ دَخَلُوا بِهِ الْبَلَدَ . فَزَلَّ
 خُزَيْمَةُ فِي دَارِ الْإِمَارَةِ وَأَمَرَ أَنْ يُؤْخَذَ عِكْرِمَةُ وَيُجَاسَبَ .
 فَحُوسِبَ فَوُجِدَ عَلَيْهِ فُضُولُ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ فَطَالَبَهُ بِأَدَائِهَا .
 فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا لِي إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ سَبِيلٌ . قَالَ : لَا
 بَدَّ مِنْهَا . قَالَ : لَيْسَتْ عِنْدِي فَأَصْنَعْ مَا أَنْتَ صَانِعٌ . فَأَمَرَ
 خُزَيْمَةُ بِجَبْسِهِ ثُمَّ أَنْفَذَ إِلَيْهِ مَنْ يُطَالِبُهُ بِالْمَالِ . فَأَرْسَلَ
 عِكْرِمَةُ يَقُولُ : إِنِّي لَسْتُ بِمَنْ يَصُونُ مَالَهُ بِعَرَضِهِ فَأَصْنَعْ
 مَا شِئْتَ . فَأَمَرَ خُزَيْمَةُ أَنْ يُكَبَّلَ بِالْحَدِيدِ فَأَقَامَ شَهْرًا
 كَذَلِكَ فَأَضْنَاهُ ذَلِكَ وَأَضْرَبَهُ . فَلَبَّغَ ابْنَةَ عَمِّهِ خَبْرَهُ
 فَجَزَعَتْ عَلَيْهِ وَأَغْثَمَتْ لِذَلِكَ غَمًّا شَدِيدًا . ثُمَّ دَعَتْ جَارِيَةً
 لَهَا وَكَانَتْ ذَاتَ عَقْلِ وَمَعْرِفَةٍ وَقَالَتْ لَهَا : أَمْضِي السَّاعَةَ إِلَى
 بَابِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشْرِ وَقُولِي لِلْحَاجِبِ : عِنْدِي نَصِيحَةٌ لِلْأَمِيرِ
 فَإِذَا طَلَبَهَا مِنْكَ فَقُولِي . لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِلْأَمِيرِ خُزَيْمَةَ . فَإِذَا

دَخَلَ عَلَيْهِ فَسَلِيهِ الْخُلُوةَ فَإِذَا فَعَلَ فَقُولِي لَهُ : مَا كَانَ هَذَا
 جَزَاءَ جَابِرِ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ مِنْكَ . كَأَفَاتِهِ بِالْحُبْسِ وَالضِّيْقِ
 وَالْحَدِيدِ . فَفَعَلَتْ الْجَارِيَةُ ذَلِكَ فَلَمَّا سَمِعَ خُزَيْمَةُ كَلَامَهَا
 نَادَى بِرَفِيعِ صَوْتِهِ : وَاسْوَأَتْهُ جَابِرُ عَثْرَاتِ الْكِرَامِ غَرِيبِي .
 قَالَتْ : نَعَمْ . فَأَمَرَ لَوْقَتَهُ بِدَابَّتِهِ فَأَسْرَجَتْ وَبَعَثَتْ إِلَى وُجُوهِ
 أَهْلِ الْبَلَدِ فَجَمَعَهُمْ إِلَيْهِ وَآتَى بِهِمْ إِلَى بَابِ الْحُبْسِ . فَفَتَحَتْهُ
 وَدَخَلَ فَرَأَى عِكْرِمَةَ قَاعِدًا فِي قَاعَةِ الْحُبْسِ مُتَغَيِّرًا قَدْ أَضْنَاهُ
 الضَّرُّ وَالْأَلَمُ وَثِقَلُ الْقِيُودِ . فَلَمَّا نَظَرَ عِكْرِمَةَ إِلَى خُزَيْمَةَ
 وَوُجُوهُ أَهْلِ الْبَلَدِ مَعَهُ أَحْشَمَةٌ ^(١) ذَلِكَ فَنَكَسَ رَأْسَهُ .
 فَأَقْبَلَ خُزَيْمَةَ حَتَّى أَكَبَّ عَلَى رَأْسِهِ فَقَبَّلَهُ . فَرَفَعَ عِكْرِمَةَ
 إِلَيْهِ رَأْسَهُ وَقَالَ : مَا أَعْقَبَ ^(٢) هَذَا مِنْكَ . قَالَ خُزَيْمَةُ :
 كَرِيمٌ فِعَالِكَ وَسَوْءٌ مُكَافَأَتِي . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : يَغْفِرُ اللَّهُ
 لَنَا وَلكَ . ثُمَّ إِنَّ خُزَيْمَةَ أَمَرَ بِقِيُودِهِ أَنْ تُفَكَّ وَأَنْ تُوضَعَ
 فِي رِجْلَيْهِ نَفْسِهِ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ : مَا مُرَادُكَ بِذَلِكَ . قَالَ :
 أُرِيدُ أَنْ يَنَالَنِي مِنَ الضَّرِّ مِثْلُ مَا نَالَكَ . فَقَالَ لَهُ عِكْرِمَةُ :

أَقْسِمُ عَلَيْكَ بِاللَّهِ أَنْ لَا تَفْعَلَ . فَخَرَجَا جَمِيعًا حَتَّى وَصَلَا إِلَى
 دَارِ خُزَيْمَةَ فَوَدَّعَهُ عِكْرِمَةُ وَأَرَادَ الْأَنْصِرَافَ . فَقَالَ لَهُ
 خُزَيْمَةُ : مَا أَنْتَ بِبَارِحٍ . قَالَ عِكْرِمَةُ : وَمَا تُرِيدُ . قَالَ :
 أُرِيدُ أَنْ أُغَيِّرَ حَالَكَ وَإِنَّ حَيَاتِي مِنْ ابْنَةِ عَمِّكَ أَشَدُّ مِنْ
 حَيَاتِي مِنْكَ . ثُمَّ أَمَرَ بِالْحَمَامِ فَأَخْلَى وَدَخَلَهُ مَعًا . فَقَامَ
 خُزَيْمَةُ وَتَوَلَّى أَمْرَهُ وَخَدَمَهُ بِنَفْسِهِ . ثُمَّ خَرَجَا فَنَلَّخَ عَلَيْهِ
 وَحَمَلَ مَعَهُ مَالًا كَثِيرًا ثُمَّ سَارَ مَعَهُ إِلَى دَارِهِ وَأَسْتَأْذَنَهُ فِي
 الْأَعْتِدَارِ إِلَى ابْنَةِ عَمِّهِ . فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهَا وَتَدَمَّتْ مِنْ ذَلِكَ .
 ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يَسِيرَ مَعَهُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَهُوَ
 يَوْمَئِذٍ مُقِيمٌ بِالرَّمْلَةِ . فَسَارَا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمَا عَلَيْهِ فَدَخَلَ
 الْحَاجِبُ فَأَعْلَمَهُ بِقُدُومِ خُزَيْمَةَ بْنِ بَشِيرٍ . فَرَأَاهُ ذَلِكَ وَقَالَ
 فِي نَفْسِهِ : وَالِي الْجَزِيرَةِ يَقْدَمُ عَلَيْنَا بِغَيْرِ أَمْرِنَا مَعَ قُرْبِ
 الْعَهْدِ بِهِ . مَا هَذَا إِلَّا لِحَادِثٍ عَظِيمٍ . فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهُ
 قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ عَلَيْهِ : مَا وَرَاءَكَ يَا خُزَيْمَةُ . قَالَ : خَيْرٌ
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ : فَا الَّذِي أَقْدَمَكَ . قَالَ : يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ ظَهَرَتْ بِجَابِرِ عَشْرَاتِ الْكِرَامِ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُسْرَكَ

بِهِ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ تَلَهُّفِكَ وَتَشَوُّقِكَ إِلَى رُؤْيَيْهِ . قَالَ : وَمَنْ
 هُوَ . قَالَ : عِكْرِمَةُ الْفَيَّاضُ . قَالَ . فَأَذِنَ لَهُ بِالْدُخُولِ فَدَخَلَ
 وَسَلَّمَ عَلَيْهِ بِالْخِلَافَةِ فَرَحَّبَ بِهِ وَأَدْنَاهُ مِنْ مَجْلِسِهِ وَقَالَ :
 يَا عِكْرِمَةُ مَا كَانَ خَيْرُكَ لِي إِلَّا وَبَالًا عَلَيْكَ . فَأَكْتُبْ
 حَوَائِجَكَ كُلَّهَا فِي رُقْعَةٍ . فَفَعَلَ ذَلِكَ فَأَمَرَ الْخَلِيفَةَ مِنْ
 سَاعَتِهِ بِقَضَائِهَا لَهُ عَلَى أُمَّتِهِ وَجَهٍ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ
 دِينَارٍ وَأَوْلَادِهِ شَيْئًا كَثِيرًا مِنَ التُّحَفِ وَالظُّرْفِ . ثُمَّ عَقَدَ
 لَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَّةَ وَأَذْرَبِيجَانَ وَقَالَ لَهُ : أَمْرُ خَزِيمَةَ
 بِيَدِكَ إِنْ شِئْتَ أَبَيْتَهُ وَإِنْ شِئْتَ عَزَلْتَهُ . قَالَ : بَلْ رُدُّهُ
 إِلَى عَمَلِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . ثُمَّ أَنْصَرَفَا مِنْ عِنْدِهِ جَمِيعًا
 وَلَمْ يَزَالَا عَامِلِينَ لِسُلَيْمَانَ مَدَّةَ خِلَافَتِهِ

الباب الخامس

في التعازي والمرثي

التعازي

إِنَّ التَّعْزِيَةَ هِيَ التَّصْبِيرُ وَذِكْرُ مَا يُسَلِّي صَاحِبَ الْمَيِّتِ
وَيُخَفِّفُ حُزْنَهُ وَيُهَوِّنُ مُصِيبَتَهُ

بَلَغَ الشَّافِعِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مَهْدِيٍّ مَاتَ لَهُ ابْنٌ
فَجَزِعَ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا . فَبَعَثَ إِلَيْهِ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ : يَا أَخِي
عَزَّ نَفْسِكَ بِمَا تُعْزِّي بِهِ غَيْرَكَ وَأَسْتَقْبِحُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُهُ
مِنْ غَيْرِكَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ أَمْضَ^(١) الْمَصَائِبِ فَقْدُ سُورٍ وَحَرَمَانٍ
أَجْرٍ . فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَا مَعَ اكْتِسَابِ وَزْرِ . أَلْهَمَكَ اللَّهُ
عِنْدَ الْمَصَائِبِ صَبْرًا وَأَجْزَلَ لَنَا وَلَكَ بِالصَّبْرِ أَجْرًا

وَكَتَبَ الرَّسُولُ إِلَى مَعَاذِ بْنِ جَبَلٍ يُعْزِّيهِ عَنْ وَلَدِهِ
فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ فَعَظَّمَ اللَّهُ لَكَ الْأَجْرَ وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ وَرَزَقَنَا
وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلَنَا وَأَوْلَادَنَا

مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ تَعَالَى الْهِنِيَّةَ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةَ يَمْتَعِنَا بِهَا
 إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ وَيَقْبِضُهَا ^(١) لِيَوْمٍ مَعْلُومٍ . ثُمَّ فَرَضَ اللَّهُ
 تَعَالَى عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أُعْطِيَ وَالصَّبْرَ إِذَا أُبْتَلِيَ . وَإِنَّ ابْنَكَ مِنْ
 مَوَاهِبِ اللَّهِ الْهِنِيَّةَ وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةَ . مَتَعَكَ اللَّهُ بِهِ فِي
 غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ وَقَبْضَةٍ بِأَجْرِ كَبِيرٍ إِنْ صَبَرْتَ وَأُحْتَسِبْتَ ^(٢) فَأَصْبِرْ
 وَأُحْتَسِبْ وَأَعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لَا يَرُدُّ مَيِّتًا وَلَا يَطْرُدُ حُزْنَآ
 وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخٍ لَهُ يُعَزِّيهِ : أَنْتَ يَا أَخِي أَعَزَّكَ
 اللَّهُ عَالِمٌ بِالدُّنْيَا وَمَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الْفَنَاءِ وَأَنَّهَا لَمْ تُعْطِ إِلَّا
 أَخَذَتْ وَلَمْ تَسُرَّ إِلَّا أَحْزَنْتْ . وَأَنَّ الْمَوْتَ سَبِيلٌ مَحْتَمٌ
 عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَا دَافِعَ عَنْهُ وَلَا مُؤَخَّرَ لِمَا قَضَى
 اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ . وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ
 وَعَزَّى صَالِحُ الْمُرِّيِّ رَجُلًا بِابْنِهِ فَقَالَ لَهُ : إِنْ كَانَتْ
 مُصِيبَتُكَ لَمْ تُحْدِثْ لَكَ مَوْعِظَةً فَمُصِيبَتُكَ بِنَفْسِكَ أَعْظَمُ مِنْ
 مُصِيبَتِكَ بِابْنِكَ . وَأَعْلَمْ أَنَّ التَّهْنِئَةَ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ
 التَّعْزِيَةِ عَلَى عَاجِلِ الْمُصِيبَةِ

(١) يمينها (٢) يقال احتسب بكذا اجرا عند الله اي اعثده ينوي

به وجهه تعالى

دَخَلَ زِيَادُ بْنُ عَثْمَانَ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَقَدْ
 تُوِّفِيَ ابْنُهُ أَيُّوبُ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ
 بْنَ أَبِي بَكْرٍ كَانَ يَقُولُ : مَنْ أَحَبَّ الْبَقَاءَ وَلَا بَقَاءَ فَلْيُوطِنْ
 نَفْسَهُ عَلَى الْمَصَائِبِ

وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ يُعْزِيهِ
 بِأَبْنٍ لَهُ

إِنِّي أُعْزِيكَ لَا أَنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنَ الْحَيَاةِ وَلَكِنْ نَسَنَةُ الدِّينِ
 لَيْسَ الْمُعْزَى بِبَاقٍ بَعْدَ مَيِّتِهِ وَلَا الْمُعْزَى وَإِنْ عَاشَا إِلَى حِينٍ
 وَعَزَّيْ أُنُّ السَّمَاكِ رَجُلًا فَقَالَ : عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ فِيهِ
 يَعْمَلُ مَنْ أَحْتَسَبَ وَإِلَيْهِ يَصِيرُ مَنْ جَزِعَ . وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَتْ
 مُصِيبَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا أَعْظَمُ مِنْهَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ فِيهَا أَوْ
 مَعْصِيَتِهِ بِهَا

وَعَزَّى بَعْضُهُمْ صَدِيقًا لَهُ
 لَا بَدَّ مِنْ فَقْدٍ وَمِنْ فَاقِدٍ هَيَّاتَ مَا فِي النَّاسِ مِنْ خَالِدٍ
 وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَوْلَادِ صَدِيقِهِ يُعْزِيهِمْ وَيُسَلِّمُهُمْ فِي
 وَالِدِهِمْ فَقَالَ

فَلَوْ كَانَ فَيْضُ الدَّمْعِ يَنْفَعُ بَأَكْبَارًا
لَعَلَّمْتُ غَرْبًا ^(١) الدَّمْعِ كَيْفَ يَسِيلُ
فَإِنْ غَابَ بَدْرُهُ فَالنُّجُومُ طَوَالِحُهُ
ثَوَابِتُهُ لَا يَقْضِي لَهَا أَقُولُ
يُعَاثُ بِهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ حَائِرُهُ
وَيَسْرِى عَلَيْهَا بِالرِّفَاقِ دَلِيلُهُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ مَعَزِيًّا

أَلَيْسَ لِهَذَا صَارَ آخِرُ أَمْرِنَا فَلَا كَانَتْ الدُّنْيَا الْقَلِيلَ سُرُورُهَا
فَلَا تَعْجِبِي يَا نَفْسُ هُمَا تَرِينَهُ فَكُلُّ أُمُورِ النَّاسِ هَذَا مَصِيرُهَا
وَقَالَ الْعَتَبِيُّ

وَقَائِلَتِي لَمَّا رَأَتْنِي مُسَهَّدًا كَانَ الْحَشَاءَ مِنِّي يُلْدِعُهُ الْجُمْرُ
أَبَاطِنُ دَاءِ أُمِّ جَوَى بِكَ قَاتِلُهُ فَقُلْتُ الَّذِي بِي لَا يَقُومُ لَهُ صَبْرُ
تَفَرُّقِ الْأَفْيِ وَمَوْتِ أَحَبَّةِ وَفَقَدِ ذَوِي الْأَفْضَالِ قَالَتْ كَذَا الدَّهْرُ
وَعَزَى رَجُلٌ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ بِأَبْنِ لَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَقُولُ
تَعَزَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ لِمَا قَدْ تَرَى يَغْدُو الصَّغِيرُ وَيُولَدُ

(١) الغرب عرق في العين يسقي لا ينقطع

هَلِ الْإِبْنُ إِلَّا مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ لِكُلِّ عَلَى حَوْضِ الْمَنِيَةِ مَوْرِدُ
 وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقِي لَهُ يُعْزِيهِ بِأَخِيهِ وَيُسَلِّيهُ :
 مَا تَصْنَعُ يَا أَخِي وَالْقَضَاءُ نَازِلٌ وَالْمَوْتُ حُكْمٌ شَامِلٌ . وَإِنْ
 لَمْ تَلْذُ بِالصَّبْرِ فَقَدْ أُعْتَرِضْتَ عَلَى مَالِكِ الْأَمْرِ . وَأَنْتَ تَعْلَمُ
 أَنَّ نَوَائِبَ الدَّهْرِ لَا تُدْفَعُ إِلَّا بِعِزَائِمِ الصَّبْرِ . فَاجْعَلْ بَيْنَ
 هَذِهِ اللُّوْعَةِ الْغَالِبَةِ وَاللِّمْعَةِ السَّاكِبَةِ حَاجِبًا مِنْ فَضْلِكَ وَحَاجِرًا
 مِنْ عَقْلِكَ وَدَافِعًا مِنْ دِينِكَ وَمَانِعًا مِنْ يَقِينِكَ . فَإِنَّ الْمَحْنَ
 إِذَا لَمْ تُعَالَجْ بِالصَّبْرِ كَانَتْ كَالْمَنْحِ إِذَا لَمْ تُقَابَلْ بِالشُّكْرِ .
 فَصَبْرًا صَبْرًا فَفَحْوَلُ الرِّجَالِ لَا تَسْتَفِرُّهَا الْأَيَّامُ بِمُخْطُوبِهَا كَمَا
 أَنَّ مَتُونَ الْجِبَالِ لَا تَهْزُهَا الْعَوَاصِفُ بِهَبُوبِهَا . فَعَزِّزْ عَلَيَّ أَنْ
 أُخَاطِبَ مَوْلَايَ مَعْرِيَا وَأُكَاتِبَهُ مُسَلِّيًّا عَنْ كَبِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ مِمَّا
 يَتَعَلَّقُ بِخِدْمَتِهِ أَوْ يَنْتَمِي إِلَى جَمَلَتِهِ . فَكَيْفَ بِالصَّنَوِ (١) الْأَكْرَمِ
 وَالذُّخْرِ الْأَعْظَمِ وَالرُّكْنِ الْأَشَدِّ وَالسَّهْمِ الْأَسَدِّ وَالشَّهَابِ
 الْأَسْطَعِ وَالْحُسَامِ الْأَقْطَعِ . لَكِنَّ التَّعْزِيَةَ سِدْرٌ سَائِرَةٌ وَسَنَةٌ
 مَاضِيَةٌ غَابِرَةٌ . وَأَجَلُ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ وَلَوْلَا أَنْ

الذِّكْرَى تَنْفَعُ وَالتَّغْرِيبَةَ يَسْتَوِي فِيهَا الْأَشْرَفُ وَالْأَوْضَعُ لِأَجَلَّتْ
 مَوْلَايَ أَنْ أَفَاتِحَهُ مُعْزِيًّا وَأَخَاطِبَهُ مُسَلِّيًا • فَبِمَوْلَايَ يُقْتَدَى
 فِي الصَّبْرِ عَلَى النَّوَابِ وَبِنُورِهِ يَهْتَدَى فِي مُشْكَلَاتِ الْمَذَاهِبِ •
 وَكُلُّ مَا كَانَ مِنَ الرُّزْءِ أَوْجَعَ كَانَ الْأَجْرُ عَلَيْهِ أَوْسَعَ •
 جَعَلَ اللَّهُ مَوْلَايَ مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْمُصِيبَةِ وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ
 وَجَعَلَ الْجَنَّةَ نَصِيبَهُ

المراثي

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ : إِنَّ الْمَرَاتِي تُرِقُّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَةَ
 وَتَذِيبُ الدُّمُوعَ الْجَامِدَةَ مَعَ اخْتِلَافِ النَّوَادِبِ عِنْدَ نُزُولِ
 الْمَصَائِبِ • فَنَادِيَةٌ تُشِيرُ الْحُزْنَ مِنْ رِبْضَتِهِ ^(١) وَتَبْعُ الْوَجْدَ
 مِنْ رَقَدَتِهِ بِصَوْتٍ كَتَرَجِيعِ ^(٢) الطَّيْرِ • وَتَتْرُكُ صَدْعًا ^(٣)
 فِي الْقُلُوبِ الْجَوَامِدِ • وَنَادِيَةٌ تُخْفِضُ مِنَ نَشِيبِهَا ^(٤) وَتَقْصِدُ ^(٥)
 فِي نَحْبِهَا وَتَذْهَبُ مَذْهَبَ الصَّبْرِ وَالْإِسْتِسْلَامِ وَالثَّقَةِ بِجَزِيلِ

(١) موضع ربه وبروكه ويراد به محله (٢) تزيد الصوت (٣) الصدع
 الشق في شيء صلب (٤) النشيج الغصن بالبكاء في الحلق من غير انتحاب
 (٥) تعادل

الثَّوَابِ

قَالَتِ الْخُنَسَاءُ تَرَىٰ أَخَاهَا صَخْرًا
 يَذْكُرُنِي طُلُوعِ الشَّمْسِ صَخْرًا ۖ وَأَنْدَبُهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
 إِلَّا يَا نَفْسُ لَا تَنْسِيهِ حَتَّىٰ أَفَارِقَ عَيْشَتِي وَأَزُورَ رَمْسِي
 وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَىٰ أَمْوَاتِهِمْ لَقَنَنْتُ نَفْسِي
 وَمَا يَكُونُ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أُسَلِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّمَايِي
 وَرَثَىٰ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْقَاضِيَّ الْبَاقِلَانِيَّ الْبَصْرِيَّ
 أَنْظَرُ إِلَىٰ جَبَلٍ تَمْشِي الرَّجَالُ بِهِ
 وَأَنْظَرُ إِلَىٰ الْقَبْرِ مَا يَحْوِي مِنَ الصَّلَافِ
 وَأَنْظَرُ إِلَىٰ صَارِمِ الْإِسْلَامِ مُعْتَمِدًا
 وَأَنْظَرُ إِلَىٰ دُرَّةِ الْإِسْلَامِ فِي الصَّدْفِ

وَقَالَ آخَرُ

وَقَفَّتْ كَأَنَّ جَبِينَهُ بَدْرُ الدُّجَىٰ قَامَتْ عَلَيْهِ نَوَادِبُ وَرَوَامِسٍ^(٢)
 غَرَسَ النَّفْسِيلَ^(١) مُؤَمَّلًا لِبَقَائِهِ فَمَا النَّفْسِيلُ وَمَاتَ عَنْهُ الْفَارِسُ

(١) النخلة الصغيرة تقلع من الأرض أو تقطع من الام فتغرس (٢) الروامس الرياح التي تدفن الاثار والدوافن

وَقَالَ الْعَتَبِيُّ فِي ابْنِ لَهُ تُوْفِي صَغِيرًا
 إِنْ يَكُنْ مَاتَ صَغِيرًا فَالْأَسَى غَيْرُ صَغِيرٍ
 كَانَ رِيحَانِي فَأَمْسَى وَهُوَ رِيحَانُ الْقُبُورِ
 غَرَسَتْهُ فِي بَسَاتِينِ الْبَلَى أَيْدِي الدُّهُورِ
 وَرَثَى الْقَاضِي التُّوْخِي رَجُلًا كَرِيمًا
 أَنْصُونُ مَاءِ الْعَيْنِ مِنْ بَعْدِ أَمْرِي قَدْ صَانَ مِنِّي فِي الْوُجُوهِ الْمَاءُ
 يَا قَبْرَهُ لَمْ تَحْوِ جِسْمًا مَيِّتًا لَكِنْ حَوَيْتَ مَكَارِمًا أَحْيَاءَ
 وَرَثَى مُحَمَّدُ بْنُ مُنَازِرٍ عَبْدَ الْحَمِيدِ الْكَاتِبِ
 إِنْ عَبْدَ الْحَمِيدِ يَوْمَ تَوَلَّى هَدَّ رُكْنَا مَا كَانَ بِالْمَهْدُودِ
 مَا دَرَى نَعْشُهُ وَلَا حَامِلُوهُ مَا عَلَى النَّعْشِ مِنْ عَفَافٍ وَجُودِ
 وَرَثَى بَعْضُهُمْ أَحَدَ الْعُلَمَاءِ
 عَلَيْكَ وَحِيدَ الْقَبْرِ مِنِّي تَحِيَّةٌ كَنْفَحَةِ رَوْضٍ أَوْ كَبْعَضِ خِلَاكَا
 وَحْيَاكَ مِنْهُلِ دُرُورٍ^(١) مِنْ الْحَيَا كَخَاطِرِكَ الْفَيَاضِ عِنْدَ أَرْتَجَاكِ
 لَقَدْ رَحَلْتَ مِنْذُ أَرْتَحَلْتَ مَسْرَتِي وَوَأَصَلَنِي بَرَحُ^(٢) الْجَوَى بِأَنْفِصَاكِ

(١) الدرور الكثير الدر اي السيل (٢) شدة

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْعَطَوِيُّ فِي رِثَاءِ ابْنِ أَبِي دُوَادَ
 وَلَيْسَ صَرِيرُ النَّعْشِ مَا تَسْمَعُونَهُ وَلَكِنَّهُ أَصْلَابُ قَوْمٍ تَقْصَفُ
 وَلَيْسَ فَتِيْقُ الْمِسْكِ رِيًّا حَنُوطِهِ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْخَلْفُ
 لَمَّا مَاتَ الرَّشِيدُ دَخَلَ الشُّعْرَاءُ عَلَى الْأَمِينِ لِيَهْنُوهُ
 بِالْخِلَافَةِ وَيَعَزُّوهُ بِالرَّشِيدِ . وَأَوَّلُ مَنْ فَتَحَ لَهُمْ هَذَا الْبَابَ
 أَغْنِي الْجَمْعَ بَيْنَ التَّهْنِئَةِ وَالتَّعْزِيَةِ أَبُو نُوَّاسٍ . فَإِنَّهُ دَخَلَ عَلَى
 الْأَمِينِ فَأَنْشَدَهُ

جَرَّتْ جَوَارِي السَّعْدِ وَالنَّحْسِ فَالْنَّاسُ فِي وَحْشَةٍ وَفِي أُنْسِ
 وَالْعَيْنُ تَبْكِي وَالسِّنُّ ضَا حِكَةً فَفَحْنُ فِي مَاتَمٍ وَفِي عُرْسِ
 يُضْحِكُنَا الْقَائِمُ الْأَمِينُ وَيُبْكِينَا وَفَاءُ الرَّشِيدِ بِالْأَمْسِ
 وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ يَرِثِي بَعْضَ الْوُجُهَاءِ

لَعَمْرُكَ مَا الرِّزِيَّةُ فَقَدْ مَالٍ وَلَا فَرَسٌ يَمُوتُ وَلَا بَعِيرُ
 وَلَكِنَّ الرِّزِيَّةَ فَقَدْ حُرِّ يَمُوتُ لِمَوْتِهِ خَلْقٌ كَثِيرُ

وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ هَانِيٍّ يَرِثِي الْأَمِينَ

طَوَى الْمَوْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ مُحَمَّدٍ وَلَيْسَ لِمَا تَطْوِي الْمَنِيَّةُ نَاشِرُ
 وَكُنْتُ عَلَيْهِ أَحْذَرُ الْمَوْتِ وَحْدَهُ فَلَمْ يَبْقَ لِي شَيْءٌ عَلَيْهِ أَحْذَرُ

لَئِنْ عَمَرْت دُونَ بَيْنِ لَأُحِبُّهُ لَقَدْ عَمَرْت مِمَّنْ أَحَبُّ الْمَقَابِرِ
وَقَالَ آخِرُ

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِي خَلِيلٌ مُودِعٌ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ أَبْقَى بغيرِ خَلِيلٍ
وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تَجِيَّ مَنِّي وَيُفْرِدَ مِنِّي صَاحِبِي وَدَخِيلِي
لَمَّا تُوِّفِي مُعَاوِيَةَ وَأَسْتَخْلِفَ يَزِيدُ ابْنَهُ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى
بَابِهِ وَلَمْ يَقْدُرُوا عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ تَهْنِئَةٍ وَتَعَزِيَةٍ حَتَّى أَتَى عَبْدُ
اللَّهِ بْنُ هَمَّامٍ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرَكَ
اللَّهُ عَلَى الرَّزِيَّةِ وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ .
فَلَقَدْ رُزِتَ عَظِيمًا وَأُعْطِيَتْ جَسِيمًا . فَاشْكُرِ اللَّهَ عَلَى مَا أُعْطِيَتْ
وَأَصْبِرْ لَهُ عَلَى مَا رُزِيَْتَ وَأَنْشَدَهُ

إِصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ وَأَشْكُرِ إِلَهَكَ مِنَ الْمَلِكِ حَابَا كَمَا
لَارُزَاءُ أَصْبَحَ فِي الْأَقْوَامِ نَعْرَفُهُ كَمَا رُزِيَْتَ وَلَا عُنْبِي كَعُقْبَا كَمَا
أَصْبَحْتَ وَالِيَّ أَمْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ فَأَنْتَ تَرَعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرَعَاكَ
وَفِي مُعَاوِيَةَ (١) الْبَاقِي لَنَا خَلْفٌ إِذَا نُعِيْتَ وَلَا نَسْمَعُ بِمَنْعَاكَ
وَدَخَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ صَالِحٍ عَلَى الرَّشِيدِ وَقَدْ مَاتَ لَهُ

(١) يريد أبا ليلى معاوية بن يزيد

وَأَدَّ وَوُلِدَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَوَلَدَ فَقَالَ : سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ
 الْمُؤْمِنِينَ فِي مَا سَاءَكَ وَلَا سَاءَكَ فِي مَا سَرَّكَ • وَجَمَعَ لَكَ
 بَيْنَ أَجْرِ الصَّابِرِ وَثَوَابِ الشَّاكِرِ

وَلَمَّا مَاتَ ذُرُّ الْهَمْدَانِيِّ وَقَفَ أَبُوهُ عِنْدَ حُفْرَتِهِ يَرْتِيهِ
 فَقَالَ : رَحِمَكَ اللَّهُ يَا بُنَيَّ وَجَعَلَ أَجْرِي فِيكَ لَكَ • فَوَاللَّهِ
 لَقَدْ كُنْتُ بِي بَارًا وَوَلِي نَافِعًا وَكُنْتُ لَكَ مُحِبًّا وَعَلَيْكَ مُشْفِقًا •
 ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ وَعَدْتَ الصَّابِرِينَ
 عَلَى الْمُصِيبَةِ ثَوَابَكَ وَرَحْمَتَكَ • اللَّهُمَّ وَقَدْ وَهَبْتَ مَا جَعَلْتَ
 لِي مِنَ الْأَجْرِ فِي ذُرِّي صَلِّ عَلَى مَنِّي لَهُ فَلَا تَحْرِمْنِي وَتَجَاوِزْ عَنْهُ
 فَإِنَّكَ رَحِيمٌ بِي وَبِهِ • اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ
 حَقِّي فَاغْفِرْ لَهُ مَا قَصَرَ فِيهِ مِنْ حَقِّكَ فَإِنَّكَ أَوْلَى بِالْجُودِ وَالْكَرَمِ
 وَقَالَتِ الْخُنَسَاءُ تَرْتِي أَخَاهَا صَخْرًا

أَعَيْنِي جُودًا وَلَا تَجْمُدَا أَلَا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى
 أَلَا تَبْكِيَانِ الْجُرِيءِ الْجُودِ أَلَا تَبْكِيَانِ الْفَتَى السَّيِّدَا
 طَوِيلُ النَّجَادِ^(١) رَفِيعُ الْعِمَا دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدَا

(١) النجاد حمائل السيف • يقال فلان طويل النجاد اي طويل القامة
 وهو من باب الكناية لان طول النجاد يستلزم طول القامة

يُحْمَلُهُ الْقَوْمُ مَا عَالَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ أَصْفَرَهُمْ مَوْلِدًا
 جُمُوعٌ^(١) الضُّيُوفِ إِلَى بَابِهِ يَرَى أَفْضَلَ الْكُتُبِ أَنْ يُحْمَدَا
 وَقَالَ الصَّفَدِيُّ يَرِنِي أَحَدَ خُلَانِيهِ

يَا غَائِبًا فِي الثَّرَى تَبَلَى مَحَاسِنُهُ اللَّهُ يُؤَلِّيكَ غُفْرَانًا وَإِحْسَانًا
 إِنْ كُنْتَ جُرِّعْتَ كَأْسَ الْمَوْتِ وَاحِدَةً
 فِي كُلِّ يَوْمٍ أَذِيقُ الْمَوْتَ الْوَانَا

وَرَتَى عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ
 حِينَ رَجَعَ مِنْ دَفْنِهِ فَقَالَ

ذَهَبَ الَّذِينَ أَحْبَبْتُمْ فَعَلَيْكَ يَا دُنْيَا السَّلَامُ
 لَا تَذْكُرَنَّ الْعَيْشَ لِي مِمَّا فَالْعَيْشُ بَعْدَهُمْ حَرَامٌ
 إِنِّي رَضِيعٌ وَصَالِحٌ وَالطِّفْلُ يُؤَلِّمُهُ الْفِطَامُ

وَقَالَ آخَرُ يَرِنِي خَلِيلًا لَهُ

وَلَا أَرْتَجِي فِي الْمَوْتِ بَعْدَكَ طَائِلًا^(٢)

وَلَا أَتَقِي لِلدَّهْرِ بَعْدَكَ مِنْ خَطْبٍ

(١) كثير الجمع (٢) فائدة ونفعا

وَقَالَ آخِرُ فِي الْمَعْنَى

لَقَدْ أَمِنْتُ نَفْسِي الْمَصَائِبَ بَعْدَهُ فَأَصْبَحْتُ مِنْهَا آمِنًا أَنْ أُرْوَعًا^(١)
فَمَا أَتَيْتِي لِلدَّهْرِ بَعْدَكَ نَكْبَةً وَلَا أَرْتَجِي لِلْعَيْشِ بَعْدَكَ مَرْتَعًا
وَرَأَيْتِي أَشْجَعُ بْنُ عَمْرٍو السَّلْمِيِّ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ سَعِيدٍ فَقَالَ
مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حَيْثُ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ

وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ
وَمَا كُنْتُ أَدْرِ بِمَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ

عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيْبَتْهُ الصَّفَائِحُ^(٢)
وَأَصْبَحَ فِي لَحْدٍ مِنَ الْأَرْضِ مَيِّتًا

وَكَانَ بِهِ حَيًّا تَضِيقُ الصَّحَاصِحُ^(٣)
سَاءَ بِكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَضُّ^(٤)

فَحَسْبُكَ مِنِّي مَا تَكُنُّ الْجَوَائِحُ
وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعٌ

وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ فَقْدِكَ فَارِحُ

(١) اخوف (٢) الصفائح حجار عراض رفاق تسقف بها القبور وتبلط
بها الدور (٣) جمع الصحصح وهو ما استوى من الارض (٤) نقل
وتنقص وتنضب

كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَيِّ سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ
عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النُّوَامِحُ

لَئِنْ حَسُنَتْ فِيكَ الْمَرَائِي وَذِكْرُهَا
فَقَدْ حَسُنَتْ مِنْ قَبْلُ فِيكَ الْمَدَائِحُ

وَقَالَ الْغَطَّاشُ الضُّبِّيُّ
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو لَوْلَا إِلَى النَّاسِ أَنِّي

أَرَى الْأَرْضَ تَبْقَى وَالْأَخْلَاءَ تَذْهَبُ
أَخْلَائِي لَوْ غَيْرُ الْحِمَامِ أَصَابَكُمْ

عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ
وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ

إِذَا مَا دَعَوْتُ الصَّبْرَ بَعْدَكَ وَالْبُكَاءَ
أَجَابَ الْبُكَاءَ طَوْعًا وَلَمْ يُجِبِ الصَّبْرُ

فَإِنَّ يَنْقَطِعُ مِنْكَ الرَّجَاءُ فَإِنَّهُ
سَيَقِي عَلَيْكَ الْحُزْنَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ

وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ يَرِثِي عَلِيَّ بْنَ مُحَمَّدٍ الْمُنَجِّمِ
قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ يَا عَلِيُّ مُسَلِّمًا وَلَكَ الزِّيَارَةُ مِنْ أَقَلِّ الْوَاجِبِ

وَأَوْ اسْتَطَمْتُ حَمَلْتُ عَنْكَ تِرَابَهُ

فَلَطَّالَمَا عَنِّي حَمَلْتَ نَوَائِي

وَقَالَ مَوْلَاكَ الْمَزْمُومُ بِرَثِي أَمْرَأَتُهُ أُمُّ الْعَلَاءِ

أَمْرُزَ عَلَى الْجَدَثِ الَّذِي حَلَّتْ بِهِ أُمُّ الْعَلَاءِ فَنَادِيهَا لَوْ تَسْمَعُ

فَلَقَدْ تَرَكَتِ صَغِيرَةً مَرْحُومَةً لَمْ تَدْرِ مَا جَزَعِي عَلَيْكَ فَتَجَزَعُ

فَقَدَّتْ شَمَائِلَ مَنْ لَزَامِكَ حُلُوءَةً فَتَبَيْتُ تُسَهِّرُ أَهْلَهَا وَيُفَجِّعُ

وَإِذَا سَمِعَتْ أُنْبِيَهَا فِي لَيْلِهَا طَفِقَتْ عَلَيْكَ شُؤُونَ عَيْنِي تَدْمَعُ

وَرَثَى الشَّرِيفُ الرَّضِيُّ الْمَوْسُوئِيُّ إِسْمَاقِي الصَّابِيَّ فَقَالَ

أَعَلِمْتَ مَنْ حَمَلُوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَأَ ضِيَاءَ النَّادِي

جَبَلٌ هَوَى لَوْ خَرَّ فِي الْبَحْرِ أَعْتَدِي مِنْ وَقْعِهِ مُتَابِعَ الْأَزْبَادِ

مَا كُنْتُ أَعْلَمُ قَبْلَ حَطِّكَ فِي الثَّرَى أَنَّ الثَّرَى يَعْلُو عَلَى الْأَطْوَادِ

وَقَالَ آخَرُ بِرَثِي صَدِيقَهُ

خَلِيلِي مَا أَزْدَادُ إِلَّا صَبَابَةٌ إِلَيْكَ وَمَا تَزْدَادُ إِلَّا تَنَائِيًا

خَلِيلِي لَوْ نَفْسٌ قَدَّتْ نَفْسَ مَيِّتٍ فَدَيْتُكَ مَسْرُورًا بِنَفْسِي وَمَا أَيْبَا

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَعِيشَ وَإِنْ أُمْتُ

فَعَالَ قَضَاءُ اللَّهِ دُونَ رَجَائِيَا

أَلَا فَلَيْتُ مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ إِنَّا

وَقَالَ أَعْرَابِيٌّ يَرِثِي بَنِيهِ

أَسْكَانَ بَطْنِ الْأَرْضِ لَوْ يُقْبَلُ الْفِدَا

فَيَأْتِي مَنْ فِيهَا عَلَيْهَا وَلَيْتَ مَنْ

فَدَيْنَاوَأَعْطَيْنَاكُمْ سَاكِنِي الظَّهْرِ

فَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي مَشَاطِرَا

عَلَيْهَا تَوَى فِيهَا مَقِيمًا إِلَى الْحَشْرِ

كَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوْتَ غَيْرَهُمْ

فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرُهُ عَادَ فِي شَطْرِي

وَقَدْ كُنْتُ حَيًّا الْخَوْفِ قَبْلَ وَفَاتِهِمْ

فَكَرَّ عَلَى تَكْلِ وَقَبْرَهُ إِلَى قَبْرِ

أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَلَيْتَنِي

فَلَمَّا تَوَفُّوا مَاتَ خَوْفِي مِنَ الدَّهْرِ

لَعَدَّ كُنْتُ ذَا نَابٍ وَظَفِيرٍ عَلَى الْعِدَى

تَقَدَّمْتُ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي

فَلِلَّهِ مَا أُعْطِيَ وَلِلَّهِ مَا حَوَّسَ

فَأَصْبَحْتُ لَا يَخْشَوْنَ نَابِي وَلَا ظَفِيرِي

وَقَالَ مِقَاتِلُ بْنُ عَطِيَّةَ يَرِثِي الْوَزِيرَ نِظَامَ الْمَلِكِ

وَلَيْسَ لِأَيَّامِ الرِّزِيَّةِ كَالصَّبْرِ

كَانَ الْوَزِيرُ نِظَامَ الْمَلِكِ لَوْلَا

يَتِيمَةً صَاغَهَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَرْفِ

عَزَّتْ وَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامُ قِيمَتَهَا

فَرَدَّهَا عِنْدَ مَا عَزَّتْ إِلَى الصَّدْفِ

وَقَالَ آخِرُ يَرِثِي خَلِيلَهُ

وَأَرَى دِيَارَكَ بَعْدَ وَجْهِكَ قَفْرَةً

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِفَقْدِكَ وَاجِدْ

وَالْقَبْرُ مِنْكَ مُشِيدٌ مَعْمُورٌ

فِي كُلِّ يَتِّ رَنَّةٌ وَزَفِيرٌ

وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ لِفَقْدِكَ وَاجِدْ

عَجَبًا لِأَرْبَعٍ أَدْرَعٍ فِي أَرْبَعٍ فِي جَوْفِهَا جِبِلٌّ أَشْمٌ كَبِيرٌ
 وَقَالَ مَنْصُورُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمِصْرِيِّ يَرِثِي أَحَدَ الْأَجْوَادِ
 سَأَلْتُ رُسُومَ الْقَبْرِ عَمَّنْ ثَوَى بِهِ لِأَعْلَمَ مَا لَاقَى فَقَالَتْ جَوَانِبُهُ
 أَتَسْأَلُ عَمَّنْ عَاشَ بَعْدَ وَفَاتِهِ بِإِحْسَانِهِ إِخْوَانُهُ وَأَقَارِبُهُ
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَتَيْبِيُّ يَرِثِي أَبْنًا لَهُ
 أَضْحَيْتُ بِخَدِّي لِلدَّمُوعِ رُسُومٌ أَسْفَأَ عَلَيْكَ وَفِي الْفُؤَادِ كَلُومٌ
 وَالصَّبْرُ يَحْمَدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ
 وَبَعْضُ الْكُتَابِ فِي ابْنِ مَقْلَةَ
 اسْتَشَعَرَ الْكُتَابُ فَقَدَكَ سَالِفًا وَقَضَتْ بِصِحَّةِ ذَلِكَ الْأَيَّامُ
 فَلِذَاكَ سَوَدَتْ الصَّحَائِفُ وَجْهَهَا حُزْنًا عَلَيْكَ وَشَقَّتِ الْأَقْلَامُ
 وَقَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطَيْرٍ الْأَسَدِيُّ يَرِثِي مَعْنُ بْنَ زَائِدَةَ
 هَلُمَّ إِلَى مَعْنٍ وَقُولَا لِقَبْرِهِ سَقَّتِكَ الْفُؤَادِي مَرْبَعًا ثُمَّ مَرْبَعًا
 فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ خَطَّتْ لِلِسَّمَاحَةِ مَضْجَعًا
 وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ وَقَدْ كَانَ مِنْهُ الْبِرُّ وَالْبُحْرُ مَتْرَعًا (١)
 بَلَى قَدْ وَسِعَتْ الْجُودَ وَالْجُودِيَّةَ وَلَوْ كَانَ حَيًّا ضِيقَتْ حَتَّى تَصْدَعًا

فَتَى عَاشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ أَنَسُ لَهُمُ بِالْبَيْرِ قَدْ كَانَ أَوْسَعًا
وَلَمَّا مَضَى مَعْنَى مَضَى الْجُودِ كُلُّهُ وَأَصْبَحَ عَرِينُ الْمَكَارِمِ أَجْدَعًا

وَقَالَ آخِرُ فِي حَبِيبِ لَهُ

عَجِبْتُ لِصَبْرِي بَعْدَهُ وَهُوَ مَيِّتٌ وَقَدْ كُنْتُ أَبْكِيهِ دَمًا وَهُوَ غَائِبٌ
وَكُتِبَ عَلَيَّ قَصْرٌ قَدْ خَرِبَتْ أَرْكَانُهُ وَبَادَتْ أَهْلُهُ وَأَظْلَمَتْ
نَوَاحِيهِ هَذِهِ الْآيَاتُ

هَذِي مَنَازِلُ أَقْوَامٍ عَهْدَتَهُمْ يُوفُونَ بِالْعَهْدِ مَذُكُونًا وَبِالذِّمِّ
تَبْكِي عَلَيْهِمْ دِيَارٌ كَانَ يُطْرَبُهَا تَرْنَمُ الْمُجْدِ بَيْنَ الْجُودِ وَالْكَرَمِ
وَرَثَى بَعْضُ الشُّعْرَاءِ أَحَدَ أَصْدِقَائِهِ فَقَالَ

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ وَكُلُّ الَّذِي دُونَ الْمَمَاتِ قَائِلٌ
وَإِنَّ أَفْتِقَادِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ لَا يَدُومَ خَلِيلٌ
وَوَقَفَ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ عَلَى قَبْرِ ابْنِهِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي
أَرْجُوكَ لَهُ وَأَخَافُكَ عَلَيْهِ . فَحَقِّقْ رَجَائِي وَأَمِّنْ خَوْفِي
وَوُجِدَ عَلَى قَبْرِ جَارِيَةٍ إِلَى جَنْبِ قَبْرِ أَبِي نُوَّاسٍ ثَلَاثُ

آيَاتٍ . فَقِيلَ لَهَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ وَهِيَ
أَقُولُ لِقَبْرِ زُرْتُهُ مُتَلَمِّمًا سَقَى اللَّهُ بَرْدَ الْعَفْوِ صَاحِبَةَ الْقَبْرِ

(١) أنف (٢) مقطوعًا

لقد غيبوا تحت الأثرى قمر الدجى وشمس الضحى بين الصنّاع والفقر
عجبتُ بعينٍ بعدها ملت البكا وقلبٍ عليها يرتجى راحة الصبر

وقال أحمد بن عبد ربه يرثي ولده يحيى
بليت عظامك والأسى يتجدد والصبر ينفد والبكا لا ينفد
يا غائباً لا يرتجى لإيابه ولقائه دون القيامة موعداً
ما كان أحسن ملحداً ضمنته لو كان ضم أباك ذاك الملحد
بالياس أسلو عنك لا بتجلد هيات أين من الحزين تجلد

وقالت أعرابية ترثي ابناً لها
لئن كنت لهوا للعيون وقرّة لقد صرت سقماً للقلوب الصّامخ^(١)
وهون حزني أن يؤمى مدركي وأني غدامن أهل تلك الضرايح
قيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك . قالت: إن
فقدت إياه أمني كل فقدٍ سواه . وإن مصيبتى به هونت عليّ
المصائب بعده . ثم أنشأت تقول

من شاء بعدك فليت فعمليك كنت أحاذر
كنت السواد لناظري فعمليك ذاب الناظر

لَيْتَ الْمَنَازِلَ وَالْدِّيَارَ حَفَائِرُ وَمَقَابِرُ
إِنِّي وَغَيْرِي لَأَمْعَاةٌ حَيْثُ صِرْتُ لَصَائِرُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْتَمِ يَرْتَبِي أَبْنَا لَهُ

دَعْوَتُكَ يَا بَنِيَّ فَلَمْ تُجِبْنِي فَرُدَّتْ دَعْوَتِي يَا سَأَا عَلِيًّا
بِمَوْتِكَ مَاتَتِ اللَّذَاتُ مِنِّي وَكَانَتْ حَيَّةً مَا دُمْتُ حَيًّا
فِيَا أَسْفَا عَلَيْكَ وَطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ لَوَأْنُ ذَلِكَ رَدُّ شَيْئًا

وَرَثَى أَبُو الْعَتَاهِيَةِ زَائِدَةَ بْنَ مَعْنٍ وَكَانَ صَدِيقًا لَهُ

حَزِنْتُ لِمَوْتِ زَائِدَةَ بْنَ مَعْنٍ حَقِيقٌ أَنْ يَطُولَ عَلَيْهِ حُزْنِي
فَتَى قَوْمِي وَأَيُّ فَتَى تَوَارَتْ بِهِ الْأَكْفَانُ تَحْتَ ثَرَى وَلِبْنِ
أَلَا يَا قَبْرَ زَائِدَةَ بْنَ مَعْنٍ دَعْوَتُكَ كَيْ تُجِيبَ فَلَمْ تُجِبْنِي
سَلِ الْأَيَّامَ عَنْ أَرْكَانِ قَوْمِي أَصْبِنَ بَيْنَ رُكْنَا بَعْدَ رُكْنِ

وَلَمَّا دُفِنَ عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ وَقَفَّ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ عَلَى قَبْرِهِ

طَوِيلًا يَبْكِي أَحْرَّ بُكَاءٍ وَيُرْدِدُ هَذِهِ الْآيَاتِ

بَكَيْتُكَ يَا عَلِيُّ بِدَمْعِ عَيْنِي فَمَا أَغْنَى الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
كَفَى حُزْنِيًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدَيَا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

وَقَالَ جَرِيرٌ يَرْتِي وَوَلَدَهُ سَوَادَةٌ
قَالُوا نَصِيْبَكَ مِنْ أَجْرِ فَقُلْتُ لَهُمْ
كَيْفَ الْعَزَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي

فَارَقْتَهُمْ حِينَ غَضَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصْرِي
وَحِينَ صِرْتُ كَعِظَمِ الرَّيْمَةِ الْبَالِي (١)

وَقَالَ أَبُو الشَّغْبِ يَرْتِي ابْنُهُ شَغْبًا
قَدْ كَانَ شَغْبٌ لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضْرُ
لَيْتَ الْجِبَالُ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ دَكَّا فَلَمْ يَبْقَ مِنْ أَحْجَارِهَا حَجْرٌ
فَارَقْتُ شَغْبًا وَقَدْ قَرَّسْتُ (٢) مِنْ كَبْرِ
بُؤْسِ الْخَلِيْطَانِ طُولِ الْحُزْنِ وَالْكَبْرِ

وَقَالَ آخَرُ يَرْتِي ابْنُهُ
بَنِي لَأَنْ ضَمَّتْ جَفُونَ بِمَاءِهَا لَقَدْ قَرَّحَتْ مِنِّي عَلَيْكَ جَفُونَ
دَفَنْتُ بِكَفِّي بَعْضَ نَفْسِي فَأَصْبَحْتُ وَالنَّفْسُ مِنْهَا دَافِنٌ وَدَفِينٌ

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ فِي طِفْلِ أُصِيبَ بِهِ
عَلَى مِثْلِهَا مِنْ فِجَعَةِ خَانَكَ الصَّبْرُ فِرَاقُ حَبِيبٍ دُونَ أَوْبَتِهِ الْحَشْرُ

(١) ما بلي من العظام (٢) صرت أقوس اي منحني الظهر

وَلِي كَيْدٍ مَشْطُورَةٍ فِي يَدِ الْأَسَى

فَتَحَّتْ الثَّرَى شَطْرَهُ وَفَوْقَ الثَّرَى شَطْرَهُ

يَقُولُونَ لِي صَبْرٌ فُؤَادِكَ بَعْدَهُ

فَقُلْتُ لَهُمْ مَسَالِي فُؤَادِهِ وَلَا صَبْرُهُ

إِذَا قُلْتُ أَسْأَلُو عَنْهُ هَاجَتْ بِلَابِلُهُ

يَجِدُهَا فِي فِكْرِهِ يُجِدُّهُ ذِكْرُهُ

وَأَنْظُرُ حَوْلِي لَا أَرَى غَيْرَ قَبْرِهِ

كَأَنَّ جَمِيعَ الْأَرْضِ عِنْدِي لَهُ قَبْرُهُ

أَفْرِخَ جِنَانِ الْخُلْدِ طَرْتُ بِهِجَتِي

وَلَيْسَ سِوَى قَعْرِ الضَّرِيحِ لَهَا وَكْرُهُ

وَلِبَعْضِهِمْ يَرِيثِي أَحَدَ خُلَانِهِ

فَلَمَّا بَكَينَاهُ لِحَقِّ لَنَا وَلَمَّا تَرَ كُنَّا ذَلِكَ لِلصَّبْرِ

فَلَمَّا جَرَّتِ الْعُيُونُ دَمًا وَلَمَّا جَمَدَتْ وَلَمْ تَجْرِ

لَمَّا دُفِنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَقْبَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ

وَقَدْ فَاتَتْهُ الصَّلَاةُ عَلَيْهِ فَوَقَفَ عَلَى قَبْرِهِ يَبْكِي ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ

لَئِنْ فَاتَتْنِي الصَّلَاةُ عَلَيْكَ لَا فَاتَنِي حَسَنُ الثَّنَاءِ. أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ

كُنْتَ سَخِيًّا بِالْحَقِّ بَخِيلًا بِالْبَاطِلِ . تَرْضَى حِينَ الرِّضَى وَتَسْخَطُ
حِينَ السُّخْطِ . مَا كُنْتَ عِيَابًا وَلَا مَدَاحًا فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنِ
الْإِسْلَامِ خَيْرًا

وَأَمَّا مَاتَ دَاوُدُ الطَّائِيُّ تَكَلَّمَ ابْنُ السَّمَاءِ فَقَالَ : ابْنُ
دَاوُدَ نَظَرَ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ آخِرَتِهِ فَأَغْشَى بَصَرُ الْقَلْبِ
بَصَرَ الْعَيْنِ . فَكَأَنَّهُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَى مَا إِلَيْهِ تَنْظُرُونَ . وَكَأَنَّكُمْ
لَمْ تَنْظُرُوا إِلَى مَا إِلَيْهِ نَظَرُوا . وَأَنْتُمْ مِنْهُ تَعْجِبُونَ وَهُوَ مِنْكُمْ
يَعْجَبُ . فَلَمَّا رَأَى كُمْ مَفْتُونِينَ مَفْرُورِينَ قَدْ أَذْهَلَتِ الدُّنْيَا
عُقُولَكُمْ وَأَمَاتَتْ بِحَبِّهَا قُلُوبَكُمْ أَسْتَوْحَشَ مِنْكُمْ . فَكُنْتُ
إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ حَسِبْتُهُ حَيًّا وَسَطَ أَمْوَاتٍ . يَا دَاوُدُ مَا أَعْجَبَ
شَأْنَكَ بَيْنَ أَهْلِ زَمَانِكَ . أَهَنْتَ نَفْسَكَ وَإِنَّا نُرِيدُ إِكْرَامَهَا
وَأَتَعَبْتَهَا وَإِنَّا نُرِيدُ رَاحَتَهَا . غَلَّظْتَ الْمَطْعَمَ وَإِنَّا نُرِيدُ
طَبِيبَهُ وَخَشَنَتِ الْمَلْبَسَ وَإِنَّا نُرِيدُ لِينَهُ . ثُمَّ أَمَتَّ نَفْسَكَ قَبْلَ
أَنْ تَمُوتَ وَقَبْرَتَهَا قَبْلَ أَنْ تُقْبَرَ وَعَذَّبْتَهَا قَبْلَ أَنْ تُعَذَّبَ .
سَجَنَتَ نَفْسَكَ فِي بَيْتِكَ وَلَا مُحَدِّثَ لَهَا وَلَا جَالِسَ مَعَهَا وَلَا
فِرَاشَ تَحْتِكَ وَلَا سِتْرَ عَلَى بَابِكَ . فَمَا أَصْغَرَ مَا بَدَلَتْ وَمَا أَحْقَرَ

مَا تَرَكَتْ فِي جَنْبِ مَا رَغِبْتَ وَأَمَلْتِ . لَمْ تَأْمَلِ مِنَ النَّاسِ
عَطِيَّةً وَلَا مِنْ الْأَخْوَانِ هَدِيَّةً فَلَمَّا مَتَّ شَهْرَكَ رَبُّكَ بِفَضْلِكَ
وَأَبْسَكَ رِدَاءَ عَمَلِكَ

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : حَجَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنٌ لَهَا فَأَصِيبَتْ
بِهِ . فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ وَجِعَةٌ فَقَالَتْ : وَاللَّهِ
يَا بَنِي لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيْعًا وَقَفَدْتُكَ سَرِيْعًا . وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ
بَيْنَ الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَدُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا . فَأَصْبَحَتْ بَعْدَ النُّضَارَةِ
وَالنُّضَارَةَ وَرَوْتِي الْحَيَاةَ وَالنَّسَمَ لَطِيْبٍ رَوَائِحِهَا تَحْتِ أَطْبَاقِ
الْثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرُفَاتًا سَحِيْقًا وَصَعِيْدًا جُرْزًا . أَيُّ بَنِي
لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتِكَ دَارَ الْبِلَاءِ
وَرَمْتَنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً أُرْدَى . أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ
وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظَلَامُهُ . أَيُّ رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ
وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ فَلَمْ تُمَتِّعْنِي بِهِ كَثِيْرًا
بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشِيْكَآ . ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالْأَصْبْرِ وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ
فَصَدَّقْتُ وَعَدَّكَ وَرَضِيْتُ قَضَاءَكَ . فَارْحَمِ اللَّهُ مَنْ تَرَحَّمُ
عَلَى مَنْ اسْتَوْدَعْتَهُ الرَّدْمَ وَوَسَدْتَهُ الثَّرَى . اللَّهُمَّ ارْحَمِ غُرْبَتَهُ

وَأَنسٍ وَحَشْتَهُ وَأُسْتُرُ عَوْرَتَهُ يَوْمَ تَنكشِفُ السَّوَاتُ . اللَّهُمَّ
 إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرَّحْمَى بِرِضَايَ عَنْهُ وَأَسْتَوْدِعُكَ مِنْ أَسْتَوْدِعْتَنِيهِ
 فِي أَحْشَائِي جَنِينًا . وَأَنْكَلُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ
 وَأَقْلَقَ مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَّ أُنْسِهِنَّ
 وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبِهِنَّ مِنَ الْأَحْزَانِ

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرِثِي وَلَدًا لَهُ

لَا بَيْتَ يُسْكَنُ إِلَّا فَارَقَ السَّكْنََا وَلَا أُمَّتَلَا فَرَحًا إِلَّا أُمَّتَلَا حَزْنَا
 لَهْفِي عَلَى مَيِّتٍ مَاتَ السُّرُورُ بِهِ لَوْ كَانَ حَيًّا لِأَحْيَا الدِّينَ وَالسُّنَنَا
 إِذَا ذَكَرْتُكَ يَوْمًا قُلْتُ وَاحْزَنَا وَمَا يَرُدُّ عَلَيْكَ الْقَوْلُ وَاحْزَنَا
 يَا مُهْجَتِي وَمِزَاجَ الرُّوحِ فِي جَسَدِي

هَلَّا دَنَا الْمَوْتُ مِنِّي حِينَ مِنْكَ دَنَا

حَتَّى يَمُرَّ بِنَا فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ لَحْدُهُ وَيَلْبِسُنَا فِي وَاحِدٍ كَفْنَا
 يَا أَطِيبَ النَّاسِ رُوحًا ضَمَّهُ بَدَنُهُ أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ ذَاكَ الرُّوحَ وَالْبَدَنَا
 لَوْ كُنْتُ أُعْطِيَ بِهِ الدُّنْيَا مُعَاوَضَةً مِنْهُ لَمَا كَانَتْ الدُّنْيَا لَهُ ثَمَنًا

تُوْفِّي ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَبَكَى عَلَيْهِ حِينًا فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يَسْأَلَ عَنْهُ

تُوْفِّي لَهُ ابْنُ آخِرٍ . فَقَالَ فِي ذَلِكَ

عِيُونَ قَدْ بَكَيْتِكَ مُوجَعَاتٍ أَضْرَبَهَا الْبُكَاءُ وَمَا يَنِينَا
 إِذَا أَنْفَدَنَ دَمْعًا بَعْدَ دَمْعٍ يُرَاجِعُنَ الشُّؤُونَ فَيَسْتَنْقِينَا
 نَظَرَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَى الْخُنْسَاءِ وَبِهَا نُدُوبٌ فِي وَجْهِهَا
 فَقَالَ : مَا هَذِهِ النُّدُوبُ يَا خُنْسَاءُ . قَالَتْ : مِنْ طُولِ
 الْبُكَاءِ عَلَى أَخَوَيْي ثُمَّ أَنْشَدَتْ
 وَقَائِلَةٌ وَالنَّعْشُ قَدَفَاتُ خَطُوهَا لِتُدْرِكَهُ بِالْهَفِّ نَفْسِي عَلَى صَخْرٍ
 أَلَا تَكَلَّتْ أُمَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِهِ إِلَى الْقَبْرِ مَاذَا يَحْمِلُونَ إِلَى الْقَبْرِ
 وَقَالَتْ أُخْتُ الْوَلِيدِ بْنِ طَرِيفٍ تَرْتِي أَخَاهَا الْوَلِيدَ
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ
 فَتِي لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ النَّقِيِّ . وَلَا الْمَالَ إِلَّا مِنْ قَنَا وَسَيُوفٍ
 فَقَدْنَاهُ فَقَدَانِ الرَّيِّعِ فَلَيْتَنَا قَدِينَاهُ مِنْ سَادَاتِنَا بِالْوَفِ
 خَفِيفٌ عَلَى ظَهْرِ الْجَوَادِ إِذَا عَدَا وَلَيْسَ عَلَى أَعْدَائِهِ بِخَفِيفٍ
 عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ وَقَفَا فإِنِّي أَرَى الْمَوْتَ وَقَاعًا بِكُلِّ شَرِيفٍ
 وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ يَرْتِي وَوَلَدُهُ يَحْيَى
 وَابْكِدَا قَدْ نَقَطَتِ كَبْدِي قَدْ حَرَقَتْهَا لَوَاعِجُ الْكَمَادِ
 مَا مَاتَ حَيٌّ لِمَيْتٍ أَسْفًا أَعَذَرَ مِنْ وَالِدٍ عَلَى وَلَدٍ

يَا رَحْمَةَ اللَّهِ جَاوِرِي جَدْنَا دَفَنْتُ فِيهِ حَشَاشَتِي بِيَدِي
 وَنَوْرِي ظُلْمَةَ الْقُبُورِ عَلَى مَنْ لَمْ يَصِلْ ظُلْمُهُ إِلَى أَحَدٍ
 مَنْ كَانَ خَلُوعًا مِنْ كُلِّ بَائِقَةٍ وَطِيبَ الرُّوحِ طَاهِرَ الْجَسَدِ
 يَا مَوْتَ يَحْيِي لَقَدْ ذَهَبَتْ بِهِ لَيْسَ بِزُمَيْلَةٍ ^(١) وَلَا نَكِيدٍ ^(٢)
 يَا مَوْتَهُ لَوْ أَقَلَّتْ عَثْرَتَهُ يَا يَوْمَهُ لَوْ تَرَكَتَهُ لَقَدِ
 يَا مَوْتُ لَوْ لَمْ تَكُنْ تُعَاجِلُهُ لَكَانَ لِأَشْكَ بِيضَةٍ ^(٣) الْبَلَدِ
 أَوْ كُنْتَ رَاخِيَةً فِي الْعِنَانِ لَهُ حَازَ الْعَلَا وَأَحْتَوَى عَلَى الْأَمَدِ
 أَيُّ حِسَامٍ سَلَبْتَ رَوْقَتَهُ وَأَيُّ رُوحٍ سَلَلْتَ مِنْ جَسَدِ
 وَأَيُّ سَاقٍ قَطَعْتَ مِنْ قَدَمٍ وَأَيُّ كَفٍّ أَزَلْتَ مِنْ عَضُدِ
 يَا قَمْرًا أَجْفَفَ الْخُسُوفُ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ السَّوَاءِ ^(٤) فِي الْعَدَدِ
 أَيُّ حَشَا لَمْ يَذُبْ لَهُ أَسْفَا وَأَيُّ عَيْنٍ عَلَيْهِ لَمْ تَجِدِ
 لَا صَبْرَ لِي بَعْدَهُ وَلَا جَلَدَ فَجُمِعْتُ بِالصَّبْرِ فِيهِ وَالْجَلَدِ
 لَوْ لَمْ أَمُتْ عِنْدَ مَوْتِهِ كَمَا لَحِقَّ لِي أَنْ أَمُوتَ مِنْ كَمَدِي
 يَا لَوْعَةٍ لَا يَزَالُ لَاعْجِبُهَا يَقْدَحُ نَارَ الْأَسَى عَلَى كَبَدِي

(١) جبان وضعيف (٢) عسر صعب قليل الخير (٣) بيضة البلد
 الذي يجتمع إليه ويقبل قوله (٤) السواء الوسط بين الخدين والمنتصف
 وليلة السواء ليلة اربع عشرة لاستواء القمر فيها

وَتُوْفِي وَوَلَدُ أَعْرَابِي فِي يَوْمِ عِيدِ فَقَالَ يَرِثِيهِ

لَيْسَ أَرَجَالُ جَدِيدِهِمْ فِي عِيدِهِمْ وَوَلَسْتُ حُزْنَ أَبِي الْحُسَيْنِ جَدِيدًا
أَيْسُرُنِي عِيدٌ وَمَ أَرَجَاهُ فِيهِ إِلَّا بَعْدًا لِدَلِكِ عِيدًا
فَارَقْتُهُ وَبَقَيْتُ أَخْلُدُ بَعْدَهُ لَا كَانَ ذَاكَ بَقَاً وَلَا تَخْلِيدًا
مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَاءً لِنَقْدِ حَبِيبِهِ فَهُوَ الْخَوَّونُ مُودَّةً وَعَهْدًا
مُتَّعَ حَبِيبِكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَا تَعِشْ

مَنْ بَعْدَهُ ذَا لَوْعَةٍ بِكُمُودًا
مَا أَمْ خَشْفٍ ^(١) قَدَمًا لَأَحْشَاءَهَا حَذْرًا عَلَيْهِ وَجَفْنَهَا تَسْهِيدًا
إِنْ نَامَ لَمْ تَهْجَعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ فَبَيْتٌ مَكْلُومًا بِهَا مَرْصُودًا
مِنِّي بَأَوْجَعٍ ^(٢) إِذْ رَأَيْتُ نَوَائِحًا لِأَبِي الْحُسَيْنِ وَقَدْ لَطَمَنَ خُدُودًا
وَأَقْدَعِدِمْتُ أَبَا الْحُسَيْنِ جَلَادِي لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكَ الْمَقْشُودًا
كُنْتُ الْجَلِيدَ عَلَى الرِّزَايَا كُلِّهَا وَعَلَى فِرَاقِكَ لَمْ أَجِدْ تَخْلِيدًا
وَمَنْ بَقِيَتْ وَمَا هَلَكْتَ فَإِنَّ لِي أَجَلًا وَإِنْ لَمْ أَحْصِهِ مَعْدُودًا
لَا مَوْتَ لِي إِلَّا إِذَا الْأَجَلُ اتَّقَضَى فَهِنَاكَ لَا أَتَجَاوَزُ الْخُدُودًا
حُزْنِي عَلَيْكَ بِقَدْرِ حُبِّكَ لَا أَرَى يَوْمًا عَلَى هَذَا وَذَاكَ مَزِيدًا

(١) الخشف ولد الظبي اول ما يولد او اول مشيه (٢) خبر لام خشف

اي ما ام خشف باوجع مني

مَا هَدَّ رُكْنِي بِالسِّنِينَ وَإِنَّا
 أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ بِالْأَسَى مَهْدُودًا
 يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ وَالِدًا
 وَكَذَلِكَ أَنَّكَ لِمِمْ تَكُنْ مَوْلُودًا
 فَلَقَدْ شَفَيْتُ وَرَبَّمَا شَقِيَّ الْفَتَى
 بِفِرَاقٍ مِنْ يَهُوَى وَكَانَ سَعِيدًا
 مَنْ ذَمَّ جَفْنَا بِأَخْلَا بِدُمُوعِهِ
 فَعَلَيْكَ جَنَنِي لَمْ يَزَلْ مَحْمُودًا
 فَالآنَ نَظَمْتُ مَرَاتِمًا مَشْهُورَةً
 تُنْسِي الْأَنَامَ كَثِيرًا وَوَلِيدًا^(١)
 وَجَمِيعَ مَنْ نَظَّمَ الْقَرِيضَ مُفَارِقًا
 وَلَدًا لَهُ أَوْ صَاحِبًا مَنقُودًا

من مرثاة لبهاء الدين زهير رثى بها فتح الدين عثمان بن

حسام الدين والي الاسكندرية

عَلَيْكَ سَلَامٌ اللَّهُ يَا قَبْرَ عُمَانَ
 وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلَّ رُوحٍ^(٢) وَرِيحَانٍ
 وَلَا زَالَ مِنْهَلًا عَلَى تَرْبِكَ الْحَيَا^(٣)
 يُغَادِيكَ^(٤) مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفٍ هَتَانٍ^(٥)
 لَمَّا خَنَّتْهُ فِي الْوُدِّ إِذْ عَشَتْ بَعْدَهُ
 وَمَا كَانَ فِي وُدِّ الصَّدِيقِ بِغَوَّانٍ
 وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي الْخَطُوبِ يُطِيعُنِي

فَأَلِي أَرَاهُ الْيَوْمَ أَظْهَرَ عَصِيَانِي
 فَيَا تَأْوِيًا قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ ذِكْرَهُ
 فَأَضْحَى وَطِيبَ الذِّكْرِ عُمَرَاهُ تَانٍ
 وَجَدْتُ الَّذِي أَسْلَاكَ عَنِّي وَإِنِّي
 وَحَقِّكَ مَا حَدَّثْتُ نَفْسِي بِسَأْوَانٍ

(١) كثير وليد شاعران مشهوران . (٢) الروح نسيم الريح (٣) المطر

(٤) يباكرك (٥) اي كل سحاب أوظف وهو المسترخي لكثرة مائه

فَدَيْتُ الَّذِي فِي حَبِيهِ اتَّفَقَ الْوَرَى فَلَوْ سَأَلُوا لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ إِثْنَانِ
 لَمَّا دَفَنَ الْأَقْوَامُ يَوْمَ وَفَاتِهِ بَقِيَّةَ مَعْرُوفٍ وَخَيْرٍ وَإِحْسَانِ
 وَوَارُوهُ وَالَّذِي كَرَى تُمَثِّلُ شَخْصَهُ كَمَا كُنْتُ أَلْقَاهُ قَدِيمًا وَيَلْقَانِي
 يُوَجِّهُنِي فِي كُلِّ وَقْتٍ خِيَالَهُ لِحَاوِيَنِي تَحْتَ التُّرَابِ وَبِأَنِي
 وَأَحْسَبُ لَوْ نَادَيْتُهُ وَهُوَ مَيِّتٌ فَإِذَا كَانَ مُحْتَاجًا لِطَيِّبٍ أَكْفَانِ
 هَنِيئًا لَهُ قَدْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا فَأَيُّ لِي لَا أَبْكِيهِ وَالرُّزْمُ رُزَانِ
 صَدِيقِي الَّذِي إِذَا مَاتَ مَوْتٌ مُهْجَتِي وَكُنْتُ كَأَنِّي بَيْنَ أَهْلِي وَأَوْطَانِي
 وَكَانَ أُنَيْسِي مَذْبُوتٌ بِغُرْبَةٍ وَلَا أَحَدٌ عَنْهُ مِنَ النَّاسِ أَسْلَانِي
 وَقَدْ كَانَ أَسْلَانِي عَنِ النَّاسِ كَلِمٌ مَتَى جِئْتُهُ لَمْ تَلْقَهُ غَيْرَ جَدْلَانِ
 كَرِيمٌ الْحَيَا بِاسْمِهِ مُتَهَلِّلٌ فَإِنِ قُلْتَ مَنْنًا فَقُلْ غَيْرَ مَنْنَانِ
 يَمُنُ لِحَنِ يَرْجُوهُ مِنْ غَيْرِ مَنْنَةٍ وَحَسْبُكَ مِنْ هَذَيْنِ أَمْرَانِ مَرَّانِ
 فَقَدْتُ حَبِيبًا وَأَبْتَلَيْتُ بِغُرْبَةٍ فَأَيُّ صَارَ أَقْسَانِي عَلَيْهِ وَأَقْصَانِي
 وَمَا كُنْتُ عَنْهُ أَمْلِكُ الصَّبْرَ سَاعَةً وَهَيِّبَاتِ إِنْسَانٍ يَمُوتُ لِإِنْسَانِ
 هُوَ الْمَوْتُ مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِصَاحِبِ فَمِنْ قَبْلِنَا كَمْ قَدْ تَفَرَّقَ الْفَنَانِ
 كَذَلِكَ مَا زَالَ الزَّمَانُ وَأَهْلُهُ إِلَى الْعَالَمِ الْبَاقِي مِنَ الْعَالَمِ الْفَانِي
 وَمَا النَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلِ

ومن مرثاة للشريف ابي الحسن الرضي الموسوي

يرثي بها والدته

أَبَيْكَ لَوْ نَفَعَ الْغَالِبَ بُكَائِي وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ الْمَقَالُ بِدَائِي
وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ تَعَزِّيًّا لَوْ كَانَ فِي الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَزَائِي
فَارَقْتُ فِيكَ تَمَسُّكِي^(١) وَتَجَمُّلِي^(٢) وَتَسَيِّتُ فِيكَ تَعَزِّيًّا وَإِبَائِي
كَمْ زَفْرَةٌ^(٣) ضَعُفَتْ فَصَارَتْ أَنَّهُ أَتَمَّتْهَا بِتَنْفَسِ الصَّعْدَاءِ
قَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَا

مِمَّا أَلَمَّ فَكُنْتَ أَنْتِ فِدَائِي
وَجَرَى الزَّمَانُ عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ فِي قَلْبِ آمَالِي وَعَكْسِ رَجَائِي
وَتَفَرَّقَ الْبُعْدَاءُ بَعْدَ مَوَدَّةٍ صَعَبٌ فَكَيْفَ تَفَرَّقَ الْقُرْبَاءُ
كَيْفَ السُّلُوكِ كُلِّ مَوْقِعٍ لِحَظَّةٍ أَشْرَ لِفَضْلِكَ خَالِدٌ بِإِزَائِي

من مرثاة للشيخ ناصيف اليازجي

يرثي ولده الشيخ حبيب

ذَهَبَ الْحَبِيبُ فَيَا حُشَاشَةَ^(٤) ذُوِي أَسْفَا عَلَيْهِ وَيَا دُمُوعُ أَجِيْبِي

(١) التمسك الاعتصام ويريد به الاعتصام بالصبر (٢) من تجمل اذا لم يظهر الذل على نفسه (٣) الزفرة التنفس بعد مد النفس (٤) الحشاشة بقية الروح في المريض والجريح

رَبَّيْتُهُ لِلْبَيْتِ حَتَّى جَاءَهُ فِي جَنَحِ لَيْلٍ خَاطِفًا كَالذَّبِ
 يَا أَيُّهَا الْأُمُّ الْعَزِيزَةُ أَجْمَلِي صَبْرًا فَإِنَّ الصَّبْرَ خَيْرُ طَيِّبٍ
 لَا تَخْلَعِي ثَوْبَ الْحِدَادِ وَلَا زِمِي نَدْبًا عَلَيْهِ يَلِيقُ بِالْمَنْدُوبِ
 هَذَا هُوَ الْفَضْنُ الرَّطِيبُ أَصَابَهُ سَهْمُ الْقَضَاءِ فَاتَ غَيْرَ رَطِيبٍ
 إِنِّي وَقَفْتُ عَلَى جَوَانِبِ قَبْرِهِ أَسْقِي شَرَاهُ بِمَدْمَعِي الْمَصْبُوبِ
 وَتَقَدُّ كَتَبْتُ لَهُ عَلَى صَفْحَاتِهِ يَا لَوْعَتِي مِنْ ذَلِكَ الْمَكْتُوبِ
 لَكَ يَا ضَرِيحُ كَرَامَةٌ وَمُحِبَّةٌ عِنْدِي لِأَنَّكَ قَدْ حَوَيْتَ حَبِيبِي

من مرثاة لبشاره عبدالله الخوري يرثي بها فقيده الادب

المرحوم نجيب حبيبه

أَلَا أَيُّهَا الطَّيْرُ الْمَغْرَدُ فِي الضَّمْحَى عَلَى غَصْنٍ لَدُنِ الْقَوَامِ رَطِيبِ
 أَتَدْبُ الْفَأَ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَكَ أَمْ تَبْكِي لِفَقْدِ نَسِيبِ
 تَفْتِشُ عَنْهُ فِي الرِّيَاضِ وَتَشْتَبِي بِلَوْعَةٍ مَلْدُوعِ الْفُؤَادِ كَسِيبِ
 فَلَا أَنْتَ تَلْقَاهُ فَتَنْقَعُ ^(١) غَلَّةً ^(٢) وَلَا هُوَ إِنْ نَادَيْتَهُ بِمَجِيبِ
 فَتُصِيبِي عَرِيبًا فِي الْفَلَاةِ مُشْرَدًا وَنَارُ الْأَسَى فِي الْقَلْبِ ذَاتُ لَهَيْبِ
 تُحَاوِلُ أَنْ تَلْقَى مَبِيتًا بِذِي الْحَمَى وَقَدْ آذَنْتَ شَمْسَ الضَّمْحَى بِمَجِيبِ

(١) تسكن (٢) عطشاً

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا كَرَامِيَكُمْ مِنَ الْأَذَى فَقَلْبِي مَفْتُوحٌ أَكَلٌ غَرِيبٍ
وَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَبْغِي السُّلُوءَ وَلَا تَرَى لِقَلْبِكَ بَدَأَ مِنْ جَوَى وَوَجِيبِ (١)
فَسِرِّي بِسِرِّي (٢) لَوْعَةٍ وَنَجِيبِ إِلَى جَدَثٍ فِيهِ يُقِيمُ حَبِيبِي

وَقَفْتُ لَدَى مَثْوَى النَّجِيبِ وَاللِّدْجِي جَلَالَةَ مُلْكٍ فِي الْأَنَامِ مَهِيبِ
وَقَدْ خِيمَ الصَّمْتِ الرَّهَيْبِ بِسَاحَةِ يَحُومُ عَلَيْهَا الْيَوْمَ كُلُّ أَدِيبِ
وَمِيلَ مَعْتَلِ النَّسِيمِ بِكَفِّهِ الْأَطِيفَةِ عُنُقَ الرَّهْرِ عِنْدَ هُبُوبِ
سُكُونِ ظَلَامٍ لَا يَقْطِعُهُ سِوَى حَفِيفِ نَفُوسٍ أَوْ حَنِينِ قُلُوبِ (٣)
وَمَا هِيَ إِلَّا وَقْفَةٌ ثُمَّ ضُرِّجَتْ ثِيَابِي بِدَمْعٍ بِالْأَدِمَاءِ خَضِيبِ
وَقَدْ هَلَعَ الْعَصْفُورُ مِنْ هَوْلٍ مَا رَأَى

فَقَالَ بِصَوْتٍ خَافَتْ وَمَرِيبِ
عَلَامَ أَرَى هَذِي النَّفُوسَ حَزِينَةَ وَأَسْمَعُ فِي ذَا الْقَبْرِ صَوْتَ نَجِيبِ
فَقُلْتُ وَقَلْبِي وَاجِفٌ وَنَوَاطِرِي تُشِيرُ إِلَى مَثْوَى إِلَيَّ قَرِيبِ
هَنَا أَيُّهَا الْعَصْفُورُ مُضْطَجِعِ الْوَفَا هَنَا أَيُّهَا الْعَصْفُورُ قَبْرِ نَجِيبِ

(١) خفتان (٢) السرب القطيع من الطباء وغيرها (٣) من حفت

إذا سمع عند حركته صوت

الباب السادس

في التهاني

قَالَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ شَوْذِبَةَ الْفَارِسِيُّ تَهْنِئَةً بَعِيدًا
 أَنْعِمُ بِيَوْمِ الْمَهْرَجَانِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ أَتَاكَ بِهِ الزَّمَانُ جَدِيدٌ
 إِنْ كَانَ هَذَا الْيَوْمُ عِيدًا لِلْوَرَى فَبَقَاءُ عَمْرِكَ كُلِّ يَوْمٍ عِيدٌ
 وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَخِيهِ وَقَدْ آتَاهُ خَبْرٌ أُسْتَبَشِرَ بِهِ :
 سَمِعْتُ عَنْكَ خَبْرًا سَارًا كُتِبَ فِي الْأَلْوَاحِ وَأُمْتَزَجَ بِالْأَرْوَاحِ
 وَعُدَّ فِي جُمْلَةِ الْبَشَائِرِ الْعِظَامِ

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْمَوْصِلِيُّ فِي تَهْنِئَةِ الرَّشِيدِ بِالْخِلَافَةِ
 أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا أَتَى هَرُونَ أَشْرَقَ نُورُهَا
 وَأَلْبَسَتْ الدُّنْيَا جَمَالَ بَيْلِكَ فَهَرُونَ وَالْيَهَاءُ وَيَحْيَى وَزَيْرُهَا
 وَقَالَ ابْنُ نَبَاتَةَ الْمِصْرِيُّ يَهْنِي بَعْضَ الْأَمْرَاءِ بَعِيدِ النَّحْرِ
 تَهْنِ بَعِيدِ النَّحْرِ وَأَبْقِ مَمْتَعًا بِأَمثَالِهِ سَامِي الْعُلَى نَافِذِ الْأَمْرِ
 نُقَلِّدُنَا فِيهِ قَلَائِدَ أَنْعَمِ وَأَحْسَنُ مَا تَبْدُو الْقَلَائِدُ فِي النَّحْرِ

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَبْنِي سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِعِيدِ الْفِطْرِ
 الصَّوْمِ وَالْفِطْرِ وَالْأَعْيَادِ وَالْعَصْرِ مَنِيرَةً بِكَ حَتَّى الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
 تُرِي الأَهْلَةَ وَجَهًا عَمَّ نَائِلُهُ فَمَا يُخْصُّ بِهِ مِنْ دُونِهَا الْبَشَرُ
 مَا أَلْهَرُ عِنْدَكَ الأَرُوضَةَ أَنْفُ^(١) يَا مَنْ شَمَائِلُهُ فِي دَهْرِهِ زَهْرُ
 مَا يَنْتَهِي لَكَ فِي أَيَّامِهِ كَرَمٌ فَلَا أَنْتَهَى لَكَ فِي أَعْوَامِهِ عُمُرُ
 فَإِنَّ حَظَّكَ مِنْ تَكَرَّرِهَا شَرَفٌ وَحَظَّ غَيْرِكَ مِنْهَا الشَّيْبُ وَالْكَبَرُ
 وَوَالِدِ لِمُوسَى الْهَادِي وَوَلَدِي فِي أَوَّلِ يَوْمٍ وَلِي الخِلَافَةَ فَدَخَلَ
 أَبُو العَنَابِيَةِ فَأَنْشَدَهُ

أَكْثَرَ مُوسَى غَيْظَ حُسَادِهِ وَزَيْنَ الأَرْضِ بِأَوْلَادِهِ
 وَجَاءَنَا مِنْ صِلْبِهِ سَيِّدٌ أَصِيدٌ^(٢) فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ
 فَكَتَسَتْ الأَرْضُ بِهِ بِهَجَّةً وَأَسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيْلَادِهِ
 كَأَنِّي بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ بَيْنَ مَوَالِيهِ وَقَوَادِهِ
 فِي مَحْفَلٍ تَخْفِيفُ رَايَاتُهُ قَدْ طَبَّقَ الأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ
 وَلَمَّا عُوِيَ فِي سَيْفِ الدَّوْلَةِ مِنْ عِلَّةٍ أَلَمَّتْ بِهِ أَنْشَدَهُ أَبُو
 الطَّيِّبِ هَذِهِ الأَيَّاتِ

(١) الأنف التي لم ترع (٢) الأصيد الملك والذي يرفع رأسه كبراً

أَلْعَجْدُ عَوْفِي إِذْ عُوْفِيَتْ وَالْكَرَمُ وَزَالَ عَنْكَ إِلَى أَعْدَائِكَ الْأَلَمُ
 صَحَّتْ بِصِحَّتِكَ الْغَارَاتُ وَأُبْتَهَجَتْ بِهَا الْمَكَارِمُ وَأَنْهَلَتْ بِهَا الدِّيمُ
 وَرَاجِعَ الشَّمْسِ نُورُهُ كَانَ فَارِقَهَا كَانَا فَقَدُهُ فِي جِسْمِهَا سَقَمُ
 وَلَا حَ بَرَقُكَ لِي مِنْ عَارِضِي مَلِكٍ مَا يَسْقُطُ الْغَيْثُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
 يُسَمَّى الْحُسَامَ وَلَيْسَتْ مِنْ مُشَابَهَةٍ وَكَيْفَ يَشْتَبَهُ الْعُخْدُومُ وَالْخَدَمُ
 تَفَرَّدَ الْعَرَبُ فِي الدُّنْيَا بِمُحْتَدِهِ وَشَارَكَ الْعَرَبَ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ
 وَأَخْلَصَ اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ نُصْرَتَهُ وَإِنْ ثَقَلَبَ فِي آيَاتِهِ الْأُمَمُ
 وَمَا أَخْصَكَ فِي بُرُءٍ بِتَهْنِئَةٍ إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا
 وَلَمَّا غَزَا الرَّشِيدُ نَقُورَ مَلِكِ الرُّومِ قَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ يَهْنِئُهُ
 إِمَامَ الْهُدَى أَصْبَحْتَ بِالدِّينِ مَعْنِيَا
 وَأَصْبَحْتَ تَسْقِي كُلَّ مُسْتَمِطِرٍ رِيَا^(١)
 لَكَ أَسْمَانٍ شَقًّا مِنْ رُشَادٍ وَمِنْ هُدَى
 فَأَنْتَ الَّذِي تُدْعَى رَشِيدًا وَمَهْدِيَا
 إِذَا مَا سَخِطْتَ الشَّيْءَ كَانَ مُسَخَّطَا
 وَإِنْ تَرْضَ شَيْئًا كَانَ فِي النَّاسِ مَرْضِيَا

(١) الري- التنعيم ويستعار لحسن الحال وكثرة النعمة

بَسَطَتْ لَنَا شَرْقًا وَغَرْبًا يَدَ الْعَلَى
فَأَوْسَعَتْ شَرْقِيًّا وَأَوْسَعَتْ غَرْبِيًّا
وَوَشَّيْتُ^(١) وَجْهَ الْأَرْضِ بِالْجُودِ وَالنَّدَى
فَأَصْبَحَ وَجْهُ الْأَرْضِ بِالْجُودِ مَغْشِيًّا
وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَتَى النَّبِيِّ
نَشَرْتَ مِنَ الْإِحْسَانِ مَا كَانَ مَطْوِيًّا
قَضَى اللَّهُ أَنْ صَفَى لِهَرُونَ مَلَكُهُ
وَكَانَ قَضَاءُ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ مَقْضِيًّا

وَهَذَا أَبُو النَّصْرِ مُحَمَّدُ الْعَتَبِيُّ أَحَدَ خُلَايَاهُ بِنِعْمَةٍ نَالَهَا
وَرَدَ الْبَشِيرُ بِمَا أَقْرَأَ الْأَعْيُنَا وَشَفَى النُّفُوسَ فَنَانَ غَايَاتِ الْمُنَى
وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ قِسْمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ حِطًّا أَنَا
حَدَّثَ ابْنُ عِمَارٍ قَالَ: جَلَسَ الْمَهْدِيُّ لِلشُّعْرَاءِ يَوْمًا فَأَذِنَ
لَهُمْ وَفِيهِمْ بَشَارٌ وَأَشْجَعٌ . وَكَانَ أَشْجَعٌ يَأْخُذُ عَنِ بَشَارٍ
وَيُعْظِمُهُ . وَكَانَ فِي الْقَوْمِ غَيْرَ هَذَيْنِ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ . فَلَمَّا سَمِعَ
بَشَارٌ كَلَامَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ قَالَ لِأَشْجَعٍ . أَهَذَا ذَلِكَ الْكُوفِيُّ

قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَا جَزَىٰ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ جَمَعْنَا مَعَهُ . ثُمَّ
 أَمَرَ الْمَهْدِيَّ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ بِالْإِنْشَادِ . فَقَالَ بَشَارٌ لِأَشْجَعٍ :
 وَيْحَكَ أَوْ يُسْتَشَدُّ أَيْضًا قَبْلَنَا . فَقَالَ : قَدْ تَرَى . فَأَنْشَدَ
 أَبُو الْعَتَاهِيَةَ

أَلَا مَا لِسَيِّدَتِي مَا لَهَا تَدِلُّ فَأَحْمِلِ إِدْلَالَهَا
 وَإِلَّا فَفِيمَ تَجَنَّتْ^(١) وَمَا جَنَيْتُ سَقَى اللَّهُ أَطْلَالَهَا

فَقَالَ بَشَارٌ لِأَشْجَعٍ : قَاتِلَ اللَّهُ أَبَا الْعَتَاهِيَةَ إِذْ قَالَ مِثْلَ
 هَذَا الْقَوْلِ الضَّعِيفِ . وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَسْمَعُ ذَلِكَ بِأُذُنِهِ حَتَّى
 أَتَى أَبُو الْعَتَاهِيَةَ عَلَى قَوْلِهِ

أَنْتَهُ الْخِلَافَةُ مُنْقَادَةٌ إِلَيْهِ تَجَرَّرُ أَذْيَالَهَا
 فَلَمْ تَكُ تَصْلُحُ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحُ إِلَّا لَهَا
 وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزَلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا
 وَلَوْ لَمْ تَطْعَمْهُ بَنَاتُ الْقُلُوبِ لَمَا قَبَلَ اللَّهُ أَعْمَالَهَا
 وَإِنَّ الْخَلِيفَةَ مِنْ بُغْضٍ لَا^(٢) إِلَيْهِ لِيُبْغِضُ مَنْ قَالَهَا

فَقَالَ بَشَارٌ لِأَشْجَعٍ وَقَدْ أَهْتَزَّ طَرَبًا : أَتُرَى الْخَلِيفَةَ لَمْ يَطِرْ

(١) من تجنى إذا ادعى عليه ذنباً لم يفعله (٢) أي من بغضه لرد الطلب بكلمة لا

عَنْ كُرَيْبِ طَرَبَا لَمَّا يَأْتِي بِهِ هَذَا الْكُوفِيُّ . وَلَعَمْرِي إِنَّ
الْأَمْرَ كَمَا قَالَ بَشَّارٌ

كَانَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ أَخَا هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
مِنَ الرِّضَاعِ وَكَانَ يَقُولُ لَهُ : إِنِّي لَأَرَى فِيكَ آثَارَ الْخِلَافَةِ
وَلَا تَمُوتُ حَتَّى تَلِيَهَا . فَقَالَ لَهُ : إِنْ أَنَا وَلِيْتُهَا فَلَكَ الْعِرَاقُ
فَلَمَّا وَلِيَ أَتَاهُ خَالِدٌ فَقَامَ بَيْنَ الصَّفَيْنِ وَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
أَعَزَّكَ اللَّهُ بِعِزَّتِهِ وَأَيْدِكَ بِمَلَائِكَتِهِ . وَبَارَكَ لَكَ فِي مَا وُلاَكَ .
وَرَعَاكَ فِي مَا أَسْتَرَعَاكَ . وَجَعَلَ وِلايَتِكَ عَلَى أَهْلِ الطَّاعَةِ نِعْمَةً
وَعَلَى أَهْلِ الْعِصْيَانِ نِقْمَةً . لَقَدْ كَانَتْ الْوِلايَةُ إِلَيْكَ أَشْوَقَ
مِنْكَ إِلَيْهَا . وَأَنْتَ لَهَا أَزِينُ مِنْهَا لَكَ . وَمَا مِثْلُهَا وَمِثْلُكَ إِلَّا
كَمَا قَالَ الْأَحْوَصُ

وَإِنَّ الدُّرَّ زَادَ حُسْنَ وَجُوهٍ كَانَ لِلدُّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينًا

وَدَخَلَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى هُرُونَ الرَّشِيدِ حِينَ وَلِيَ الْخِلَافَةَ فَقَالَ
لَهُ الرَّشِيدُ : فِيمَ جِئْتَ . قَالَ : أَتَيْتُكَ بِرِسَالَةٍ . قَالَ : هَاتِهَا
قَالَ : أَتَانِي آتٍ فِي مَنَامِي فَقَالَ : أَنْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَأَبْلِغُهُ
هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ

لَكُمْ إِرْثُ الْخِلَافَةِ مِنْ قُرَيْشٍ تُزَفُّ إِلَيْكُمْ أَبَدًا عَرُوسًا
 إِلَى هَرُونَ تَهْدَى بَعْدَ مُوسَى تَمِيسُ وَمَا لَهَا أَنْ لَا تَمِيسَا
 فَقَالَ هَرُونَ : يَا غُلَامُ عَلَيَّ بِالْجَوَاهِرِ . فَخَشَا فَاهُ حَتَّى
 كَادَ يَنْشَقُّ ثُمَّ قَالَ : اكْتُبُوا هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ وَأَجْعَلُوهُمَا فِي
 بَخَانِقِ صِبْيَانِنَا

وَقَالَ أَبُو الطَّيِّبِ يَهْنَى سَيْفَ الدَّوْلَةِ بِعِيدِ الْأَضْحَى مِنْ قَصِيدَةٍ
 لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَا
 وَعَادَةُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الظَّنُّ فِي الْعِدَى
 هُوَ الْبَجْرُ غَضٌّ فِيهِ إِذَا كَانَ سَاكِئًا
 عَلَى الدَّرِّ وَأَحْذَرُهُ إِذَا كَانَ مُزْبِدًا
 تَظَلُّ مُلُوكُ الْأَرْضِ خَاشِعَةً لَسُهُ
 تَفَارِقُهُ هَلَاكِي وَتَلْقَاهُ سُجْدًا
 وَصُولُهُ إِلَى الْمُسْتَصْعَبَاتِ بِخِيَالِهِ
 فَلَوْ كَانَ قَرْنُ الشَّمْسِ مَاءً لَأُورِدَا
 هَنِئًا لَكَ الْعِيدُ الَّذِي أَنْتَ عِيدُهُ
 وَعِيدٌ لِمَنْ سَمِيَ^(١) وَضَعِي وَعِيدًا

(١) ذكر اسم الله يعني عند ذبح الضحايا

وَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ لِبُسْكَ بَعْدَهُ
 تُسَلِّمُ مَنزُوقًا وَتُعْطِي مُجَدِّدًا
 فَذَا الْيَوْمُ فِي الْأَيَّامِ مِثْلَكَ فِي الْوَرَى
 كَمَا كُنْتَ فِيهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدًا
 هُوَ الْجَدُّ حَتَّى تَفْضُلُ الْعَيْنُ أُخْتَهَا
 وَحَتَّى يَكُونَ الْيَوْمُ لِلْيَوْمِ سَيِّدًا
 رَأَيْتُكَ مَحْضَ الْحِلْمِ فِي مَحْضِ قُدْرَةٍ
 وَلَوْ شِئْتَ كَانَ الْحِلْمُ مِنْكَ الْمَهْنَدًا
 وَمَا قَتَلَ الْأَحْرَارَ كَالْعَفْوِ عَنْهُمْ
 وَمَنْ لَكَ بِالْحُرِّ الَّذِي يَحْفَظُ الْيَدَا
 إِذَا أَنْتَ أَكْرَمْتَ الْكَرِيمَ مَلَكَتَهُ
 وَإِنْ أَنْتَ أَكْرَمْتَ اللَّئِيمَ تَمَرَّدَا
 وَوَضَعَ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَى
 مُضِرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى
 وَلَكِنْ تَفُوقُ النَّاسَ رَأْيًا وَحِكْمَةً
 كَمَا فَقَّتَهُمْ حَالًا وَنَفْسًا وَمَحْتَدًا

يَدِيقُ عَلَى الْأَفْكَارِ مَا أَنْتَ فَاعِلٌ فَيَتْرُكُ مَا يُغْنِي وَيُوْخِذُ مَا بَدَأَ
أَزِلْ حَسَدَ الْحَسَادِ عَنِّي بِكْتِمِهِمْ^(١) فَأَنْتَ الَّذِي صَبَرْتَهُمْ لِي حَسَدًا
إِذَا شَدَّ زَنْدِي حَسَنُ رَأْيِكَ فِيهِمْ ضَرَبْتُ بِسَيْفٍ يَقْطَعُ الْهَامَ مَغْنَمًا
وَمَا أَنَا إِلَّا سَمْعِي^(٢) حَمَلْتُهُ فَرَيْنَ مَعْرُوضًا^(٣) وَرَاعَ مَسْدًا^(٤)
وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةٍ قَصَائِدِي إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مَنَشِدًا
فَسَارَ بِهِ مَنْ لَا يَسِيرُ مُشَمَّرًا وَغَنَى بِهِ مَنْ لَا يُغْنِي مَغْرَدًا
أَجْزَيْتَنِي إِذَا أَنْشِدْتَ شِعْرًا فَإِنَّا بِشِعْرِي أَنْتَ الْوَادِحُونَ مُرَدًّا
وَدَعِ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإِنِّي أَنَا الطَّائِرُ الْحَمِيُّ وَالْآخِرُ الصَّدَى
تَرَكْتُ السَّرِيَّ خَلْفِي لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ^(٥) وَأَنْعَلْتُ أَفْرَاسِي بِنِعْمَةِ عَسْبَجِدَا
وَقَبِدْتُ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا
إِذَا سَأَلَ الْإِنْسَانُ أَيَّامَهُ الْغِنَى وَكُنْتَ عَلَى بَعْدِ جَعْلِكَ مَوْعِدَا
وَقَالَ ابْنُ صُرْدُرٍ يَمْدَحُ السُّلْطَانَ مَلِكْشَاهَ وَيَهْنِئُهُ بِالرُّجُوعِ
إِلَى الْوِزَارَةِ

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلْتَهُ يَدُهُ ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قَرَابِهِ

(١) اذلالهم (٢) ربح (٣) محمولاً بالعرض (٤) موجهاً الى المطعون

(٥) السير في الليل

هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنِ ضِرَابِهِ
 أَكْرِمُ بِهَا وَزَارَةَ مَا سَلَّمَتْ مَا اسْتُوْدِعَتْ إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ
 مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ مَذْفَارَقَتَهَا شَوْقَ أَخِي الشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
 مِثْلَكَ مَحْسُودٌ وَلَكِنْ مُعْجِزٌ أَنْ يُدْرِكَ الْبَارِقُ فِي سَمَابِهِ
 حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هَذَا الَّذِي يُخْرِجُ لَيْثًا خَادِرًا^(١) مِنْ غَابِهِ
 يَدِي أَبُو الْأَشْبَالِ مِنْ زَاخِمِهِ فِي جَيْشِهِ بِظُنْفَرِهِ وَنَابِهِ
 وَهَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ لَابِسًا مَا خَلَعَ الْأَرْقَمُ^(٢) مِنْ إِهَابِهِ^(٣)
 تَيَقَّنُوا لَمَّا رَأَوْهَا صَعْبَةٌ أَنْ لَيْسَ لِلْجَوْرِ سِوَى عِقَابِهِ
 إِنْ الْهَيْلَالَ يُرْتَجَى طُلُوعُهُ بَعْدَ السَّرَارِ^(٤) لَيْلَةَ أُحْتِجَابِهِ
 وَالشَّمْسُ لَا يُؤَيَّرُ مِنْ طُلُوعِهَا وَإِنْ طَوَّأَهَا اللَّيْلُ فِي جَنَابِهِ
 مَا أَطْيَبَ الْأَوْطَانَ إِلَّا أَنَّهُا لِلْمَرْءِ أَحْلَى أَثَرِ اعْتِرَابِهِ
 كَمْ عَوْدَةٌ دَلَّتْ عَلَى مَا بِهَا^(٥) وَالخُلْدُ لِلْإِنْسَانِ فِي مَا بِهِ
 لَوْ قَرَّبَ الدُّرُّ عَلَى طَالِبِهِ مَا نَجَّحَ الْفَائِضُ فِي طِلَابِهِ
 وَلَوْ أَقَامَ لِأَزْمًا أَصْدَافَهُ لَمْ تَكُنِ التَّيْجَانُ فِي حِسَابِهِ
 مَا لَوْلُوُ الْبَحْرِ وَلَا مَنْ صَانَهُ إِلَّا وَرَاءَ الْهَوْلِ مِنْ عِبَابِهِ

(١) الخادر المقيم في خدره أي أجمته وعربنه (٢) الأرقم اخبت الحيات

(٣) جلده (٤) آخر ليلة من الشهر القمري (٥) رجوعها

وَقَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْخَازِنُ يَهْنِي الصَّاحِبَ بِوَالِدِهِ أَبِي الْحَسَنِ الْعَبَّادِ
 بَشْرَى فَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ مَا وَعَدَا وَكَوَكَبَ الْعَجْدِ فِي أَفْتَى الْعَلِيِّ صَعِدَا
 وَقَدْ تَفَرَّعَ فِي أَرْضِ الْوِزَارَةِ عَنْ دَوْحِ الرِّسَالَةِ غُصْنٌ مُورِقٌ رَشِدَا
 لِلَّهِ آيَةُ شَمْسٍ لِلْعَلِيِّ وَلَدَتْ نَجْمًا وَغَابَةَ عَزَّ أَطْلَعَتْ أَسَدَا
 وَبَضَعَتْهُ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ زَكَتْ أَصْلًا وَفَرَعًا وَصَحَّتْ لِحْمَةً وَسَدَى (١)
 يَا دَهْرُهُ حَقٌّ أَنْ تَزْهَى بِوَالِدِهِ فَمِثْلُهُ مِنْذُ كَانَ الدَّهْرُ مَا وُلِدَا
 تَعَجَّبُوا مِنْ هِلَالِ الْعِيدِ يَطْلُعُ فِي شَعْبَانَ أَمْرٌ عَجِيبٌ قَطُّ مَا عَهِدَا
 فَمِنْ مَوَالٍ يُوَالِي الْحَمْدَ مَبْتَهَلًا وَمُنْخَلِصٍ يَسْتَدِيمُ الشُّكْرَ مَجْتَهِدَا
 وَكَادَتْ الْغَادَةُ الْهَيْفَاءَ مِنْ طَرَبِ

تُعْطِي مَبْشَرَهَا الْإِرْهَافَ (٢) وَالنَّيْدَا (٣)

فَلَا رَعَى اللَّهُ نَفْسًا لَمْ تَسُرَّ بِهِ وَلَا وَقَاها وَغَشَّاهَا رِدَاءَ رَدَى
 وَذِي ضَغَائِنَ طَارَتْ رُوحُهُ شَفَقًا (٤) مِنْهُ وَطَاحَتْ شَطَايَا (٥) نَفْسِهِ قِدْدَا
 عَلِمًا بَانَ الْخُسَامَ الصَّاحِبِيَّ غَدَا مُجْرَدًا وَالشَّهَابَ الْفَاطِمِيَّ بَدَا
 وَأَنَّهُ أَسَدٌ شَعْبٌ (٦) كَانَ مِنْحِدَعًا بِهِ وَأَمْرَعُ شَعْبٌ (٧) كَانَ مَحْتَصِدَا

(١) اللحمية ما سدي به بين سدى الثوب او ما نسج عرضا وهو خلاف سدها (٢) ضمور الخصر ودقته (٣) النعومة (٤) خوفا (٥) جمع شظية وهي كل فلقة من شيء (٦) صدع وشق (٧) ناحية او ما انفرج بين جبلين

فَأَرْفَعُ الْمَجْدَ أَعْيَانًا^(١) وَأَسْمَقَهُ مَجْدٌ يَنْسِبُ فِيهِ الْوَالِدُ الْوَالِدًا
 فَلِيَهْنِي وَالصَّاحِبِ الْمَوْلُودِ وَتَرِدُ مِ السُّعُودِ تَجْلُو عَلَيْهِ النَّارِ سِ النَّجْدَا^(٢)
 فَخُذْ إِلَيْكَ عَرُوسًا بِنْتَ لَيْلَتِهَا مِنْ خَادِمٍ مُخْلِصٍ وَدَا وَمَعْتَقِدَا
 لَمَّا أَمْلِكَ^(٣) عَبَادٌ بِكَرِيمَةٍ بَعْضُ أَقْرَبَاءِ فَخْرِ الدَّوْلَةِ أَبِي
 الْحَسَنِ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ قَصِيدَةً مِنْهَا
 الْمَجْدُ مَا حَرَسَتْ أَوْلَادُهُ أَخْرَاهُ وَالْفَخْرُ مَا أَلْتَفَّ أَقْصَاهُ بِأَدْنَاهُ
 وَالسَّعْيُ أَجْلَبُهُ لِلْحَمْدِ أَصْعَبُهُ وَالذِّكْرُ أَعْلَاهُ فِي الْأَسْمَاعِ أَغْلَاهُ
 وَالْفَرْعُ أَذْهَبُهُ فِي الْجَوِّ أَنْضَرُهُ وَالْأَصْلُ أَرْسَخُهُ فِي الْأَرْضِ أَنْقَاهُ
 الْيَوْمَ أَنْجَزْتَ الْأَمَالَ مَا وَعَدْتَ وَأَدْرَكَ الْمَجْدُ أَقْصَى مَا تَمَنَّاهُ
 الْيَوْمَ اسْفَرَ وَجْهَ الْمَلِكِ مُبْتَسِمًا وَأَقْبَلَتْ بِبَرِيدِ السَّعْدِ بُشْرَاهُ
 قَدِزْفٌ مَنْ جَدُّهُ كَافِيَ الْكُفَاةِ إِلَى مَنْ خَالَهُ مَلِكُ الدُّنْيَا شَهِنشَاهُ^(٤)
 أَوْلَادُ أَحْمَدَ رِيحَانُ الزَّمَانِ وَمَوْ لَنَا الْوَزِيرُ مِنَ الرِّيْحَانِ رِيَاءُ
 مَتَى ابْنَتِي وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِوَاحِدَةٍ فَإِنَّا صَافِحَتُ يَمْنَاهُ يُسْرَاهُ

(١) جمع عين وهي حقيقة الشيء المدركة بالعيان (٢) الشجاع الماضي
 في ما يعجز غيره (٣) تزوج (٤) كلمة فارسية معناها ملك الملوك أو
 الملك الأعظم

الباب السابع

في الشعر

❖ من قصيدة لابي العتاهية ❖

الدَّهْرُ يُوعِدُ فُرْقَةً وَزَوَالًا وَخُطُوبُهُ بِكَ تَضْرِبُ الْأَمْثَالَ
 يَا رَبِّ عَيْشٍ كَانَ يُغْبِطُ أَهْلُهُ بِنَعِيمِهِ قَدْ قِيلَ كَانَ فِرَاوَالًا
 يَا طَالِبَ الدُّنْيَا يُثْقِلُ نَفْسَهُ إِنَّ الخُفِّ غَدًا لِأَحْسَنُ حَالًا
 إِنَّا لِنَفِي دَارٍ نَرَى إِلَّا كَثَارَ لَا بَيِّتِي لِصَاحِبِهِ وَلَا الْإِقْلَالَ
 أَخِيَّ إِنِّ الْعَالِ إِن قَدَمْتَهُ لَكَ أَيْسَ إِن خَلَفْتَهُ لَكَ مَالًا
 أَخِيَّ كُلُّ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ فَلِمَنْ نَرَاكَ تُشْمِرُ الْأَمْوَالَ
 أَخِيَّ شَانِكَ بِالْكَفَافِ وَخَلَّ مِنْ أَثْرِي وَنَافَسَ فِي الحُطَامِ (١) وَغَالِي
 كَمْ مِنْ مُلُوكٍ زَالَ عَنْهُمْ مُلْكُهُمْ فَكَأَنَّ ذَاكَ الْمَلِكِ كَانَ خِيَالًا
 حَتَّى مَتَى تُنْسِي وَتُصْبِحُ لَاعِبًا تَبْغِي البَقَاءَ وَتَأْمَلُ الْأَمْسَالَ
 وَلَقَدْ رَأَيْتَ الحَادِثَاتِ مُلِحَةً تَنْفِي الْمُنَى وَتُقَرِّبُ الْأَجَالَ
 وَتَقْدُ رَأَيْتَ مُسَلِّطًا وَمَمْلُوكًا وَمَقْوَهَا قَدْ قِيلَ قَالَ وَقَالَ

(١) الحطام المشيم وهو الثبت اليابس المتكسر والمراد به هنا متاع الدنيا الزائل

وَلَقَدْ رَأَيْتَ الدَّهْرَ كَيْفَ بِيَدِهِمْ شَيْبًا وَكَيْفَ بِيَدِهِمْ أَطْفَالَآ
 فَسَلِ الْخَوَادِثَ لَا أَبَالَكَ عَنْهُمْ وَسَلِ الْقُبُورَ وَأَحْفِينَ ^(١) سُؤَالَا
 فَلْتَخْبِرَنَّكَ أَنَّهُمْ خَلِقُوا لِمَا خَلِقُوا لَهُ فَمَضَوْا لَهُ أَرْسَالَا ^(٢)
 وَأَقْلَمَا تَصِفُوا الْحَيَاةَ لِأَهْلِهَا حَتَّى تُبَدِّلَ عَنْهُمْ أَبْدَالَا
 وَأَقْلَمَا دَامَ السُّرُورُ لِمَعَشِرٍ وَلَطَالَمَا صَالَ الزَّمَانُ وَغَالَا
 وَأَقْلَمَا تَرْضَى خِصَالٍ مِنْ أَخٍ أَخِيَّتَهُ إِلَّا سَخِطَتْ خِصَالَا
 وَأَقْلَمَا تَسْنُو بِخَيْرٍ نَفْسُهُ حَتَّى يُقَاتِلَهَا عَلَيْهِ قِتَالَا
 أَعْخِيَّ إِنَّ الْمَرْءَ حَيْثُ فِعَالُهُ فَيَنْظُرُ لِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ فِعَالَا
 وَإِذَا الْخُطُوبُ تَوَاتَرَتْ فَأَصْبِرْ لَهَا أَبَدًا وَإِنْ كَانَتْ عَلَيْكَ ثِقَالَا
 فَكَفَى بِمِلْتَمِسِ التَّوَاضِعِ رِفْعَةً وَكَفَى بِمِلْتَمِسِ الْعُلُوقِ سَفَالَا
 أَعْخِيَّ مَنْ عَشِقَ الرَّئِيسَةَ خَفِتْ أَنْ يَطْفَى وَيُحَدِّثَ بِدْعَةً وَضَلَالَا
 أَعْخِيَّ إِنَّ أَمَامَنَا كُرْبًا لَهَا شَغْبٌ ^(٣) وَإِنْ أَمَامَنَا أَهْوَالَا
 أَعْخِيَّ إِنَّ الدَّارَ مُدْبِرَةٌ وَإِنْ كُنَّا نَرَى إِدْبَارَهَا إِقْبَالَا
 أَعْخِيَّ لَا تَجْعَلْ عَلَيْكَ لِطَالِبٍ يَتَّبِعُ الْعَثْرَاتِ مِنْكَ مَقَالَا
 أَعْخِيَّ إِنَّ الْخَلْقَ فِي طَبَقَاتِهِ يُمَسِي وَيُصْبِحُ لِلَّهِ عِيَالَا

(١) من احفاه اذا الخ عليه وبرح به في الاحلاح (٢) جماعات (٣) الشغب تهيج الشر وكثرة الجلبة واللغظ المؤدي الى الشر

وَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْ رَجَوْتَ نَوَالَهُ وَاللَّهُ أَعْظَمُ مَنْ يُنِيلُ نَوَالَا

❖ وله من قصيدة ❖

مَنْ عَرَفَ النَّاسَ فِي تَصَرُّفِهِمْ لَمْ يَشْبَعْ مِنْ صَاحِبِ زَلَالَا
 إِنَّ أَنْتَ كَافَيْتَ مِنْ أَسَاءٍ فَقَدْ صِرْتَ إِلَى مِثْلِ سُوءِ مَا فَعَلَا
 إِنَّ مَعَالِي الْأُمُورِ تُمِسي لِمَنْ يَصْبِرُ عِنْدَ الْمَكْرُوهِ إِنْ نَزَلَا
 ذُو الْحَلِيمِ فِي جَنَّةٍ ^(١) تَرُدُّ سَهَا مَ الْجَهْلِ عَنْهُ إِنْ جَاهَلَ جَهْلَا
 يَلْتَمِسُ الْعُذْرَ لِلصَّديْقِ وَإِنْ أَنَاهُ يَوْمًا بِعُذْرِهِ قَبَلَا
 خَفِيفٌ عَلَى كُلِّ مَنْ صَحِبْتِ وَإِنْ كَانَ لِحِمْلِ الثَّقِيلِ مُحْتَمَلَا
 كَمْ قَدْ رَأَيْتِ امْرَأَةً مِنَ الْخَيْرِ عُرُ يَانَا وَإِنْ كَانَ يَلْبَسُ الْحُمْلَا
 لَا يَأْمَنُ أَمْرُؤُهُ مَسَاعِدَةً مِ الدُّنْيَا فَإِنِّي رَأَيْتُهَا دُوَلَا
 كُلُّ جَدِيدٍ فَالدَّهْرُ يُخَلِّقُهُ وَكُلُّ حَيٍّ فَمَيِّتٌ عَجَبَلَا

❖ من قصيدة لابن المنير الطرابلسي ❖

وَإِذَا الْكَرِيمُ رَأَى الْحُمُولَ نَزِيلَهُ فِي مَنْزِلٍ فَالْحَزْمُ أَنْ يَتَرَ حَلَا
 كَالْبَدْرِ لَمَّا أَنْ تَضَاءَلَ جَدِّي فِي طَلَبِ الْكَمَالِ فَحَازَهُ مُتَقَبَلَا

(١) الجنة السترة وكل ما وقى من سلاح

سَفَهَا لِلْحِلْمِكَ إِن رَضِيَتْ بِمَشْرَبٍ ^(١) رَتَقِي ^(٢) وَرَزَقُ اللَّهِ قَدْ مَلَأَ الْمَلَأَ
 سَاهَمْتَ عَيْسِكَ ^(٣) مَرَّ عَيْشِكَ قَاعِدًا أَفَلَا فَلَيْتَ بَيْنَ نَاصِيَةِ الْفَلَا
 فَارِقُ تَرَقُّ كَمَا السِّيفِ سُلُ فَبَانَ فِي مَتْنِهِ مَا أَخْفَى الْقِرَابَ وَأَخْمَلًا
 لَا تَحْسَبَنَّ ذَهَابَ نَفْسِكَ مَيِّتَةً مَا الْمَوْتُ إِلَّا أَنْ تَعِيشَ مَذَلًّا
 لِلْفَقْرِ لَا لِلْفَقْرِ هَبْهَا إِنَّمَا مَغْنَاكَ مَا أَغْنَاكَ أَنْ تَتَوَسَّلَا
 لَا تَرْضَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَدْنَاكَ مِنْ دَنْسٍ وَكُنْ طَيْفًا جَلَا ثُمَّ أَنْجَلِي
 وَصِلِ الْهَجِيرَ ^(٤) بِهَجْرِ قَوْمٍ كَلَّا أَمْطَرْتَهُمْ شُهَدَاءَ جَنَوَالِكَ حَنْظَلًا
 مِنْ غَادِرٍ خَبَثَتْ مَغَارِسُ وُدِّهِ فَإِذَا مَحَضَتْ ^(٥) لَهُ الْوَفَاءَ تَأْوَلَا
 لِلَّهِ عَلِمِي بِالزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ذَنْبُ الْفَضِيلَةِ عِنْدَهُمْ أَنْ تَكْمَلَا
 طُبِعُوا عَلَى لَوْمِ الطَّبَاعِ فَخَيْرُهُمْ إِنْ قُلْتَ قَالَ ^(٦) وَإِنْ سَكَتَ نَقَوْلَا
 أَنَا مَنْ إِذَا مَا أَلْدَهَرُ هُمْ بِمُخْفَضِهِ سَامَتْهُ هِمَّتُهُ السَّيَاكَ الْأَعَزَلَا ^(٧)

(١) السفه ضد الحلم والجهل (٢) كدر (٣) العيس الابل البيض
 يخالط بياضها شقرة (٤) الهجير شدة الحر ونصف النهار في القيظ خاصة عند
 زوال الشمس مع الظهر او عند زوالها الى العصر (٥) نبت يمر (٦) اخلصت
 (٧) نام في القائلة اي نصف النهار والمراد انه يتغافل عن قولك

✽ ومن قصيدة لعنترة العبسي ✽

دَهَنِي صُرُوفُ الدَّهْرِ وَأُنْتَسَبَ العَدْرُ
 وَمَنْ ذَا الَّذِي فِي النَّاسِ يَصْفُو لَهُ الدَّهْرُ
 وَكَمْ طَرَقْتَنِي نَكْبَةً بَعْدَ نَكْبَةٍ
 فَفَرَّجْتَهَا عَنِّي وَمَا مَسَّنِي ضَرْعٌ
 وَلَوْلَا سِنَانِي وَالْحُسَامُ وَهَمَّتِي
 لَمَا ذُكِرْتُ عَبَسٌ وَلَا نَالَهَا فَخْرٌ
 وَهَذَا قَدْ رَحَلْتُ الْيَوْمَ عَنْهُمْ وَأَمْرُنَا
 إِلَى مَنْ لَهُ فِي خَلْقِهِ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ
 سَيَذْكُرُنِي قَوْمِي إِذَا الْخَيْلُ أَقْبَلَتْ
 وَفِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءُ يُفْتَقِدُ البَدْرُ
 يَعْبُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ جَهَالَةً
 وَلَوْلَا سَوَادُ اللَّيْلِ مَا طَلَعَ الفَجْرُ
 مَحُوتٌ بِذِكْرِي فِي الْوَرَى ذِكْرٌ مَنْ مَضَى
 وَسُدَّتْ فَلَا زَيْدٌ يُقَالُ وَلَا عَمْرُو

(١) أنتني

﴿ وله من قصيدة في يوم المصانع ﴾

إِذَا كَشَفَ الزَّمَانُ لَكَ الْقِنَاعَا وَمَدَّ إِلَيْكَ حَرْفُ الدَّهْرِ بَاعَا
فَلَا تَخْشَ الْمُنِيَّةَ وَالنَّقِيهَا وَدَافِعْ مَا اسْتَطَعَتْ لَهَا دِفَاعَا
وَلَا تَخْتَرْ فِرَاشًا مِنْ حَرِيرٍ وَلَا تَبِكِ الْمَنَازِلَ وَالْبِقَاعَا
وَحَوْلَكَ نِسْوَةٌ يَنْدُبُنَ حُزْنًا وَيَهْتَكُنَ الْبِرَاقِعَ وَاللِّفَاعَا (١)
يَقُولُ لَكَ الطَّيِّبُ دَوَاكُ عِنْدِي إِذَا مَا جَسَّ كَفَّكَ وَالذِّرَاعَا
وَلَوْ عَرَفَ الطَّيِّبُ دَوَاءَ دَاءٍ يَرُدُّ الْمَوْتَ مَا قَاسَى الزِّرَاعَا
وَفِي يَوْمِ الْمَصَانِعِ قَدْ تَرَكْنَا لَنَا بِفِعَالِنَا خَبْرًا مُشَاعَا
أَقْمْنَا بِالذَّوَابِلِ سُوقَ حَرْبٍ وَصَيَّرْنَا النُّفُوسَ لَهَا مَتَاعَا
حِصَانِي كَانَتْ دَلَالُ الْمَنَايَا فَنَاضَ غُبَارَهَا وَشَرَى وَبَاعَا
وَسَيِّفِي كَانَتْ فِي الْهَيْمِ طَبِيبًا يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصَّدَاعَا (٢)
أَنَا الْعَبْدُ الَّذِي خَبَّرْتُ عَنْهُ وَقَدْ عَايَنْتَنِي فَدَعِ السَّمَاعَا
وَلَوْ أَرْسَلْتُ رُغْبِي مَعَ جِبَانٍ لَكَانَ بِهَيْبَتِي يَلْقَى السَّبَاعَا
مَلَأَتْ الْأَرْضَ خَوْفًا مِنْ حُسَامِي وَخَصْمِي لَمْ يَجِدْ فِيهَا اتِّسَاعَا
إِذَا الْأَبْطَالُ فَرَّتْ خَوْفَ بَأْسِي تَرَى الْأَقْطَارَ بَاعَا أَوْ ذِرَاعَا

(١) اللفَاع كل ما تلتفع به المرأة اي تلتحف وتغطي به (٢) وجع الرأس

✽ من قصيدة لصفي الدين الحلبي ✽

شَهْمًا^(١) السَّيْرُ وَأَقْتَحَامُ الْبَوَادِي وَتُرُوبِي فِي كُلِّ يَوْمٍ بَوَادِي
وَمَقِيلِي ظِلُّ الْمَطِيَّةِ وَالنُّزُ بُ فِرَاشِي وَسَاعِدَاهَا وَسَادِي
وَتَدِيمِي لَفْظِي وَفِكْرِي أَنَيْسِي وَسُرُورِي مَائِي وَصَبْرِي زَادِي
فَإِذَا سِرْتُ أَحْسَبُ الْأَرْضَ مَلِكِي وَجَمِيعَ الْأَقْطَارِ طَوْعَ قِيَادِي
وَإِذَا مَا أَقَمْتُ فَالنَّاسُ أَهْلِي أَيْنَا كُنْتُ وَالْبِلَادُ بِلَادِي
مَا بَنَيْتُ الْعُلِيَاءَ إِلَّا بِجِدِّي وَرُكُوبِي أَخْطَارَهَا وَأَجْتَهَادِي
وَبِلَفْظِي إِذَا نَطَقْتُ وَفَضْلِي وَجِدَالِي عَنْ مَنْصِبِي وَجِلَادِي
غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ آتَيْتُ مِنَ النِّظْمِ بِلَفْظٍ يُذِيبُ قَلْبَ الْجَادِ
لَسْتُ كَالْبَحْرِيِّ أَفْخَرُ بِالشَّعْرِ وَأَنْثِي عِطْفِي^(٢) فِي الْإِيرَادِ
وَإِذَا مَا بَنَيْتُ بَيْتًا تَبَخَّرْتُ كَأَنِّي بَنَيْتُ ذَاتَ الْعِبَادِ
إِنَّا مَفْخَرِي بِنَفْسِي وَقَوْمِي وَقَنَاتِي وَصَارِي وَجَوَادِي
مَعَشْرُهُ أَصْبَحَتْ فِضَائِلُهُمْ فِي مِ الْأَرْضِ نُتْلَى بِالسِّنِّ الْحُسَادِ
الْبَسُوا الْأَمْلِينَ أَثْوَابِ عَزِي وَأَذَلُّوا أَعْنَاقَ أَهْلِ الْعِنَادِ
فَلَنْ فَلَ تِ الْحَوَادِثُ حَدِي بَعْدَ مَا أَخْلَصَ الزَّمَانُ انْتِقَادِي
فَلَقَدْ نَلْتُ مِنْ مَنَى النَّفْسِ مَا رُمْتُ وَأَدْرَكْتُ مِنْهُ فَوْقَ مُرَادِي

(١) اضعفها (٢) ثنى عطفيه اي لوى عنقه وتكبر معرضاً عن الناس

❖ لابن سناء الملك ❖

سِوَايَ يَهَابِ الْمَوْتِ أَوْ يَرْهَبِ الرَّدَى
 وَغَيْرِيَةَ يَهْوَى أَنْ يَعِيشَ مُخَلِّدًا
 وَلَكِنِّي لَا أَرْهَبُ الدَّهْرَ إِنْ سَطَا
 وَلَا أَحْذَرُ الْمَوْتَ الرُّؤْمَ (١) إِذَا عَدَا
 وَلَوْ مَدَّ نَحْوِي حَدِيثُ الدَّهْرِ كَفَّهُ
 لَحَدَّثْتُ نَفْسِي أَنْ أَمُدَّهُ لَهُ يَدَا
 تَوَقَّدُ عَزْمِي يَتْرُكُ الْمَاءَ جَمْرَةً
 وَحِيلَةُ حَلْمِي تَتْرُكُ السِّيفَ مِبْرَدًا
 وَفَرَطُ احْتِقَارِي لِلْأَنَامِ لِأَنِّي
 أَرَى كُلَّ عَارٍ مِنْ حِلْيِ سُودْدِي سُدَى
 وَيَأْبَى إِبَائِي أَنْ يَرَانِي قَاعِدًا
 وَإِنِّي أَرَى كُلَّ الْبَرِيَّةِ مَقْعَدًا
 وَأَظُنُّ إِنْ أَبْدَى لِي الْمَاءَ مِنْهُ
 وَلَوْ كَانَ لِي نَهْرُ الْعَجْرَةِ (٢) مَوْرِدًا

(١) الكربة (٢) الحجره باب السماء وهي نجوم كثيرة لا تدرك بالبصر

وَلَوْ كَانَتْ إِدْرَاكَ الْهُدَى بِتَدَلُّلٍ
 رَأَيْتُ الْهُدَى أَنْ لَا أَمِيلَ إِلَى الْهُدَى
 وَقَدِيمًا بغيرِ يَوْمِ أَصْبَحَ الْدَّهْرُ أَشْيَابًا
 وَبِي وَبِفَضْلِي أَصْبَحَ الْدَّهْرُ أَمْرَدًا
 وَإِنَّكَ عَبْدِي يَا زَمَانُ وَإِنِّي
 عَلَيَّ الرُّغْمُ مَنِي أَنْ أَرَى لَكَ سَيِّدًا
 وَمَا أَنَا رَاضٍ أَنِّي وَاطِئُ الثَّرَى
 وَبِي هِمَّةٌ لَا تَرْتَضِي الْأَفْقَ مَقْعَدًا
 وَلَوْ عَلِمْتَ زَهْرُ النُّجُومِ مَكَاتِي
 لَخَرَّتْ جَمِيعًا نَحْوًا وَجْهِي سَجْدًا
 أَرَى الْخَلْقَ دُونِي إِذْ أَرَانِي فَوْقَهُمْ
 ذِكَاةً وَعِلْمًا وَأَعْتِلَاءً وَسُودَدًا
 وَبَدَلُ نَوَالِي زَادَ حَتَّى لَقَدْ غَدَا
 مِنْ الْغَيْظِ مِنْهُ سَاكِنُ الْبَجْرِ مُزِيدًا
 وَبِي قَلَمٌ فِي أَنْمَلِي إِنْ هَزَزْتُهُ
 فَأَا ضَرَبَنِي أَنْ لَا أَهْرُ الْمُهَنْدَا

إِذَا صَالَ فَوْقَ الطَّرْسِ وَقَعُ صَرِيرِهِ
فَإِنَّ صَلِيلَ الْمَشْرِفِيِّ لَهُ صَدَى

❖ ومن قصيدة لابي الحسن التهامي ❖

ظَنَنْتُ شَبِيبَتَهُ تَبَقَى وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ الشَّبِيبَةَ مِرْقَاةٌ إِلَى الْهَرَمِ-
مَا شَابَ عَزْمِي وَلَا حَزْمِي وَلَا خُلُقِي وَلَا وَفَائِي وَلَا دِينِي وَلَا كَرَمِي
لَا تَعْمَدِ الْهَرَفَ فِي ضَرَاءٍ يَصْرِفُهَا فَلَوْ أَرَدْتَ دَوَامَ الْبُؤْسِ لَمْ يَدُمْ-
فَالْهَرُوكَا الطَّيْفُ بُؤْسَاهُ وَأَنْعَمَهُ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَلَا تَحْمَدُ وَلَا تَلْمُ
لَا تَحْسَبَنَّ حَسَبَ الْأَبَاءِ مَكْرَمَةً لِمَنْ يُقْصِرُ عَنْ غَايَاتِ مَجْدِهِمْ-
حَسَنُ الرَّجَالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمْ بِطَوْلِهِمْ^(١) فِي الْمَعَالِي لَا بِطَوْلِهِمْ-
مَا أُغْتَابَنِي حَاسِدٌ إِلَّا شَرَفْتُ بِهِ فحَاسِدِي مُنْعِمٌ فِي زِيٍّ مُنْتَقِمِ-
فَاللَّهُ يَكْلَأُ حَسَادِي فَأَنْعَمَهُمْ عِنْدِي وَإِنْ وَقَعَتْ مِنْ غَيْرِ قَصْدِهِمْ

❖ ومن قصيدة لحسين العاملي ❖

صُنْ بِالْتَعَفُّفِ عِزَّ النَّفْسِ مُجْتَهِدًا فَالْنَفْسُ أَعْلَى مِنَ الدُّنْيَا الَّذِي الرَّهْمِ-
وَأَغْضُضْ عِيُونَكَ عَنْ عَيْبِ الْأَنَامِ وَكُنْ
بِعَيْبِ نَفْسِكَ مَشْغُولًا عَنِ الْأُمَمِ-

فَإِنَّ عَيْبَكَ تَبْدُو فِيهِ وَصَمْتَهُ وَأَنْتَ مِنْ عَيْبِهِمْ خَالٍ عَنِ الْوَصْمِ
 جَازِ الْمُسِيءِ بِإِحْسَانٍ لَتَمْلِكَهُ وَكَنْ كَعُودِ يَنْفُوحِ الطَّيِّبِ فِي الضَّرْمِ
 وَمَنْ تَطَلَّبَ خِلَافَ غَيْرِ ذِي عَوْجٍ يَكُنْ كَطَالِبِ مَاءٍ مِنْ لُظَى الْفَحْمِ
 وَقَدْ سَمِعْنَا حِكَايَاتِ الصَّادِقِ وَلَمْ نَخْلُهُ إِلَّا خَيْالًا كَانِ فِي الْحَلْمِ
 إِنَّ الْإِقَامَةَ فِي أَرْضٍ تُضَامُ بِهَا وَالْأَرْضُ وَاسِعَةٌ ذُلٌّ فَلَا تُقِيمُ
 وَلَا كَمَالَ بَدَارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا فَيَا لَهَا قِسْمَةً مِنْ أَعْظَمِ الْقِسْمِ
 دَارٌ حَلَاوَتُهَا لِلْجَاهِلِينَ بِهَا وَمُرُهَا لِدَوِي الْأَلْبَابِ وَالْأَهْمِ

❖ لبهاء الدين زهير يعاتب اصحابه ❖

تُرَى هَلْ عَلِمْتُمْ مَا لَقِيتُ مِنَ الْبُعْدِ لَقَدْ جَلَّ مَا أَخْفِيهِ عَنْكُمْ وَمَا أُبْدِي
 فِرَاقٌ وَوَجْدٌ وَأَشْتِيَاقٌ وَلَوْعَةٌ تَعَدَّدَتِ الْبَلْوَى عَلَى وَاحِدٍ فَرْدٌ
 رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا نَقَضَتْ بِقُرْبِكُمْ كَأَنِّي بِهَا قَدْ كُنْتُ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ
 هُبُونِي أَمْرًا قَدْ كُنْتُ بِالْبَيْنِ جَاهِلًا

أَمَا كَانَ فِيكُمْ مَنْ هَدَانِي إِلَى الرُّشْدِ
 وَكُنْتُ لَكُمْ عَبْدًا وَالْعَبْدُ حُرْمَةٌ فَأَبَالِكُمْ ضَيَعْتُ حُرْمَةَ الْعَبْدِ
 وَمَا بَالُ كُتَيْبِي لَا يُرَدُّ جَوَابَهَا فَهَلْ أَكْرِمْتَ أَنْ لَا تُقَابَلَ بِالرَّدِّ
 فَأَيْنَ حَلَاوَاتُ الرِّسَائِلِ بَيْنَنَا وَأَيْنَ أَمَارَاتُ الْعُجْبَةِ وَالْوُدِّ

وَمَا لِي ذَنْبٌ يَسْتَحِقُّ عِقُوبَةً وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ بِشِيءٍ سِوَى الصَّدْرِ
 وَيَا لَيْتَ عِنْدِي كُلَّ يَوْمٍ رَسُولَكُمْ فَأُسْكِنَهُ عَيْنِي وَأُفْرِشَهُ خَدِّي
 وَإِنِّي لِأَرْعَاكُمْ عَلَى كُلِّ حَالَةٍ وَحَقِّكُمْ أَنْتُمْ أَعَزُّ الْوَرَى عِنْدِي
 عَلَيْكُمْ سَلَامُ اللَّهِ وَالْبَعْدُ بَيْنَنَا وَبِالرَّغْمِ مِنِّي أَنْ أُسَلِّمَ مِنْ بَعْدِ

✽ من قصيدة لاسماعيل بن احمد الشاشي في الصاحب ✽

مُسْتَوْفِي بَيْنَ ذُلِّ الصَّدْرِ وَالْمَلَلِ لَا حَظَّ لِي مِنْكَ إِلَّا لَذَّةُ الْأَمَلِ
 لَا تَرَحَّلَنَّ فَمَا أَبْقَيْتَ مِنْ جَلَدِي مَا أُسْتَطِيعُ بِهِ تَوَدِيعَ مُرْتَحِلِ
 وَلَا مِنْ أُنْغَمُضٍ مَا أَقْرِي الْخِيَالَ بِهِ وَلَا مِنْ أَلْدَمَعِ مَا أَبْكِي عَلَى طَلَلِ
 قَدِ زِدْتِ يَا لَيْلَةَ التَّوَدِيعِ فِي حَزَنِي وَلَمْ تَزِدْ يَا صَبَاحَ الْوَصْلِ فِي جَزَلِي
 وَأَنْتِ يَا جَسَدًا لَجَّ الْقَضَاءُ بِهِ حَتَّى بَرَّتْهُ يَدُ الْأَوْجَاعِ وَالْعِلَلِ
 كَيْفَ أَحْتَمَلْتَ الضَّنَى^(١) فِي الظَّاعِنِينَ ضُنَى

وَكَنْتُ لِلشُّوقِ فِيهِمْ غَيْرَ مُحْتَمِلِ

لِلَّهِ جِسْمِي فَمَا أَبْقَى حُشَاشَتَهُ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَسْقَامِ وَالْوَجَلِ
 يَعْدُ وَسَقَامِي عَلَى مِثْلِ الْخِيَالَ ضُنَى وَيَقْرَعُ الْخُطْبُ مِنِّي صَفْحَةَ الْجَبَلِ
 أَنَا الْمُقِيمُ وَأَشْعَارِي عَلَى سَفَرِ كَادَتْ تُؤَلِّفُ أَعْلَامًا عَلَى السَّبَلِ

(١) الضنى المرض والهزال وسوء الحال

سَارَتْ شَوَارِدُ أَوْصَافِ الْوَزِيرِ بِهَا

سِيرَ الْجُنُوبِ بِصَوْبِ الْعَارِضِ^(١) الْهَطْلِ
 مَا بَعْدَهُ لِشُدُورِ الْقَوْلِ مُدَّخِرٌ^(٢) فِي مَقَلَّةِ الرَّعْمِ أَعْلَى بُغْيَةِ الْكَحْلِ
 وَمَا بِهِ حَاجَةٌ فِي الْمَدْحِ تَنْظِمُهُ^(٣) الشَّمْسُ تَكْبُرُ عَنْ حَلِيٍّ وَعَنْ حُلِّ
 أَوْلَى الْمُلُوكِ بِتَدْبِيرِ الْمَالِكِ مَنْ يُغْنِي وَيُقْنِي وَلَمْ يُورَثْ وَلَمْ يَسَلِ
 وَمَنْ بَيْتٌ مِنْ الْأَيَّامِ فِي خَجَلٍ^(٤) إِنْ لَمْ يَبْتَ وَاللَّيَالِي مِنْهُ فِي وَجَلِ

✽ ولابي محمد عبدالله بن احمد الحازن من قصيدة في ✽

الاستعطاف والاعتذار عند تغير الوزير الصاحب عليه

أَيَا مَنْ عَفَوَهُ دَانِي السَّحَابِ^(١) صَدُوقُ الْبُرْقِ ثِقَابُ الشَّهَابِ
 مَدِيدُ الظِّلِّ مَعْقُودُ الْأَوَاخِي^(٢) عَلَى الْجَانِينِ مَضْرُوبُ الْقَبَابِ
 فَكَيْفَ حَجَبَتْ عَنْكَ وَأَنْتَ شَمْسٌ تَجَلُّ عَنْ التَّسْتُرِ بِالْحِجَابِ
 أَيْرِجِجٌ^(٣) بَابُ عَفْوِكَ دُونَ ذَنْبِي وَعَفْوُكَ لَمْ يُشْنِ بِرِ تَاجِ بَابِ
 وَإِعْرَاضُ الْوَزِيرِ أَشَدُّ مَسًّا عَلَى الْأَحْرَارِ مِنْ ضَرْبِ الرِّقَابِ
 ثَنِي غَرْبِي^(٤) وَفَلَّ شَبَا^(٥) شَبَابِي وَصَبَّ عَلَيَّ أَسْوَاظُ الْعَذَابِ

(١) السحاب المنقوض في الافق (٢) الظبي الخالص البياض (٣) جمع
 أخية وهي الطنب (٤) أيرجج جمع (٥) ثني غربه لوى نشاطه (٦) جمع
 شبة وهي الحد من كل شيء

وَ لَمْ تَبْقِ اللَّيَالِي فِي بَقِيَا لِعَتَبِ مِنْكَ فَضْلًا عَنْ عِقَابِي
 حَصَلَتْ وَ كُنْتَ ضَيْفَكَ فِي الثَّرِيَا وَ صِرْتُ وَ لَسْتُ ضَيْفَكَ فِي الثَّرَابِ
 وَ لَوْ رُغِتَ الْحَسَامُ الْعَضْبَ سَخَطًا لَذَابَ ذُبَابُهُ (١) بَيْنَ الْقِرَابِ
 أَعْيَدُكَ أَنْ تُصِيخَ إِلَى عَدُوِّي وَ سَمِعْتُكَ عَنْ قَبِيحِ الْقَوْلِ نَابِي (٢)
 عَلَى أَنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِمَّا كَرِهْتَ فَرِقَ لِي وَأَقْبَلَ مَتَابِي
 سَأَلْتُمْ مِنْ ثَرَاكَ الرُّوضَ غَضًّا وَمِنْ يَمْنَاكَ مِنْهُ السَّحَابِ
 أَصَبْتُ بِخَطَايَا فَآتَى بِشَعْرِ عَلِيٍّ مَسَّهُ أَلَمُ الْمُصَابِ
 وَمَالِي غَيْرُ مَدْحٍ أَمْ ثَنَاءٍ مُشِيدٍ (٣) أَمْ دُعَاءٍ مُسْتَجَابِ

✽ لصالح بن عبد القدوس ✽

صرمت حبالك بعد وصيدك زينب وألدهر فيه تصرم وتقلب
 وكذلك وصل الغانيات فإنه آل بيلقعة وبرق خلب
 فدع الصبا فلقد عداك زمانه وأزهد فعمرك مر منه الأطيب
 ذهب الشباب فما له من عودة وأتى المشيب فأين منه المهرب
 دع عنك ما قد فات في زمن الصبا وأذكر ذنوبك وأبكيها يا مذنب
 وأخش مناقشة الحساب فإنه لا بد يحصى ما جنيت ويكتب

(١) حده (٢) من نبا عن الشيء إذا نقر ولم يقبله (٣) من اشاد

بذكره إذا رفعه بالثناء عليه وأعلمه

وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كَرَاهَا أَنْفَاسًا بِهَا تُعَدُّ وَتُحَسَّبُ
 لَمْ يَنْسَهُ الْمَلِكُانِ حِينَ نَسِيَتْهُ بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لَاهٍ تَلْعَبُ
 وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعةٌ أُوْدِعْتَهَا سَتَرْدُهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسَلَبُ
 وَغُرُورُ دُنْيَاكَ الَّتِي تَسْعَى لَهَا دَارٌ حَقِيقَتُهَا مَتَاعٌ يَذْهَبُ
 وَجَمِيعُ مَا حَصَلَتْهُ وَجَمَعَتْهُ حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يَنْهَبُ
 تَبًّا لِدَارٍ لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا وَمَشِيدُهَا عَمَّا قَلِيلٍ يَنْخَرِبُ
 فَاسْمَعِ هُدَيْتَ نَصَائِحًا أَوْ لَا كَمَا بَرٌّ نَصُوحٌ لِلْأَنْسَامِ مُجْرِبُ
 أَهْدَى النَّصِيحَةَ فَاتَعَطَّ بِمَقَالِهِ فَهُوَ النَّبِيُّ اللُّوْذِيُّ الْعَادِرُ (١)
 لَا تَأْمَنِ الدَّهْرَ الْخَوْنُ لِأَنَّهُ مَا زَالَ قَدِمًا لِلرِّجَالِ يُؤَدِّبُ
 وَعَوَاقِبُ الْأَيَّامِ فِي غُصَّاتِهَا مَضَضٌ يَدِيلُ لَهُ الْأَعَزُّ الْأَنْجَبُ
 وَيَفُوزُ بِالْمَالِ الْحَقِيرِ مَكَانَهُ فَتَرَاهُ يَرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْغَبُ
 وَيُبْشَرُ بِالْتَّرْحِيبِ عِنْدَ قَدْوِهِ وَيُقَامُ عِنْدَ سَلَامِهِ وَيُقَرَّبُ
 فَاقْنَعْ فَنِي بَعْضِ الْقَنَاعَةِ رَاحَةً وَقَدْ كَسَى ثَوْبَ الْمَدَلَّةِ أَشْعَبُ
 لَا تَحْرِصَنَّ فَالْحَرِصُ لَيْسَ بِزَائِدٍ
 فِي الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الْحَرِيصَ وَيُتْعِبُ

كَمْ عَاجِزٍ فِي النَّاسِ يَأْتِي رِزْقُهُ
فَعَلَيْكَ تَقْوَى اللَّهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ
وَأَعْمَلْ بِطَاعَتِهِ تَنَلْ مِنْهُ الرِّضَى
وَأَرْعِ الْأَمَانَةَ وَالْحَيَاةَ فَاجْتَنِبْ
وَأَحْذَرْ مِنَ الْمَظْلُومِ سَهْمًا صَاحِبًا
وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْأَقْرَبِ كَلِمًا
وَإِذَا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فَاصْبِرْ لَهَا
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إِنَّهُ أَدْنَى لِعَنٍ
وَأَحْذَرْ مُوَاخَاةَ الدُّنْيَى لِأَنَّهٗ
وَأَخْتَرْ صَدِيقَكَ وَأَصْطَفِ بِهِ تَفَاخُرًا
وَدَعِ الْكُذُوبَ فَلَا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا
وَذَرِ الْحُقُودَ وَلَوْ صَفَا لَكَ مَرَّةً
إِنَّ الْحُقُودَ وَإِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُ
وَأَحْفَظْ لِسَانَكَ وَأَحْتَرِ زَمَانَ لَفْظِهِ
وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ

رَغَدًا وَمَحْرَمٌ كَيْسٌ وَمُجِيبٌ
إِنَّ التَّقِيَّ هُوَ الْبَيْهِيُّ الْأَهْيَبُ
إِنَّ الْمُطِيعَ لِرَبِّهِ لَمَقْرَبُ
وَأَعْدِلْ وَلَا تَظْلِمْ يَطِيبُ لَكَ مَكْتَبُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لَا يُجِيبُ
بِتَدَلُّلٍ وَأَسْمَحَ لَهُمْ إِنْ أَذْنُبُوا
مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسْلِمًا لَا يُنْكَبُ
أَوْ نَالَكَ الْخُطْبُ الْكُرْبِيَّةُ الْأَصْعَبُ
يَدْعُوهُ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
يُعْدِي كَمَا يُعْدِي الصَّحِيحُ الْأَجْرَبُ
إِنَّ الْقَرِينَ إِلَى الْمُقَارِنِ يُنْسَبُ
إِنَّ الْكُذُوبَ يَشِينُ حُرًّا يَصْحَبُ
وَأَبْعِدُهُ عَن رُؤْيَاكَ لَا يُسْتَجَلَبُ
فَالْحَمْدُ بَاقِي فِي الصَّدُورِ مُغِيبُ
فَالْمَرْءُ يَسْلَمُ بِاللِّسَانِ وَيَعْطَبُ
ثَرْتَارَةً فِي كُلِّ نَدِيٍّ تَخْطُبُ

وَالسِّرَّ فَأَكْتَمَهُ وَلَا تَنْطِقْ بِهِ فِيهِمُ الْأَسِيرُ لَدَيْكَ إِذْ لَا يَنْشَبُ
وَأَحْرِصْ عَلَى حِفْظِ الْقُلُوبِ مِنَ الْأَذَى

فَرَجُوعِهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعَبُ

إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا تَنَافَرَ وَدَهَسَا شِبْهُ الرُّجَاجَةِ كَسَرُهَا لَا يَشْعَبُ
وَأَحْذَرْ عَدُوَّكَ إِذَا تَرَاهُ بِاسْمًا فَالْلَيْثُ يَدُو نَابُهُ إِذَا يَغْضَبُ
وَإِذَا الصَّدِيقَ رَأَيْتَهُ مُتَمَلِّقًا فَهُوَ الْعَدُوُّ وَحَقُّهُ يَتَجَنَّبُ
لَا خَيْرَ فِي وَدِّ أَمْرِي مُتَمَلِّقٍ حَلْوِ اللِّسَانِ وَقَلْبُهُ يَنْقَلَبُ
يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوعُ مِنْكَ كَمَا يَرُوعُ الثَّعْلَبُ
يَلْقَاكَ يَحْفِيفُ أَنَّهُ بِكَ وَائْتِقْ وَإِذَا تَوَارَى عَنْكَ فَهُوَ الْعَقْرَبُ
وَإِذَا رَأَيْتَ الرِّزْقَ عَزَّ بِبِلْدَةٍ وَخَشِيتَ فِيهَا أَنْ يَضِيقَ الْمَكْسَبُ
فَارْحَلْ فَارْضُ اللّٰهَ وَسِعَةَ الْقَضَا طُولًا وَعَرْضًا شَرْقَهَا وَالْمَغْرِبُ
فَلَقَدْ نَصَبْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصِيحَتِي فَالنَّصِيحُ أَعْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوهَبُ
خُذْهَا إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً جَاءَتْ كَنْظَمِ الدُّرِّ بَلِّغِي أَعْجَبُ
حِكْمٌ وَأَدَابٌ وَجُلُّ مَوَاعِظٍ أَمْثَالُهَا لِذَوِي الْبُصَايِرِ تَكْتُبُ
فَأَصْنَعْ لَوْعَظٍ قَصِيدَةً أَوْ لَا كَمَا طَوَّدَ الْعُلُومِ الشَّامِخَاتِ الْأَهْيَبُ

❖ ومن قصيدة لصفي الدين الحلبي ❖

قَلِيلٌ إِلَى غَيْرِ أَكْتَسَابِ الْعُلَى نَهَضِي وَمَسْتَبْعِدٌ فِي غَيْرِ ذَيْلِ التَّقَى رَكْبِي
فَكَيْفَ وَلِي عَزْمٌ إِذَا مَا أَمْتَطَيْتُهُ تَيَقَّنْتُ أَنَّ الْأَرْضَ أَجْمَعَ فِي قَبْضِي
وَمَا لِي لَا أَغْشَى الْجِبَالَ بِمِثْلِهَا مِنَ الْعَزْمِ وَالْأَنْصَاءِ فِي وَعْرِهَا أَنْضِي
عَلَى أَنْ لِي عَزْمًا إِذَا رُمْتُ مَطْلَبًا رَأَيْتُ السَّمَاءَ أَدْنَى إِلَيَّ مِنَ الْأَرْضِ
أَبَتْ هَمَّتِي لِي أَنْ أُذَلَّ لِذَاكَ

عَرَى الْعَهْدِ أَوْ أَرْضِي مِنَ الْوَرْدِ بِالْبَرْضِ
وَأَصْبَحَ فِي قَيْدِ الْهَوَانِ مَكْبَلًا لَدَى عَصْبَةِ تَدْمِي الْأَنَامِلِ بِالْعَضْرِ
وَلَكِنِّي أَرْضَى الْمُنُونَ وَلَمْ أَكُنْ أَغْضُ عَلَى وَقَعِ الْمَدَلَّةِ أَوْ أَغْضِي
أَقِي النَّفْسَ بِالْأَمْوَالِ حَتَّى إِذَا وَقَتَ كُنُوزِ اللَّهِ نَفْسِي وَقَيْتُ بِهَا عِرْضِي
وَلَا أَخْتَشِي إِنْ مَسَّنِي وَقَعُ حَادِثٍ فَتِلْكَ يَدُ جَسِّ الزَّمَانِ بِهَا نَبْضِي
فَوَاعْبَأَ يَسْعَى إِلَيَّ مِنَ الْعِدَى لِيَدْرِكَ كَلِّي مَنْ يَقْصِرُ عَنِ بَعْضِي
وَيَقْصِدُنِي مَنْ لَوْ تَمَثَّلَ شَخْصُهُ بَعَيْنِي قَدَى مَا عَاقَ جَفْنِي عَنِ الْغَمْرِ
نَصَبْتُ لَهُمْ صَدْرَ الْجَوَادِ مُحَارِبًا لِأَرْفَعِ ذِكْرِي عِنْدَمَا طَلَبُوا خَفْضِي
إِذَا مَا تَقَلَّدَتِ الْحَسَامَ لِغَارَةِ وَلَمْ تُرْضِهِ يَوْمَ الْوَعْنَى فَلِمَنْ تُرْضِي
غَزَاهُمْ لِسَانِي بَعْدَ غَزْوِ يَدِي لَهُمْ فَلَا عَجَبٌ أَنْ يَسْتَمِرُّوا عَلَى بَعْضِي

❖ من قصيدة للشيخ عمر بن الوردى ❖

اِعْتَزَلْ ذِكْرَ الْأَغَانِي وَالْغَزَلِ وَقُلِ الْفَصْلَ ^(١) وَجَانِبَ مَنْ هَزَلَ
 وَدَعِ الذِّكْرَ لِأَيَّامِ الصَّبَا فَلَا يَأْمِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفْـلَ
 إِنْ أَهْنَى عَيْشَةَ قَضَيْتَهَا ذَهَبَتْ أَيَّامُهَا وَالْإِثْمُ جَلْ
 وَأَتْرَكَ الْعَادَةَ لَا تَحْفَلِ بِهَا تُنْسِ فِي عَزِّ رَفِيعٍ وَتَجَلْ
 وَأَفْتَكِرْ فِي مُنْتَهَى حُسْنِ الَّذِي أَنْتَ تَهْوَاهُ تَجِدُ أَمْرًا جَلَلْ
 وَأَهْجُرِ الْحُمْرَةَ إِنْ كُنْتَ فَتَى كَيْفَ يَسْعَى فِي جُنُونٍ مَنْ عَقَلَ
 وَأَنْقِ اللَّهَ فَتَقْوَى اللَّهَ مَا جَاوَرَتْ قَلْبَ أَمْرِي إِلَّا وَصَلَ
 لَيْسَ مَنْ يَقْطَعُ طُرُقًا بَطَلًا إِنَّا مِنْ يَتَقَى اللَّهَ الْبَطْلَ
 حَارَتْ الْأَفْكَارُ فِي قُدْرَةٍ مِنْ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا عَزَّ وَجَلْ
 كَتَبَ الْمَوْتَ عَلَى الْخَلْقِ فَكَمْ ^(٢) قَلْ مِنْ جَيْشٍ وَأَفْنَى مِنْ دَوْلِ
 أَيْنَ نُمْرُودٌ وَكَنْعَانٌ وَمَنْ مَلَكَ الْأَرْضَ وَوَلَّى وَعَزَلَ
 أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَشَادُوا وَبَنَوْا هَلَكَ الْكُلُّ وَلَمْ تُغْنِ الْحِيلَ
 أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجَى أَهْلُ النَّهْيِ أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْقَوْمُ الْأَوَّلِ
 سَعِيدُ اللَّهِ كَلَّا مِنْهُمْ وَسَيِّئُزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ

(١) الحق من القول (٢) كسر

يَا بَنِي أَسْمَعِ وَصَايَا جَمَعْتَ حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَلَا تَكْسَلْ فَإَا أَبْعَدَ الْخَيْرَ عَلَى أَهْلِ الْكَسَلِ
وَأَحْتَفِلْ بِالْفِقْهِ فِي الدِّينِ وَلَا تَشْتَغِلْ عَنْهُ بِمَالٍ وَخَوْلٍ^(١)
وَأُهْجِرِ النَّوْمَ وَحَصِّلْهُ فَمَنْ يَعْرِفُ الْمَطْلُوبَ يَحْتَقِرُ مَا بَدَلُ
لَا تَقْبَلْ قَسْدَ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ
فِي أَرْزَادِ الْعِلْمِ إِرْغَامُ الْعِدَى وَجَمَالَ الْعِلْمِ إِصْلَاحُ الْعَمَلِ
جَمَلِ الْمَنْطِقِ بِالنَّحْوِ فَتَنْ يُحْرَمُ الْأَعْرَابُ فِي النُّطْقِ اخْتَبَلْ
إِنْظِمِ الشَّعْرَ وَلَازِمِ مَذْهَبِي فِي أَطْرَاحِ الرَّفْدِ^(٢) لَا تَبْغِ النَّحْلَ^(٣)
فَهُوَ عُنْوَانٌ عَلَى الْفَضْلِ وَمَا أَحْسَنَ الشَّعْرَ إِذَا لَمْ يُتَدَلْ
أَنَا لَا أَخْتَارُ ثَقْبِيلَ يَدٍ قَطَعَهَا أَفْضَلُ مِنْ تِلْكَ الْقَبْلِ
مُلْكٌ كَسَرَى عَنْهُ تَغْنِي كِسْرَهُ وَعَنْ الْبَحْرِ اجْتِرَاءُ^(٤) بِالْوَشْلِ^(٥)
إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا تَخْفِضُ الْعَالِي وَتُعْلِي مَنْ سَفَلَ
عَيْشَةُ الرَّاغِبِ فِي تَحْصِيلِهَا عَيْشَةُ الْجَاهِلِ فِيهَا أَوْ أَقْلُ
كَمْ جَهُولٍ بَاتَ فِيهَا مَكْثَرًا وَعَلِيمٍ بَاتَ مِنْهَا بِعِلَالٍ

(١) لحوال ما اعطاك الله من النعم والعييد وغيرهم من الحاشية (٢) العطاء
والصلة (٣) جمع النحلة وهي العطاء بغير عوض (٤) اكتفاء (٥) الماء
القليل يتحلب من جبل او صخرة

كَمْ تَجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى وَجَبَانَ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
 فَأَتْرَكَ الْحِيلَةَ فِيهَا وَأَتَكَلَّ إِنَّا الْحِيلَةَ فِي تَرَكِ الْحِيلِ
 لَا تَقُلْ أَصْلِي وَفَصْلِي أَبَدًا إِنَّا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
 قَدْ يَسُودُ الْمَرْءُ مِنْ دُونَ أَبِي وَجَسُنُ السَّبَكِ قَدْ يَنْفِي الدَّخْلُ (١)
 إِنَّمَا الْوَرْدُ مِنَ الشُّوكِ وَمَا يَنْبُتُ الذَّرَجِسُ إِلَّا مِنْ بَصَلِ
 قِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يَحْسِنُهُ أَكْثَرَ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمَّ أَقْلِ
 يَنْ تَبْدِيرٍ وَيَجْلِي رُبَّةً وَكَلَّا هَذِينَ إِنْ زَادَ قَتَلَ
 لَيْنَ يَجْلُو الْمَرْءُ مِنْ ضِدِّ وَلَوْ حَاوَلَ الْغُزْلَةَ فِي رَأْسِ الْجَبَلِ
 مِلَّ عَنِ النَّامِ وَأَهْجَرُهُ فَمَا بَلَغَ الْمَكْرُوهَ إِلَّا مَنْ تَقَلَّ
 دَارِ جَارِ السُّوءِ بِالصَّبْرِ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ صَبْرًا فَمَا أَحْلَى النُّقْلُ (٢)
 جَانِبِ السُّلْطَانِ وَأَحْذَرِ بَطْشَهُ لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلْ
 لَا تَلِ الْعُكْمَ وَإِنْ هُمْ سَأَلُوا رَغْبَةً فِيكَ وَخَالَفَ مَنْ عَدَلَ
 إِنْ نَصَفَ النَّاسِ أَعْدَاءَ لِمَنْ وَوَلِيَ الْأَحْكَامَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
 فَهَرَّ كَالْمَجْبُوسِ عَنِ لَدَاتِهِ وَكَلَّا كَفَيْهِ فِي الْحَشْرِ تَقَلُّ (٣)

(١) الدغل الدخل وهو ما داخلك من فساد في العقل او في الجسم

(٢) جمع نقلة وهو اسم بمعنى الانتقال (٣) تقييد بالغل وهو طوق

من حديد

لَا تَوَازِي لَذَّةَ الْأَحْكَامِ مَا ذَاقَهُ الشَّخْصُ إِذَا عَنَيْهَا أَنْعَزَلُ
 وَالْوَلَايَاتُ وَإِنْ طَابَتْ لِمَنْ ذَاقَهَا فَالْسُّمُّ فِي ذَاكَ الْعَسَلُ
 نَصَبُ الْمُنْصَبِ أَوْهَى جَلْدِي وَعَنَائِي مِنْ مَدَارَاةِ السَّفَلِ
 قَصِيرِ الْأَمَالِ فِي الدُّنْيَا تَفْزُ فِدْلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
 إِنْ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلَى غِرَّةٍ (١) مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ
 غِيبٌ وَزُرٌّ غِيبًا (٢) تَزِيدُ حُبًّا فَمَنْ أَكْثَرَ التَّرْدَادِ أَضْنَاهُ الْمَلَلُ
 لَا يَضُرُّ الْفَضْلَ إِقْلَالٌ كَمَا لَا يَضُرُّ الشَّمْسُ إِطْبَاقُ الطُّفْلِ (٣)
 خُذْ بِنَصْلِ السِّيفِ وَأَتْرُكْ غِنْدَهُ وَأَعْتَبِرْ فَضْلَ الْفَتَى دُونَ الْخَلَلِ
 حُبِّكَ الْأَوْطَانَ عَجْزٌ ظَاهِرٌ فَأَغْتَرِبْ تَلْقَ عَنِ الْأَهْلِ بَدَلِ
 فَبِمَكْتِ الْمَاءِ بَقِيَ آسِنًا (٤) وَسَرَى الْبَدْرِ بِهِ الْبَدْرُ أَكْتَمَلُ

* من قصيدة لصفي الدين الحلي كتب بها الى محمود بن يحيى *
 أَخْلَايَ بِالْفَيْحَاءِ إِنْ طَالَ بَعْدُكُمْ فَأَنْتُمْ إِلَى قَلْبِي كَسْحَرِي مِنْ نَحْرِي
 وَإِنْ يَخْلُ مِنْ تَكَرَّارِ ذِكْرِي حَدِيثُكُمْ
 فَلَمْ يَخْلُ يَوْمًا مِنْ مَدِيحِكُمْ شِعْرِي

- (١) غفلة (٢) من غب الرجل اذا جاء زائراً بعد ايام او كل اسبوع
 (٣) الطفل العشي" اخره عند الغروب اي اختلاط أول الليل بضوء النهار من
 لدن ذرور الشمس الى استكثانها في الارض (٤) من أسن الماء اذا تغير
 طعمه ولونه وريحه (٥) السحر القلب والرئة

أَطَالِبُ تَتَسِي بِاتِّصَابِ عَنْكُمْ وَأَوَّلُ مَا أَفْقِدْتُ بَعْدَ كُمْ صَبْرِي
وَرُبَّ نَسِيمٍ مَرَّ لِي مِنْ دِيَارِكُمْ فَفَتَّاحَ لَنَا مِنْ طَيْبِهِ طَيْبُ النَّشْرِ
وَأَذْكَرَنِي عَيْدًا وَمَا كُنْتُ نَاسِيًا وَلَكِنَّهُ تَجْدِيدُ ذِكْرِي عَلَى ذِكْرِي
فِي أَيَّامِ الشَّيْخِ الَّذِي عَقَدُ حَبِيهِ تَنَزَّلَ مِنِّي مَنَزِلَ الرُّوحِ مِنْ صَدْرِي
تَجَاذِبُنِي الْأَشْوَاقُ نَحْوَ دِيَارِكُمْ وَأَحْذَرُ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ الَّذِي يَدْرِي
مَخَافَةَ مَذَاقِ اللِّسَانِ يُسِرُّ لِي ضُرُوبَ الرَّدَى بَيْنَ الْبَشَاشَةِ وَالْبَشْرِ
وَيَنْشُرُ لِي حَبَّ الْوَفَاءِ تَمَلُّقًا وَيَنْصِبُ لِي مِنْ تَحْتِهِ شَرَكَ الْقَدْرِ
وَمَا أَنَا مِنْ يُلْقِي إِلَى الْحَتْفِ نَفْسَهُ وَيَجْهَدُ فِي اسْتِخْلَاصِهَا مِنْهُ بِالْقَسْرِ
وَلَكِنَّ لِي فِي مَارِدِينَ مَعَاشِرًا شَدَدَتْ بِهِمْ لَمَّا حَلَّتْ بِهَا أَرْزِي (١)
مُلُوكُهُ إِذَا أَتَى الزَّمَانُ حِبَالَهُ جَعَلْتَهُمْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ ذُخْرِي
وَمَا أَحْدَثَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ إِسَاءَةً وَوَأَفَيْتَهُمْ إِلَّا أَنْقَمْتُ مِنَ الدَّهْرِ
إِذَا جِئْتَهُمْ مُسْتَصْرِخًا حَقَّنُوا دَمِي

وَإِنْ جِئْتَهُمْ مُسْتَجِدِيًا (٢) وَفَرُّوا وَفَرِي (٣)

وَرَوَّوْا بِمَاءِ الْجُودِ غَرْسَ أَبِيهِمْ فَأَيُّنَعُ فِي أَغْصَانِهِ ثَمَرُ الشُّكْرِ
وَقَلَدَنِي السُّلْطَانُ مِنْهُ بِأَنْعَمٍ أَخْفَبَ بِهَانِضِي وَإِنْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي

حَطَّطْتُ رِحَالِي فِي رَيْبِ رُبُوعِهِ وَوَلَاهُ لَمْ أَتْنِ الْأَعْنَةَ عَنْ مِصْرِي
 وَوَادٍ حَكَرَ الْخُنُوءَ لَا فِي شُجُونِهَا وَلَكِنْ لَهُ عَيْنَانِ تَجْرِي عَلَى صَخْرِي
 تَمَانَقَتِ الْأَغْصَانُ فِيهِ فَاسْبَلَتْ عَلَى الرَّوْضِ اسْتَارًا مِنَ الْوَرَقِ الْخَضِرِ
 إِذَا مَا حَبَالُ الشَّمْسِ مِنْهَا تَخَلَّصَتْ إِلَى رَوْضِهِ أَتَقْتِ شِرَاكًا مِنَ التَّبْرِ
 وَمَنْحَنُ نُورِي الْعَيْشِ بِاللَّهْوِ حَقَّةً وَتَسْرِقُ سَاعَاتِ السُّرُورِ مِنَ الْعُمْرِ
 وَقَدْ عَمَّنَا فَصْلُ الرَّيْبِ بِفَضْلِهِ فَبَادَرْنَا بِالْوَرْدِ فِي أَوَّلِ الْقَطْرِ
 فَيَا أَيُّهَا الْمَوْلَى الَّذِي وَصَفَ فَضْلَهُ يَجَلُّ عَنِ التَّعْدَادِ وَالْحَدِّ وَالْحَصْرِ
 أَثْبُتَكَ بِالْأَشْعَارِ فَرَطَ تَشَوُّقِي وَلَا أَتَعَاطَى حَصْرَ وَصْفِكَ بِالشَّعْرِ

✽ من قصيدة للشيخ ناصيف اليازجي ✽

بعث بها الى صديق له معرضاً باغراض في نفسه

مَنْ يَقْرَبِ النَّارَ لَا يَسْلَمُ مِنَ الْحَرَقِ
 فَابْعُدْ عَنِ النَّاسِ وَأَحْذَرْهُمْ وَلَا تُثَقِّقِ
 وَأَصْبِرْ عَلَى نَكَدِ الدُّنْيَا وَكُنْ بَطْلًا
 يَأْتِي السُّيُوفَ غَدَاةَ الْحَرْبِ بِالْدرِقِ (١)
 إِنْ كُنْتَ قَدْ ضَيَّعْتَ ذُرْعًا عَنْ نَوَائِبِهَا
 فَلَا تَخَفْ إِنْ لُطِفَ اللَّهُ لَمْ يَضِقِ

(١) الدرق ترس من جلد بلا خشب ولا عقب

يَسْتَدْرِكُ الْمَرْءُ مَا يَدُو لِنَظَرِهِ
وَاللَّهُ يَصْنَعُ مَا يَخْفَى عَلَى الْحَدَقِ
كَمْ أَرَعَدَ الْجُوُّ فَأَهْتَزَّتْ جَوَانِبُهُ
ثُمَّ أَنْتَهَى الرَّعْدُ لَمْ يَفْعَلْ سِوَى الْقَلْقِ
وَرُبَّمَا أَطْبَقَتْ سَحَابٌ فَأَقْطَرَتْ
إِلَّا كَمَا يَنْقُضِي الْبِحْرَانَ^(١) بِالْعَرَقِ
لَا يَأْسَنَ مَرِيضٌ مِنْ سَلَامَتِهِ
مَا دَامَ فِي جَنْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الرَّمَقِ
كَمْ مَاتَ مَنْ كَانَ يُرْجَى عَيْشُهُ فَقَضَى
وَعَاشَ مَنْ كَانَ يَخْشَى مَوْتَهُ فَبَقِيَ
لِكُلِّ لَيْلٍ صَبَاحٌ نَسْتَضِي بِهِ
فَلَا تَدُومُ عَلَيْنَا ظُلْمَةُ الْعُسْقِ
وَأَخِرُ الْأَمْرِ فِي ضَعْفٍ كَأَوَّلِهِ
كَمَا نَرَى الشَّبَّهَ بَيْنَ الصُّبْحِ وَالشَّفَقِ
تَخَالَفَ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا فَمَا اتَّفَقُوا
إِلَّا عَلَى حَبِيبِ الْخَالِي مِنَ الْمَلَقِ

(١) البحران التغير الذي يحدث للمريض دفعة في الامراض الحادة

تَسَابَقَتْ نَحْوَ كَسْبِ الْمَالِ أَنْفُسَهُمْ
(١) وَرِفْعَةِ الْجَاهِ مِثْلَ الْخَيْلِ فِي الطَّلَقِ
وَالْفَقْرِ أَفْضَلُ مِنْ مَالٍ حَمَلَتْ بِهِ
ثِقَلًا مِنَ الْهَمِّ يُبِي الْعَيْنَ بِالْأَرْقِ
وَالذُّلُّ أَحْسَنُ مِنْ مُجَدِّ لَبَسَتْ بِهِ
ذَمًّا مِنَ النَّاسِ مِثْلَ الطُّوقِ فِي الْعُنُقِ
لَا خَيْرَ فِي خَمْرَةٍ تَحْلُو لِشَارِبِهَا
طَعْمًا وَلَكِنْ تَلِيهَا غُصَّةُ الشَّرْقِ
مَنْ لَا يُقَلِّبُ طَرْفًا فِي عَوَاقِبِهِ
فَلَيْسَ تَأْمَنُ رِجْلَاهُ مِنَ الزَّلَقِ
شَرُّ الْجَهَالَةِ مَا كَانَتْ عَلَى كَبَرٍ
تُسَوِّدُ الشَّيْبَ مِثْلَ الْهَبْرِ فِي الْوَرَقِ
لَا تَعْبَثُ لِسْكَرَانَ تَرَاهُ صَحِيحًا
لَكِنْ لِمَنْ غَاصَ فِي سِكرٍ فَلَمْ يَفِقْ
إِنَّ الثُّبَاتَ عَلَى عَيْبٍ أَقَمْتَ بِهِ
عَيْبٌ جَدِيدٌ سِوَى الْمَغْرُوسِ فِي الْخَلْقِ

(١) الطلق الشوط الواحد في جري الخيل اي الجري مرة الى الغاية

النَّاسُ بِالْوَضْعِ أَشْبَاهُ وَقَدْ نَشِبَتْ
 فِيهِمْ مَبَايِنَةٌ مِنْ أَكْثَرِ الطَّرِيقِ
 يَا لَيْتَ لِي بِحَجْرٍ شُكْرِي كَمَا أَخُوَضَ بِهِ
 لَكِنْ أَخَافُ عَلَى نَفْسِي مِنَ الْغَرَقِ
 شُكْرُ الَّذِي مَا بِهِ عَيْبٌ سِوَاكَ نِعْمَ
 تَتَابَعَتْ مِنْهُ مِثْلَ الْعَطْفِ ذِيهِ النَّسَقِ
 ذَاكَ الَّذِي كَلَّمَا رُمْتُ اللَّحَاقَ بِهِ
 فِي الْحُبِّ الْفَيْتَهُ قَدْ جَدَّ فِي السَّبْقِ
 وَكَلَّمَا كَبَّرْتَ عَيْنُ الزَّمَانِ صَفَا
 وَكَلَّمَا دَنَيْتَ نَفْسُ الزَّمَانِ نَهَى
 دَلَّتْ عَلَى وُدِّهِ الصَّافِي صَنَائِعُهُ
 كَالْمِسْكِ دَلَّتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ الْعَبْقِ
 وَالْحُبُّ إِنْ كَانَ لَا يَأْتِي بِفَائِدَةٍ
 فَذَلِكَ كَالنَّصْنِ لَا يَجْنِي سِوَى الْوَرَقِ
 نَرَى مِنَ النَّاسِ أَقْوَامًا مَوَدَّتِهِمْ
 تُرْضِي النَّفْسَ بِلِسَانِ خَادِعٍ مَلَقِ

❖ وله من قصيدة في حادثة اصابته احد ❖

اصدقائه وسلم منها

إِنْ كُنْتَ بِاللَّهِ فِي دُنْيَاكَ تَعْتَصِمُ

فَلَا تَكُنْ خَائِفًا إِنْ زَلَّتِ الْقَدَمُ

وَأَطْلُبْ لِنَفْسِكَ غَيْرَ الْأَرْضِ مَنْزِلَةً

إِنْ كُنْتَ تَبْغِي نَعِيمًا مَا بِهِ أَلَمٌ

مَنْ عَاشَ فِي الْأَرْضِ لَا تُرْجَى سَلَامَتُهُ

مِنْ نَكْبَةٍ وَبِلَايَا الدَّهْرِ تَرْدَحِمُ

وَكَيفَ يَأْمَنُ مِنْ لَطْمِ الْمِيَاهِ لَهُ

مَنْ خَاضَ فِي الْبَحْرِ وَالْأَمْوَاجِ تَلْتَطِمُ

حَوَادِثُ الدَّهْرِ تَخْتَارُ الْكِرَامَ فَمَا

زَالَتْ عَلَى حَسَبِ الْأَقْدَارِ تَنْقَسِمُ

وَهُمْ كُلٌّ عَلَى مِقْدَارِ هِمَّتِهِ

فَلَا هُمُومَ لِقَوْمٍ مَا لَهُمْ هِمَمُ

النَّاسُ لِلنَّاسِ كَالْأَعْدَاءِ مَا بَرِحَتْ

فِي أَكْثَرِ الْأَمْرِ تَأْتِي مِنْهُمْ النِّقَمُ

إِنَّ لَمْ يَكُنْ ضَرُّهُمْ عَمْدًا فَعَنْ خَطَا
 وَقَدْ يَكُونُ بِقَصْدِ النَّفْعِ ضَرُّهُمْ
 غَنِيمَةُ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا تَجْنِبُهُمْ
 لَكِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ يَغْتَنَمُ
 هُمْ كَالطَّعَامِ الَّذِي لَا بُدَّ مِنْهُ لَنَا
 بِهِ نَعِيشُ وَمِنْهُ يَحْدُثُ السَّقَمُ
 كُلُّ الْجَوَاهِرِ أَعْرَاضٌ رَزِيَّتِهَا
 تَهُونُ إِذْ تَسَلَّمَ الْأَعْرَاضُ وَالشِّيمُ
 وَالْمَالُ مِثْلُ نَسِيمِ الرِّيحِ إِنْ سَلِمَتْ
 بِقُدْرَةِ اللَّهِ فِي أَبْدَانِنَا النَّسِيمُ
 لَيْسَ الْبُكَاءُ لِفَقْدِهِ بَعْدَهُ خَلْفُ
 إِنْ الْبُكَاءُ لِفَقْدِهِ بَعْدَهُ عَدَمُ
 قَدْ يَنْبَتُ الْمَالُ مِثْلَ الظُّفْرِ تَقَطُّعُهُ
 وَتُلْعَمُ الْمَالُ مِثْلَ الْجِرْحِ تَلْتَحِمُ
 مَا دَامَ لِلْأَجْدَلِ (١) الْقَنَاصِ أَجْنِحَةٌ
 لَا يُفْلِتُ الصَّيْدُ مِنْهُ حَيْثُ يَنْهَزِمُ

وَالْخَيْرُ يَعْرِفُ طَرِيقًا قَدْ تَعَوَّدَهَا
 فَلَا يَضِلُّ وَلَوْ قَامَتْ بِهِ الظُّلْمُ
 أَجَلٌ لِلْمَرْءِ مِنْ مَجْدِ الْغِنَى شَرَفًا
 مَجْدُ الْوَفَاءِ وَتَقْوَى اللَّهِ وَالْبُكْرَمُ
 وَأَرْفَعُ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً
 مَنْ لَمْ يَكُنْ لِحَقُوقِ النَّاسِ يَهْتَضِمُ
 اللَّهُ فِي الْخَلْقِ سِرًّا أَيْسَ نُدْرِكُهُ
 وَحِكْمَتُهُ بَطَلَتْ مِنْ دُونِهَا الْحِكْمُ
 لَا يُرْزَقُ الْعَبْدُ إِلَّا مَا قَضَاهُ وَلَا
 يُصِيبُهُ غَيْرُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ
 سَيَجِبُ اللَّهُ قَلْبًا بَاتَ مُنْكَسِرًا
 وَلَيْسَ يَتْرُكُ جَمْرًا كَانَ يَضْطَرُّ
 لَا ضَيْقَ فِي الدَّهْرِ إِلَّا بَعْدَهُ فَرَجٌ
 وَلَا شَيْبَةَ إِلَّا بَعْدَهَا هَرَمٌ
 إِذَا رَمَى اللَّهُ يَمَنِي الْعَبْدِ فِي عَسَمٍ (١)
 يَبْقَى الشِّجَالُ فَلَا يَغْتَالِهَا الْعَسَمُ

(١) العسم يس في مفصل الرسغ تعوج منه اليد والقدم

العادات قاهرات

﴿ من قصيدة لمعروف الرصافي ﴾

كُلُّ ابْنِ آدَمَ مَقْهُورٌ بِعَادَاتِهِ لَهْنٌ يَنْقَادُ فِي كُلِّ الْإِرَادَاتِ
يَجْرِي عَلَيْهِنَّ فِيمَا يَسْتَغِيهِ وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُنَّ حَتَّى فِي الْمَلَدَاتِ
قَدِ اسْتَلَذُّ الْفَتَى مَا أَعْتَادَ مِنْ ضَرَرٍ حَتَّى يَرَى فِي تَعَاطِيهِ الْمَسَرَّاتِ^(١)
عَادَاتُ كُلِّ أَمْرٍ تَأْتِي عَلَيْهِ بَأَنَّ تَكُونُ حَاجَاتُهُ إِلَّا كَثِيرَاتِ
إِنِّي لَفِي أَسْرٍ حَاجَاتِي وَمِنْ عَجَبٍ تَعُودِي مَا بِهِ تَزْدَادُ حَاجَاتِي
كُلُّ الْحَيَاةِ أَفْتِقَارٌ لَا يَفَارِقُهَا حَتَّى تَنَالَ غِنَاهَا بِالْمَنِيَّاتِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ هَذِهِ الْعَادَاتُ قَاهِرَةً لَمَّا أُسِفَتْ بِجَالِ بِنْتِ حَانَاتِ^(٢)
وَلَا رَأَيْتَ سَكَرَاتٍ يُدَخِّنُهَا قَوْمٌ بَوَقْتِ أَنْفِرَادٍ وَأُجْتِمَاعَاتِ
إِنَّ الدُّخَانَ لَثَانٌ فِي الْبَلَاءِ إِذَا مَا عَدَّتِ الْحُمُرُ أَوْلَى فِي الْبَلِيَّاتِ
وَرُبَّ بَيْضَاءٍ قَيْدِ^(٤) الْأَصْبَحِ^(٥) أَحْتَرَقَتْ
فِي الْكُفْرِ وَهِيَ أَحْتَرِاقٌ فِي الْحُشَّاشَاتِ^(٥)
إِنَّ مَرَّ بَيْنَ شِفَاهِ الْقَوْمِ أَسْوَدُهَا أَلْقَى أَصْفَرَ أَعْلَى بَيْضِ الثَّنِيَّاتِ^(٦)

(١) تناوله (٢) بنت الحمان الخمرة (٣) المراد بالبيضاء اللفافة من
التبغ (٤) قيد الاصبح اي مقداره (٥) جمع الحشاشة وهي بقية الروح
في المريض والجريح او هي رمق من حياة النفس (٦) الثنيات اربع اسنان
في مقدم الفم ثنتان من فوق وثنان من اسفل

وَلَيْتَهَا كَانَ هَذَا حِطًّا شَارِبَهَا
 بَلْ قَدْ تَفَّتْ بِكَفَيْهِ الْمَرَارَاتِ
 عَوَائِدُ عَمَّتِ الدُّنْيَا مَصَائِبَهَا
 وَإِنَّمَا أَنَا فِي تِلْكَ الْمُصِيبَاتِ
 إِنْ كَلَّفْتَنِي السَّكَارَى شَرِبَ خَمْرَتِهِمْ
 شَرِبْتُ لَكِنْ دُخَانًا مِنْ سَكَارَاتِي
 وَأَخْزَرْتُ أَهْوَنَ شَرٍّ بِالْدُّخَانِ وَإِنْ
 أَحْرَقْتُ نَوْبِي مِنْهُ بِالشَّرَارَاتِ
 وَقَلْتُ يَا قَوْمُ تَكْفِيكُمْ مُشَارَكَتِي
 إِيَّاكُمْ فِي التِّدَاذِ بِالْمَضَرَّاتِ
 إِنِّي لَأَمْتَصُّ جَمْرًا لَفَّ فِي وَرَقِ
 إِذْ تَشْرَبُونَ لَهِيًّا مِلًّا كَأَسَاتِ
 كَلَاهَا حَمَقٌ ^(١) يَفْتَرُّ عَنْ ضَرَرِ
 يَسْمُ مِنْ دَمِنَا تِلْكَ الْكُرِّيَّاتِ ^(٢)
 حَسْبِي مِنَ الْحَمَقِ الْمَعْتَادِ أَهْوَنُهُ
 إِنْ كَانَ لِأَبَدٍ مِنْ هَذِي الْجَمَاقَاتِ

(١) الحرق قلة العقل ونقصانه (٢) الكريات جمع كرية تصغير كورة

يَا مَنْ يَدْخِنُ مِثْلِي كُلَّ آوِنَةٍ
لُمْنِي أَلْمُكَ وَلَا تَرْضَ أَعْتِدَارَاتِي
إِنَّ الْعَوَائِدَ كَالْأَغْلَالِ (١) تَجْمَعُنَا
عَلَى قُلُوبٍ لَنَا مِنْهُنَّ أَشْتَاتِ (٢)
مُقِيدِينَ بِهَا نَمَشِي عَلَى حَذَرٍ
مِنَ الْعَيُوبِ فَنَأْتِي بِالْمُدَاجَاةِ (٣)
قَدْ نُنْكِرُ الْفِعْلَ لَمْ تَأْلَفْهُ عَادَتُنَا
وَإِنْ عَلِمْنَا مِنْ بَعْضِ الْمُبَاحَاتِ
وَرُبَّ شَنْعَاءَ مِنْ عَادَاتِنَا حَسَنَتْ
فِي زَعْمِنَا وَهِيَ مِنْ أَجَلَى الشَّنَاعَاتِ
لَمْ تُحْصِ سَيِّئَةَ الْعَادَاتِ مَقْدُرَتِي
مَهْمَا تَفَنَّنَتْ مِنْهَا فِي عِبَارَاتِي
فَكَمْ لَهَا بَدْعٌ (٤) سَوْدٌ قَدْ أُصْطَدِمَتْ (٥)
فِي النَّاسِ مِنْهُنَّ آفَاتٌ (٦) بِآفَاتِ

- (١) الاغلال جمع غل وهو الطوق من حديد (٢) متفرقة
(٣) المداجاة المخادعة والرياء (٤) جمع بدعة وهي ما كان مخترعاً على غير
مثال سابق (٥) اصطدا ضرب احدهما الآخر بنفسه وتراجما (٦) جمع
آفة وهي العاهة او عرض مفسد لما اصابه

لَوْ لَمْ يَكُ الدَّهْرُ سُوقًا رَاجَ بَاطِلِهَا
 مَا رَاجَتِ الْخَمْرُ فِي سُوقِ التِّجَارَاتِ
 وَلَا اسْتَمَرَّ دُخَانُ التَّبَعِ مُنْتَشِرًا
 بَيْنَ الْوَرَى وَهُوَ مَطْلُوبٌ كَأَقْوَاتِ
 لَوْ اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ التَّبَعِ مُحْتَكِرًا^(١)
 فَوْقَ أَحْتِكَارِ لَهُ أضعَافَ مَرَّاتِ
 وَزِدْتُ أضعَافَ أضعَافٍ ضَرْبَتَهُ^(٢)
 حَتَّى بَيَّعَهُ قِيرَاطًا يَبْدُرَاتِ^(٣)
 فَيَسْتَرِيحُ فَقِيرُ الْقَوْمِ مِنْهُ وَلَا
 يَبْلَى بِهِ غَيْرُ مَثَرٍ ذِي سَفَاهَاتِ
 الْحُرِّ مَنْ خَرَقَ الْعَادَاتِ مُنْتَهَبًا
 نَهَجَ الصَّوَابِ وَلَوْ ضِدَّ الْجَمَاعَاتِ
 وَمَنْ إِذَا خَذَلَ النَّاسُ الْحَقِيقَةَ عَنْ
 جَهْلٍ أَقَامَ لَهَا فِي النَّاسِ رَايَاتِ

(١) احتكر الشيء احتبسه انظاراً لغائه (٢) الضريبة واحدة
 الضرائب التي تؤخذ في الجزية نحوها (٣) جمع بدزة وهي عشرة
 آلاف درهم

وَلَمْ يَخَفْ فِي اتِّبَاعِ الْحَقِّ لَأَيِّمَةً
 وَلَوْ أَنَّكَ بِمَجْدِ الْمَشْرِفِيَّاتِ (١)
 وَعَامَلَ النَّاسَ بِالْإِنْصَافِ مُدْرِعًا
 ثَوْبَ الْأَخُوَّةِ مِنْ نَسِجِ الْمَسَاوَاتِ
 أَغْبَى الْبَرِيَّةِ أَرْفَاهُمْ (٢) لِعَادَتِهِ
 وَأَعْمَلُ النَّاسِ خِرَاقٌ لِعَادَاتِ

✽ من قصيدة لنجيب الحداد ✽

في وصف الشرق

يَا بَنِي الشَّرْقِ أَيْنَ ذَاكَ الضِّيَاءُ أَيْنَ تِلْكَ النُّفُوسُ وَالْآلَاءُ
 أَيْنَ ذَاكَ الْمَقَامُ تَحْسُدُهُ الشَّمْسُ بِهَاءٍ وَأَيْنَ ذَاكَ الْعَلَاءُ
 أَيْنَ مَنْ طَاوَلُوا النُّجُومَ فَوَدَّتْ شَرْفًا أَنَّهُمْ لَهَا حَصَبَاءُ
 أَيْنَ أَرْضٌ قَدْ خَصَّهَا اللَّهُ بِالْوَحْيِ وَجَاءَتْ مِنْ قَوْمِهَا الْأَنْبِيَاءُ
 قَدْ عَهَدْنَا بِالشَّرْقِ مَطْلَعِ أَنْوَارٍ فَا بِاللَّهِ عَرَاهُ الْمَسَاءُ
 أَيُّ شَيْءٍ جَرَى عَلَى الْكُونِ حَتَّى أَنْقَلَبَتْ عَنْ نِظَامِهَا الْأَشْيَاءُ
 فَرَأَيْنَا غَرْبَ الْبِلَادِ مُنِيرًا وَغَدَوْنَا وَشَرْقُنَا الظُّلَمَاءُ

(١) السيوف (٢) اسم تفضيل من رفا الثوب اذا صلح خروقه وضم

بعضها الى بعض

لَسْتُ أَعْنِي بِالنُّورِ شَمْسَ سَمَاءٍ بَلْ شُمُوسًا مَا أَطْلَعَتْهَا سَمَاءٌ
أَبْرَزَتْهَا أَيْدِي الرِّجَالِ بِأَفَاقِ ذِكَاةٍ تَفَارُ مِنْهُ ذُكَاةٌ (١)
هِيَ شَمْسُ الْعُلَى تُمَثِّلُهَا الشَّمْسُ كَمَا مَثَّلَ النُّجُومَ الْمَاءُ
كُتِبَتْ أَحْرَفُ الْمَسَاوِدِ فِيهَا فَتَلَّتْهَا حُرِّيَّةٌ وَإِخَاءٌ
كَلِمٌ كُلُّهَا مَحَبَّةٌ أَوْطَانٌ وَرَأْسُ الْإِيمَانِ ذَاكَ الْوَلَاءُ
عَظَمَتُهُ مَمَالِكُ الْغَرْبِ حَتَّى بَلَغَتْ مِنْهُ فِي الْعُلَى مَا تَشَاءُ
فَارَاقَتْ دِمَاءَهَا وَبَنَتْهُ بِمَجْسُومٍ لَهَا وَنِعْمَ الْبِنَاءُ
وَأَطْرَحْنَاهُ نَحْنُ فِي الشَّرْقِ حَتَّى صَدَّ عَنَّا وَطَالَ مِنْهُ الْجَفَاءُ
لَا لِعَمْرِي بَلْ طَالَ مِنَّا جَفَاءٌ عَنْهُ وَأَسْتَحْكَمْتُ بِنَا الْأَهْوَاءُ
مَنْ تَخَلَّى عَنْ حُبِّهِ لَمْ يَكُنْ لِلْسُّحْبِ ذَنْبٌ فَالْحُبُّ مِنْهُ بَرَاءٌ
لَيْسَ حُبُّ الْأَوْطَانِ فِي لُبْسِ خَزِيٍّ وَأَخْتِيَالٍ تَفَارُ مِنْهُ النِّسَاءُ
وَأَقْتِدَاءُ بِأَهْلِهِ كَيْفَ جَاءُوا فِي الَّذِي لَا يُفِيدُ فِيهِ أَقْتِدَاءُ
وَأَنْصِرَافٍ عَنْ كُلِّ عِلْمٍ وَتَفْرِيقِ قُلُوبٍ بِهَا يَقُومُ النَّمَاءُ
وَأَنْشِغَالٍ عَنِ الْبِلَادِ بِأَهْوَاءِ نَفُوسٍ قَدْ صَدَّ عَنْهَا الْحَيَاءُ
وَأَتَّخِاذِ الْمَنَاصِبِ الْغَرِّ سَبَابَ عَدَاءٍ يُرْمَى بِهَا الْأَبْرِيَاءُ

(١) ذكاء اسم للشمس غير منصرف

إِنَّ حُبَّ الْأَوْطَانِ عَدْلٌ وَحِلْمٌ وَثَبَاتٌ وَعِزَّةٌ وَوَفَاءٌ
 وَأَصْطِبَارٌ عَلَى الزَّمَانِ وَتَأَلِيفٌ قُلُوبٍ وَغَيْرَةٌ وَإِبَاءٌ
 وَجِهَادٌ فِي كُلِّ فَضْلٍ وَحُرِّيَّةٌ قَوْلٍ وَأَنْفُسٌ شِمَاءٌ
 وَقُلُوبٌ لَا تَشْنِي فِي الَّذِي تَبْنِي وَلَوْ حَالَ فِيهِ نَارٌ وَمَاءٌ
 وَأَكْفٌ تَعَاقَدَتْ تَكْتُبُ الْمَجْدَ لَو أَنَّ الْحُرُوفَ فِيهِ دِمَاءٌ
 ذَاكَ حُبُّ الْأَوْطَانِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ وَهَذِي صِفَاتُهُ الْغُرَاءُ
 كَمْ نُنَادِي يَا قَوْمَنَا ثُمَّ لَا نَسْمَعُ غَيْرَ الصَّدَى وَكَمْ ذَا الْبِدَاءِ
 أَوْلَسْنَا الْقَوْمَ الْأَوْلَى مَلَكَوْا الْمُدُنَ وَدَانَتْ لَدَيْهِمُ الْغُبْرَاءُ
 وَالْأَوْلَى سَطَرُوا وَالْمَعَارِفَ وَأَسْتَجْبَلُوا خَفَايَا الْوَرَى فزَالَ الْخِفَاءُ
 لَيْسَ نَيْلُ الْعُلَى بِصَعْبٍ إِذَا تَأَنَّنَا رَتَّ إِلَيْهِ حِمِيَّةٌ قَعَسَاءُ
 نَحْنُ أَبْنَاؤُهَا وَمَنْ نَصَرَ إِلَّا بَاءً تُنصَرُ بِفَضْلِهِ الْأَبْنَاءُ
 كُنَّا وَاحِدٌ لَنَا وَطَنٌ فَزِدْ وَإِنْ عُدِدَتْ بِنَا الْأَسْمَاءُ
 إِنَّا نَحْنُ هَيْكَلٌ وَأَخْتِلَافٌ أَلْ إِسْمٌ وَهَمٌّ فَكُنَّا أَعْضَاءُ
 وَسَبِيلُ الْعُلَى قَرِيبٌ هُوَ الْأَلْسِقَةُ فِيهَا الْمَنَى وَفِيهَا الرَّجَاءُ
 وَعَلَى اللَّهِ نُنْجِحُنَا فِي خِتَامٍ إِنْ ثَبَتْنَا وَصَحَّ مِنَّا ابْتِدَاءُ

الباب الثامن

في الوصف

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الْحِصْرِيُّ فِي وَصْفِ كَلَامِ الْكِتَابِ الْبَلْغَاءِ :
لَهُمْ مِنْ لَطَائِفِ الْإِبْتِدَاعِ وَتَوَلِيدَاتِ الْإِخْتِرَاعِ أَبْكَارٌ يَصُبُّ
إِلَيْهَا الْقَلْبُ وَالطَّرْفُ . وَيَقْطُرُ مِنْهَا مَاءُ الْمَلَاخَةِ وَالطَّرْفُ .
وَتَمْتَرِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ وَتَسْتَرْجِعُ نَافِرَ الْأَنْسِ . وَلَهُمْ كَلَامٌ
طَرَزُوا دِيْبَاجَهُ وَرَصَعُوا تَاجَهُ وَنَظَّمُوا عَقُودَهُ وَرَقَبُوا بَرُودَهُ
فَهُوَ كَمَا قُلْتُ

بَدِيعُ نَثْرِ رَقٍّ حَتَّى غَدَاً يَجْرِي مَعَ الرُّوحِ كَمَا تَجْرِي
مِنْ مَذْهَبِ الْوَشِيِّ عَلَيَّ وَجْهِهِ دِيْبَاجَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الشَّعْرِ
كَزَهْرَةِ الدُّنْيَا وَقَدْ أَقْبَلْتُ تَرُودُ فِي رَوْنِقِهَا النَّضْرُ
أَوْ كَالنَّسِيمِ الْغَضِّ غَيْبِ الْحَيَا يَخْتَالُ فِي أَرْدِيَةِ الْفَخْرِ

قَالَ الْحَسَنُ عَلِيُّ بْنُ هُذَيْلٍ يَصِفُ مَنَافِعَ الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ :
إِعْلَمُ أَنَّ فِي الْحِكَايَاتِ وَالْأَخْبَارِ سَلْوَةً لِلنَّفُوسِ وَآدَابًا نَافِعَةً
لِلرِّئِيسِ وَالْمَرْوُوسِ . وَأَنَّ الْقُلُوبَ تَرْتَاحُ إِلَيْهَا مِنْ شَجُونِهَا

وَالْأَذَانُ تُصْغِي لِسَمَاعِ طُرْفَيْهَا وَفُنُونَيْهَا . وَالْوَحِيدُ يَأْتِسُ بِمُطَالَعَتَيْهَا
وَالْجُلَيْسَ يَنْبَسِطُ بِمُذَاكَرَتَيْهَا وَمُحَاضَرَتَيْهَا . وَالطَّبَاعُ تَجْمُّ بِهَا
مِنْ مَلَلِهَا وَيَذْهَبُ عَنْهَا قَلَّةُ نَشَاطِئِهَا وَكَثْرَةُ كَسَلِهَا

وَقَالَ شَهَابُ الدِّينِ الْأَبْشَيْهِيِّ فِي وَصْفِ الصَّوْتِ الشَّجِيِّ
الْمُطْرَبِ : الصَّوْتُ الشَّجِيُّ الرَّخِيمُ مُرَادُ السَّمْعِ وَمَرْتَعُ النَّفْسِ
وَرَبِيعُ الْقَلْبِ وَمَسَلَاةُ الْكَيْبِ وَأَنْسُ الْوَحِيدِ . لِعِظَمِ مَوْقِعِهِ
مِنْ الْقَلْبِ وَأَخْذِهِ بِمَجَامِعِ النَّفْسِ

وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الضَّيِّيِّ فِي الثَّرْيَا

خَلَّتْ الثَّرْيَا إِذْ بَدَتْ طَالِعَةً فِي الْوَيْدِ

سَبَلَةٌ مِنْ لَوْلُوءٍ أَوْ بَاقَةٌ مِنْ نَرْجِسٍ

وَلِلشَّيْخِ الْحُسَيْنِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ فِي وَصْفِ الثَّلَجِ

كَأَنَّ فِي الْجَوْ أَشْجَارًا مُعَلَّقَةً مِنَ الْعَجْرَةِ تُدْنِيهَا وَتُقْصِيهَا

أَوْرَاقَهَا فِضَّةٌ بِيضَاءُ تَضْرِبُهَا رِيحُ الشَّمَالِ فَتَهْوِي مِنْ أَعَالِيهَا

وَقَالَ الصَّاحِبُ فِي وَصْفِهِ

أَقْبَلَ الْجَوْ فِي غَلَائِلِ نُورٍ ^(١) وَتَهَادَى بِلَوْلُوءٍ مَشُورٍ

فَكَانَ السَّمَاءُ صَاحَرَتْ الْأَرْضَ فَصَارَ النِّشَارُ مِنْ كَافُورٍ

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا

أَوْ مَا تَرَى كَأَنَّهُ يَنْثُرُ دُرَّهُ وَكَأَنَّا الدُّنْيَا سَبِيكَةٌ فِيضُهُ
وَلِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ الْخَازِنِ فِي وَصْفِ الرَّبِيعِ

طَمَعَ الرَّبِيعُ فَقَالَ لِلْأَرْضِ أَشْكُرِي نِعْمَ السَّمَاءُ وَأَبْدِي وَأَعْيَدِي
فَقَدَّتْ حَدَائِقَهَا تُوَاصِلُ شُكْرَهَا بِلِسَانِ كُلِّ مُطَوَّقٍ غَرِيدٍ
رَوْضٌ إِذَا نَشِرَتْ طَرَائِفُ وَشِيهِ طُوِيَتْ لَهَا أَبْرَادُ آلِ يَزِيدٍ
رِيَانٌ ^(١) لَمْ يَعْزُرْ نَسِيمُ صَبَابَتِي فِي ظِلِّهَا إِلَّا بَوْرِدٌ خُدُودٍ
وَأَعْتَلَّ نَرْجِسُهُ فَعَادَتُهُ الصَّبَا أَحْسِنُ بِنَظَرَةٍ عَائِدٍ وَمَعُودٍ
وَبَيْلٌ مَسْكِيٌّ الصَّعِيدِ ^(٢) مَعْبَرٌ مِنْ مَزْنَةٍ حَفَّتْ بِجَيْشِ رُعودٍ
وَلِأَبِي الْحُسَيْنِ الْغَوَيْرِيِّ مِنْ قَصِيدَةِ رَبِيعِيَّةٍ يُخَاطَبُ
بِهَا الصَّاحِبَ

أَيُّهَا الصَّاحِبُ الرَّبِيعُ تَجَلَّى فِي رِيَاضِ تَحَارُّ فِيهَا الْعُقُولُ
نَرْجِسٌ نَاضِرٌ وَأَحْمَرٌ وَرْدٌ وَشَقِيقٌ يَزِينُهُ التَّكْحِيلُ
وَعُصُونٌ تَجْرُ أَذْيَالُ نَوْرِ فِي حَوَاشِي جَدَاوِلٍ وَتَمِيلُ
لِلزَّرَازِيرِ فِي خِلَالِ الْأَزَاهِيرِ صَفِيرٌ وَالْحِجَامُ هَدِيلٌ ^(٣)

(١) الريان الاخضر الناعم (٢) الصعيد التراب أو وجه الارض

تراباً كان ام غيره (٣) الهديل صوت الحمام

مِنْ قَصِيدَةِ لَصْنِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ
 قَدْ أَضْحَكَ الرَّوْضَ مَدْمَعُ السُّحْبِ وَتَوَجَّحَ الزَّهْرُ عَاطِلَ الْقُصْبِ
 وَقَهَقَهُ الْوَرْدُ لِلصَّبَا فَغَدَّتْ تَمَلُّاً فَاهُ قُرَاضَةٌ ^(١) الْذَهَبِ
 فَفَضَّنَهَا قَائِمٌ عَلَى قَدَمِ وَالْكَرْمُ جَآثٍ لَهُ عَلَى الرُّكْبِ
 وَالسُّحْبُ وَافَتْ أَمَامَ مُقَدِّمِهِ ^(٢) لَهُ تَرُوشُ الطَّرِيقِ بِالْقُرْبِ ^(٣)
 وَالْأَرْضُ مَدَّتْ لَوِطَةً مِشِيَّتِهِ مَظَارِفًا مِنْ رِيَاضِهَا الْقُشْبِ
 وَالطَّلُّ ^(٤) فَوْقَ الْمِيَاهِ مُنْتَثِرٌ فَهَوَ الْكُاسِ الْغَدِيرِ كَالْحَبِّ ^(٥)
 وَالطَّيْرُ غَنَّتْ بِمَنْطِقِ غَرْدٍ يَغْنِي النَّدَامَى عَنْ نَفْحَةِ الْقُصْبِ
 وَالْقُصْبُ مَالَتْ لِسَجْعِهَا طَرَبًا وَنَحْنُ مِنْهَا أَحَقُّ بِالطَّرَبِ

وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الرَّسْتَمِيُّ فِي وَصْفِ رَوْضٍ
 أَلَمْ تَرَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ تَبَسَّمَتْ أَجَارِعُ ^(٦) مِنْ أَنْوَارِهَا وَخَمَائِلُ
 كَأَنَّ غُصُونِ الزَّرْجِسِ الْغَضِّ بَيْنَهَا نَشَاوَى كَرَى ^(٧) أَعْنَاقَهُنَّ مَوَائِلُ
 تَخَالُ أَزَاهِيرَ الرِّيَاضِ خِلَالَهَا مَصَابِيحَ لَيْلٍ مَا لَهْنٌ فَتَائِلُ

- (١) القراضة ما سقط بالقرض أي القطع كقراضة الثوب أو الذهب
 (٢) المقدم ضد الآخر (٣) جمع القربة وهي اناء للماء وغيره (٤) المطر
 الضعيف أو الندى (٥) الفقايع التي تعلو الماء والحجر (٦) جمع اجرع
 وهو الرملة الطيبة النبات (٧) أي سكارى من الناس

وَقَدْ شَرِبَتْ مَاءَ الْغَامَةِ فَأَثْنَتْ كَمَا بَثْنَى الشَّارِبُ الْمَتَائِلُ
 فَمِنْ أَفْعَوَانٍ^(١) تَغْرُهُ مُتَبَسِّمٌ وَوَرْدٍ عَلَى أَكْنَافِهِ الطَّلُّ جَائِلُ
 وَاصْفَى الدِّينِ فِي وَصْفِ رَوْضَةٍ

فَأَغْصَانٌ مِنَ النَّسَمَاتِ تُشْنَى وَأَزْهَارٌ عَلَى الْأَنْوَاءِ تُشْنَى
 يُضَاحِكُهَا الْغَمَامُ بِشَجْرِ بَرْقٍ وَيُبْكِيهَا الْغَمَامُ بِدَمْعِ مَزْنٍ
 فَطَوْرًا ضَاحِكًا مِنْ غَيْرِ بَشِيرٍ وَطَوْرًا بَاكِيًا مِنْ غَيْرِ حُزْنٍ
 وَهُوَ أَيْضًا فِي وَصْفِ رِيَاضِ عَيْنِ الصَّفَا

عَجْنَا عَلَى وَاذِيهِ الصَّفَا فَصَفَا عَيْشِي وَوَلَّى اللَّهُمَّ مَرْتَحِلًا
 فِي رَوْضَةٍ حَاكَ الرَّيِّعُ لَهَا بَسَطًا وَالْبَسَّ دَوْحَهَا حَلَلًا
 مَا إِنْ تَزَالَ رِيَاضُهَا قُشْبًا أَبَدًا وَبُرْدَةٌ شَمْسِيهَا سَمَلًا^(٢)
 فَكَانَ صَوْبَ الْمَزْنِ يَعَشَقُهَا فَأَقَامَ لَا يَبْغِي بِهَا بَدَلًا
 مَا زَالَ يَبْكِيهَا وَيُعْتَبِسُهَا حَتَّى تَوَرَّدَ خَدَّهَا خَجَلًا
 وَقَالَ ابْنُ النَّبِيِّ يَصِفُ رَوْضَةً

وَرَوْضَةٌ وَجَنَاتُ الْوَرْدِ قَدْ خَجَلَتْ فِيهَا ضَعْفَى وَعَيْونُ الذَّرَجِسِ انْفَجَّتْ
 وَالْقَطْرُ قَدْ رَشَّ ثَوْبَ الدَّوْحِ حِينَ رَأَى مَجَامِرَ الزَّهْرِ فِي أَذْيَالِهِ نَفَجَّتْ

(١) نبات له زهر ابيض في وسطه كتلة صغيرة صفراء (٢) السمل

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ رُسْتَمٍ

وَالطَّلُّ فِي سِلْكِ الْعُصُونِ كُلُّوْلُوٌّ
وَالطَّيْرُ نَقْرًا وَالْغَدِيرُ صَحِيفَةٌ
رَطْبٌ يُصَافِيهِ النَّسِيمُ فَيَسْقُطُ
وَالرِّيحُ تَكْتُبُ وَالنِّعَامُ يَنْقِطُ

وَقَالَ آخَرُ فِي الْيَاسَمِينِ

وَالْأَرْضُ تَبْسِمُ عَنْ نُغُورِ رِيَاضِهَا
وَكَأَنَّ مَخْضَرَ الرَّيَاضِ مِلَاءَةٌ^(١)
وَالْأَفُقُ يُسْفِرُ تَارَةً وَيَقْطِبُ
وَالْيَاسَمِينُ أَمَا طِرَازٌ^(٢) مَذْهَبٌ

وَقَالَ آخَرُ فِي الْآسِ وَقَدْ أَهْدَاهُ إِلَيْهِ بَعْضُ خُلَانِهِ

أَهْدَيْتَ مُشْبِهَ قَدِّكَ الْمَيَّاسِ
فَكَأَنَّا يَمْحِكُكَ فِي حَرَكَاتِهِ
غُصْنَا نَضِيرًا نَاعِمًا مِنْ آسِ
وَكَأَنَّا تَحْكِيهِ فِي الْأَنْفَاسِ

وَقَالَ آخَرُ فِي أُتْرُجَةٍ^(٣)

يَا حَبْدَا أُتْرُجَةٌ تُحَدِّثُ لِلنَّفْسِ الطَّرْبَ
كَأَنَّهَا كَافُورَةٌ لَهَا غِشَاءٌ مِنْ ذَهَبٍ

وَقَالَ آخَرُ فِي لَيْحُونَةٍ

كَأَنَّهَا كُرَةٌ مِنْ فِضَّةٍ خُرِطَتْ^(٤)
وَأَسْتَوْدَعُوهَا غِلَافًا صَيْغَ مِنْ ذَهَبٍ

(١) ثلاثة أنواع من الثياب (٢) علم الثوب أي رسمه ورقمه (٣) الأترج

وهو من جنس الليمون (٤) من خرطه إذا قشره وسواه بالخرطة

وَقَالَ آخِرُ فِي اللَّيْمُونِ

أَمَا تَرَى اللَّيْمُونَ فِي غُصْنٍ مِنْ الزَّبْرِجَدِ
كَأَكْرَةَ^(١) مِنْ فِضَّةٍ مَمْلُوءَةٍ مِنْ عَسَجِدِ

وَقَالَ آخِرُ فِي تَفَاحَةٍ

وَتَفَاحَةٍ وَرَدِيَّةٍ ذَهَبِيَّةٍ تَجَلِي عَنِ الْمَهْمُومِ لَيْلَ هُمُومِهِ
كَأَنَّ سُلَافَ^(٢) الْخُمُرِ رَوَى أَدِيمًا بِخَمَرٍ فَجَاءَتْ بِأَحْمَرَارِ أَدِيمِهِ

وَقَالَ آخِرُ فِي السَّفَرَجَلِ

كَالرَّاحِ طَعْمًا وَشَمِّ الْمِسْكِ رَائِحَةً وَالْتِبْرِ لَوْنًا وَشَكْلَ الْيَدْرِ تَدْوِيرًا

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْمَشْمِشِ

حَكَى وَحَكَتْ أَشْجَارُهُ فِي أَخْضِرَارِهِ

جَلَا جِلِ^(٣) تَبْرِ فِي قِيَابِ زَبْرِجَدِ^(٤)

وَمِمَّا قِيلَ فِي الْفُسْتُقِ

غِلَالَةٌ مَرَجَانٍ عَلَى جِسْمِ فِضَّةٍ وَأَحْشَاءُ يَأْقُوتٍ وَقَلْبُ زَبْرِجَدِ

(١) لغة في الكرة (٢) السلاف ما سال من عصير العنب قبل ان

يعصر (٣) جمع جليل وهو الجرس الصغير (٤) الزبرجد حجر يشبه

وَقَالَ آخِرُ فِي بَرَكَةٍ

كَأَنَّهَا الْفِضَّةُ الْبَيْضَاءُ سَائِلَةٌ مِنْ السَّبَائِكِ تَجْرِي فِي مَجَارِيهَا
 إِذَا عَلَتْهَا الصَّبَا أَبَدَتْ لَهَا حِكْمًا^(١) مِثْلَ الْجَوَاشِينِ^(٢) مَصْفُورًا حَوَاشِيَهَا
 فَمَا جَبَّ الشَّمْسُ أَحْيَانًا يُضَاحِكُهَا وَرَوَتْهُ الْغَيْثُ أَحْيَانًا يُبَاكِهَا
 إِذَا النُّجُومُ تَرَاءَتْ فِي جَوَانِبِهَا لَيْلًا حَسِبْتَ سَمَاءً رُكِبَتْ فِيهَا
 وَوَصَفَ صَفِيُّ الدِّينِ الْحَلِيُّ حَدِيثَةً قَالَ
 وَقَدْ بَدَأَ الْوَرْدُ مُفْتَرًا مَبَاسِمُهُ

وَالزَّرْجِسُ الْغَضُّ فِيهَا شَاخِصٌ الْخَدَقِ

مِنْ أَحْمَرٍ سَاطِعٍ أَوْ أَخْضَرٍ نَظِيرٍ
 أَوْ أَصْفَرٍ فَاقِعٍ^(٣) أَوْ أَيْضٍ يَتَّقِي^(٤)
 وَالسَّحْبُ تَبْكِي وَتَعْرُ الْبَرْقِ مُبْتَسِمٌ

وَالطَّيْرُ تَسْجَعُ مِنْ تَيْهِ وَمِنْ أَنْقِ^(٥)

فَالطَّيْرُ فِي طَرَبٍ وَالسَّحْبُ فِي حَرَبٍ^(٦)

وَالْمَاءُ فِي هَرَبٍ وَالغُصْنُ فِي قَلَقٍ

- (١) الحبك جمع حبيكة وهي درع الحديد وكل شيء مجبوك (٢) جمع جوشن وهو درع (٣) شديد مشبع اللون (٤) شديد البياض ناصعه
 (٥) الأنقى الحسن المعب (٦) اشتداد الغضب

وَلَعِيبي الدِّينِ الحَمَوِيِّ

قَدْ أَتَيْنا الرِّياضَ حِينَ تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنْ النَّدَى مِجْمَانِ
وَرَأَيْنا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أُناملِ الأَغْصَانِ

وَلِبَعْضِهِمْ فِي وَصْفِ رَوْضَةٍ

أَمَّا تَرى الأَرْضَ قَدْ أَعْطَتْكَ زَهْرَتِها

بِخُضْرَةٍ وَأَكْتَسَى بِالنُّورِ^(١) عَارِها

فَلِلسَّمَاءِ بُكَاءٌ فِي جَوَانِبِها

وَلِلرِّيعِ ابْتِسَامٌ فِي نَوَاحِها

وَلِابْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِ حَدِيقَةٍ فِيها جَدْوَلٌ

وَحَدِيقَةٍ يَنْسَابُ^(٢) فِيها جَدْوَلٌ طَرَفِي بِرَوْتِقِ حُسْنِها مَذْهُوشٌ

يَبْدُو خِيالُ غُصُونِها فِي مائِهِ فَكأنَّا هُوَ مِعْصَمٌ^(٣) مَنْقُوشٌ

وَقَالَ صَفِيُّ الدِّينِ الحَلِيِّ يَصِفُ عودَ الطَّرَبِ

وَعودِ بِهِ عادَ السُّرُورِ لِأنَّهُ حَوَى اللُّهُوقَ قَدِما وَهُوَ رِيانٌ ناعِمٌ

يُغَرِّبُ فِي تَغْرِيدِهِ فَكأنَّهُ يُعِيدُ لَنَا ما لَقَنَتْهُ الحامَمُ

(١) النور الزهر او الابهض منه (٢) من انساب الماء اذا جرى وتدافع

في مائه وذهب كل مذهب (٣) المعصم موضع السوار من الساعد او اليد

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا

عُودٌ حَوَتْ فِي الْأَرْضِ أَعْوَادُهُ كُلُّ الْمَعَانِي وَهُوَ رَطْبٌ قَوِيمٌ
فَحَازَ شِدْوَ الْوُرْقِ فِي سَجِّهِ وَرِقَّةَ الْمَاءِ وَلُطْفَ النَّسِيمِ

وَقَالَ فِي وَصْفِ مَدِينَةِ بَغْدَادَ

مَا بَعْدَ بَغْدَادَ لِلنَّفُوسِ هَوَى رَقَّ هَوَاهَا وَرَاقَ مَنَظَرُهَا
كَأَنَّهَا جَنَّةٌ مَزْخَرَقَةٌ وَنَهْرٌ عَيْسَى النَّعِيرِ (١) كَوَثْرُهَا (٢)

وَلِحَبِيبِ الطَّائِي فِي رَجُلٍ ثَقِيلٍ مَقِيمٍ

يَا مَنْ تَبَرَّمَتْ (٣) الدُّنْيَا بَطْلَعْتَهُ كَمَا تَبَرَّمَتْ الْأَجْفَانُ بِالرَّمَدِ
يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مُخْتَالَفًا حَسْبَهُ لِبُغْضِ طَلَعْتِهِ يَمْشِي عَلَى كَبِدِي

وَلِابْنِ قَزَلٍ فِي فَانُوسٍ

وَكَأَنَّهَا الْفَانُوسُ فِي غَسَقِ الدُّجَى (٤) دَنِفٌ بَرَاهُ شَوْقُهُ وَسَهَادُهُ
أَضْلَاعُهُ خَفِيَتْ وَرَقَّ أَدِيمُهُ (٦) وَجَرَّتْ مَدَامِعُهُ وَذَابَ فُؤَادُهُ

وَلِابْنِ تَمِيمٍ فِي وَصْفِهِ أَيْضًا

أَنْظُرْ إِلَى الْفَانُوسِ تَلَقَّ مَتِيًّا ذَرَقَتْ عَلَى فَقْدِ الْحَبِيبِ دُمُوعُهُ

(١) النسيم من الماء التاجع الهنيء (٢) الكوثر نهر في الجنة تنفجر منه
جميع انهارها (٣) تبرمت (٤) الغسق اشتداد الظلام (٥) الدنف
الذي لازمه المرض واشرف على الموت (٦) جلده

يبدو تلهب جسمه لغيره وتعد من تحت القيص ضلوعه
والآخر في ناعورة

وناعورة قالت وقد حال لونها وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي لاني فمدهته وأماد موعى فهي تجري على جسني
وقال صني الدين في وصف كتاب مجلد أهدى إليه

لله خط كتاب خلته دررا أروضة رصعتها السحب بالبرد
أبدت بظاهره أيدي مجلده نقشا على جلده أوهت به جلدي
ولابي القاسم عبد الصمد يصف مجلسا نثرت فيه الدنانير

وأرسلت السماء رشاش تبر شتيت الودق^(١) كالورق الثبير
لقد أمطرتها ذهبا ولكن جلوت الشمس في يوم مطير
من زهرية لمقري الوحش

الغيم بيكي في السماء ويهتدي بدامع تنهل من قطر ندي
والزهر يسيم في الرياض كأنه بسط زهت ألوانها كزبرجد
بمفضض ومذهب ومطرز ومجسور ومعتبر ومورد
والماء بين تدفق وترقراق^(٢) وتموج وتسلل^(٣) وتجمع

(١) الودق القطر (٢) من تفرق اذا تحرك وجاء وذهب (٣) من

تسلل الماء اذا جرى في حدود

وَالدُّوْحُ يَرْقُصُ وَالنَّسِيمُ مُشِيبٌ (١) وَالنَّهْرُ بَيْنَ تَصْفِيٍّ وَتَهْدٍ

مِنْ زَهْرِيَّةٍ لِصَفِيِّ الدِّينِ الْحَلِيِّ

وَرَدَ الرَّبِيعُ فَمَرَّ حَبَابًا بِوُرُودِهِ وَبِنُورٍ بِهَيْجَتِهِ وَنُورٍ وَرُودِهِ

وَبِحَسَنِ مَنَظَرِهِ وَطِيبِ نَسِيمِهِ وَأَنْبِقٍ مَلْبَسِهِ وَوَشْيٍ بِرُودِهِ

فَصَلَّ إِذَا أَفْتَخَرَ الزَّمَانُ فَإِنَّهُ إِنْسَانٌ مَقْلَتُهُ وَبَيْتُ قَصِيدِهِ

يَغْنِي الْمِرْزَاجَ عَنِ الْعِلَاجِ نَسِيمُهُ بِاللُّطْفِ عِنْدَ هُبُوبِهِ وَرُكُودِهِ (٢)

يَا حَبْدًا أَزْهَارُهُ وَثَمَارُهُ وَنَبَاتٌ نَاجِمُهُ وَحَبُّ حَصِيدِهِ (٣)

وَتَجَاوِبُ الْأَطْيَارِ فِي أَشْجَارِهِ كَبَنَاتِ مَعْبَدٍ (٤) فِي تَجَاوِبِ عُدُودِهِ

وَالغَصْنُ قَدْ كَسَى الْغُلَّائِلَ بَعْدَ مَا أَخَذَتْ يَدَا كَانُونَ فِي تَجَرِيدِهِ

نَالَ الصَّبَا بَعْدَ الْمَشِيبِ وَقَدْ جَرَى مَاءُ الشَّيْبَةِ فِي مَنَابِتِ عُدُودِهِ

وَالْوَرْدُ فِي أَعْلَى الْفُصُونِ كَأَنَّهُ مَلِكٌ تَحَفُّ بِهِ سَرَاةُ جُنُودِهِ

وَكَأَنَّا الْقَدَاحُ سَمِطٌ (٥) لَآلِيٍّ (٦) هُوَ لِلْقَضِيبِ قِلَادَةٌ فِي جِيدِهِ

فَأَنْظُرْ لِنَرَجِسِهِ الشَّهِيٍّ كَأَنَّهُ طَرْفٌ تَبَهُ بَعْدَ طُولِ هَجُودِهِ

وَأَنْظُرْ إِلَى الْمَنْظُومِ مِنْ مَشُورِهِ مَتَنُوعًا بِفُصُولِهِ وَعَقُودِهِ

(١) من شبب بها اذا وصف محاسنها (٢) سكونه (٣) من نجم

النبت اذا طلع وظهر (٤) رجل مشهور بالغناء (٥) القداح اطراف النبات

الغض (٦) السمط خيط النظم ما دام فيه الخرز واللؤلؤ

أَوْ مَا تَرَى الْغَيْمَ الرَّفِيقَ وَمَا بَدَا لِلْعَيْنِ مِنْ أَشْكَالِهِ وَطُرُودِهِ
 وَالسُّحْبُ تَعْقِدُ فِي السَّمَاءِ مَا تَمَّا وَالْأَرْضُ فِي عَرَسِ الزَّمَانِ وَعَعِيدِهِ
 نَدَبَتْ فَشَقَّ لَهَا الشَّقِيقُ جِيوبَهُ وَأَزْرَقَ سَوَسْنَهَا^(١) لِلطَّمِّ خَدُودَهُ
 وَالغَيْمُ يَحْكِي الْمَاءَ فِي جَرِيَانِهِ وَالْمَاءُ يَحْكِي الْغَيْمَ فِي تَجَعِيدِهِ
 فَأَبْكُرُ إِلَى رَوْضِ أَنْبِيِ ظِلُّهُ فَالْعَيْشُ بَيْنَ بَسِيطِهِ وَمَدِيدِهِ
 وَمَنْ قَصِيدَةَ لِلسَّيِّخِ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ الْبَرِيدِ فِي وَصْفِ
 دَارِ بَنَاهَا الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ
 دَارٌ عَلَى الْعِزِّ وَالتَّأْيِيدِ مَبْنَاهَا وَلِلْمَكَارِمِ وَالْعُلْيَاءِ مَغْنَاهَا
 فَالْيَمْنُ أَصْبَحَ مَقْرُونًا بِيَمْنَاهَا وَالْيُسْرُ أَصْبَحَ مَقْرُونًا بِيُسْرَاهَا
 مِنْ فَوْقِهَا شَرَفَاتٌ^(٢) طَالَ أَدْنَاهَا يَدَ الثَّرِيَاءِ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَقْصَاهَا
 أَنْظُرُ إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ مُذَهَبَةً كَأَنَّهَا الشَّمْسُ أَعْطَتْهَا حَيَاهَا
 فَالرَّبْعُ بِالْعَجْدِ لَا بِالصَّخْنِ^(٣) مَتَسَعٌ
 وَالْبَهُوُ^(٤) لَا بِالْحَلِيِّ بَلْ بِالْعَلَا بَاهِي
 لَمَّا بَنَى النَّاسُ فِي دُنْيَاكَ دُورَهُمْ بَنَيْتَ فِي دَارِكَ الْغُرَاءِ دُنْيَاهَا
 فَلَوْ رَضَيْتَ مَكَانَ الْبُسْطِ أَعَيْنَا لَمْ تَبْقَ عَيْنٌ لَنَا إِلَّا فَرَشْنَاهَا

(١) زنيقها (٢) شرفات البناء مثلثات تبنى متقاربة في اعلى القصر او

السور (٣) صحن الدار وسطها (٤) البهو البيت المقدم امام البيوت

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْخُوَارَزْمِيُّ فِي وَصْفِهَا

أَكُلُ بِنَاءً أَنْتَ بَأْنِيهِ مُعْجِزٌ
 بَنَيْتَ الْمَعَالِي أُمَّ بَنَيْتَ الْمَنَازِلَا
 فَلَا الْإِنْسُ تَبْنِي مِثْلَهُنَّ مَعَالِمًا
 وَلَا الْجِنُّ تَبْنِي مِثْلَهُنَّ مَعَاقِلَا
 كِنَائِسُ أَضْحَتْ لِلْغَمِّ عَامِمًا
 عَلُوا وَأَمْسَتْ فِي الظَّلَامِ قَنَادِلَا
 وَصَحْنٌ يَسِيرُ الطَّرْفُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ
 لِيَقْطَعَهُ بِالسَّيْرِ إِلَّا مَرَّاحِلَا
 تَلُوخٌ نُقُوشُ الْجِصِّ^(١) فِي جُدْرَانِهِ
 كَأَزِينِ الْوَشْمِ^(٢) الدَّقِيقُ الْأَنَامِلَا
 وَمَاءٌ إِذَا أَبْصَرْتَ مِنْهُ صَفَاءُهُ
 حَسِبْتَ نُجُومَ اللَّيْلِ ذَابَتْ سَوَائِلَا
 رَأَيْتُ سَيْوْفًا قَدْ لَنَ عَلَى الثَّرَى
 وَصَارَتْ لَهَا أَيْدِي الرِّيحِ صَيَاقِلَا
 إِذَا مَا أُنْتَحَاهَا الرِّكْبُ لَمْ يَطْلُبُوا
 إِلَيْهَا دَلِيلًا غَيْرَ مَنْ كَانَ قَافِلَا
 وَأَنْتَ أَمْرٌ وَأَعْطَيْتَ مَا لَوْ سَأَلْتَهُ
 إِلَهَكَ قَالَ النَّاسُ أُسْرِفْتَ سَائِلَا

ومن قصيدة للشيخ نجيب الحداد في وصف القمر

إِذَا مَلَيْتُ مِنَ الْبَدْرِ الْعِيُونَ
 وَهَاجَتْ مِنْهُ أَوْ سَكَنْتَ جَفُونَ
 رَأَيْتَ بَدَائِعَ الْأَفْسَالِكِ تَجَلَّى
 بِمَا يَجْلُو بِهِ اللَّهُمَّ الْعَزِيزُ
 فَكَمْ بَسَمَتْ لِمَرَّاهُ ثُغُورُهُ
 وَكَمْ سَأَلَتْ لِمَرَّاهُ شُؤُونُهُ^(٣)
 وَكَمْ ذَكَرَ الْحُبُّ بِهِ حَبِيبًا
 وَكَمْ نَسِيَ الْخَدِينُ^(٤) بِهِ خَدِينُ

(١) الجص ما يعمل من مطبوخه حجارة (٢) الوشم غرز الابرة في البدن

(٣) جمع شأن وهو مجرى الدمع الى العين (٤) الصاحب والصدوق

وَكَمْ نَظَرَ الْمَشُوقُ^(١) بِهِ جَالًا وَأَبْصَرَ وَجْهَ دِرْهَمِهِ الضَّئِينِ
 وَكَمْ شَكَتِ الْعَيُونُ إِلَيْهِ وَجَدًا إِلَى أَنْ أَصْبَحَتْ شَكَرَى^(٢) الْعَيُونِ
 تُحَدِّقُ فِيهِ لَمْ تُطْرَفْ^(٣) بِجَفْنٍ كَأَنَّ الْعَيْنَ لَيْسَ لَهَا جُفُونُ
 وَتَصْنُرُ النُّجُومُ إِذَا تَجَلَّى كَمَا يَصْفَرُ مِنْ حَسَدِ جَبِينُ
 يَسِيرُ فَتَخْتَفِي مِنْ جَانِبِيهِ نَوَافِرٌ وَهُوَ مُجْتَازُ رَزِينُ
 كَمَا ظَلَعَ الْمَلِيكَ عَلَيْهِ تَاجٌ فَأَطْرَقَتِ الْوُجُوهُ لَهُ تَدِينُ
 كَأَنَّ كَوَاكِبَ الْأَفْلَاقِ دُرٌّ تَجَلَّى بَيْنَهَا حَجَرٌ ثَمِينُ
 وَقَاكَ اللَّهُ كَمْ تُفْنِي قُرُونًا وَلَا تُفْنِي مِحْيَاكَ الْقُرُونُ
 وَكَمْ تُحْيِي الظُّلَامَ وَأَنْتَ مَيِّتٌ وَكَمْ تَعْلُو النُّجُومَ وَأَنْتَ دُونَُ
 حَوَيْتَ عَجَائِبًا فَدَعَاكَ قَوْمٌ إِلَهَا حُبَّهُ فِي النَّاسِ دِينُ
 كَأَنَّكَ فِي هِلَالِكَ نَصْلُ سَيْفٍ أَجَادَتِ صَقْلَ صَفْحَتَيْهِ الْقَيُونُ^(٤)
 نَرَى فِيكَ الْبَدَاءَةَ كَيْفَ كَانَتْ قَدِيمًا وَالْفَنَاءَ مَتَى يَكُونُ
 وَهَلْ يَبْقَى الْوُجُودُ بِإِلَاءِ فَنَاءٍ وَهَلْ تَعْفُو عَنِ الشَّهْبِ الْمُنُونُ
 كَوَائِنُ لَيْسَ يَدْرِي السِّرَّ مِنْهَا سِوَى مَنْ أَمْرُهُ كَافٌ وَنُونُ

(١) المشوق الذي يحمله شيء على الشوق (٢) العين الشكرى الملاى

من اللمع (٣) لم تطبق (٤) جمع القين وهو الحداد

الباب التاسع

في اللغة

مقتطف من نبعة الراءد وشرة الوارد

للرحوم الشيخ ابرهيم اليازجي

✽ في الخلق ✽

يُقَالُ : صَاغَ اللهُ فُلَانًا صِيغَةً حَسَنَةً . وَخَلَقَهُ خَلْقًا سَوِيًّا .
 وَأَفْرَغَهُ فِي قَالِبِ الْكَمَالِ . وَخَلَقَهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ . وَكَوَّنَهُ
 مِنْ أَجْمَلِ النَّاسِ صُورَةً . وَأَكْمَلَهُمْ خَلْقَةً . وَأَنْقَمَهُمْ شَكْلًا .
 وَالطَّفِيمَ نَشَأَةً . وَأَعَدَّهُمْ تَكْوِينًا . وَأَكْرَمَهُمْ طِينَةً . وَأَسْلَمَهُمْ
 فِطْرَةً . وَأَشَدَّهُمْ بِنِيَّةً . وَأَقْوَاهُمْ جِبِلَّةً .
 وَتَقُولُ : طُبِعَ فُلَانٌ عَلَى الْكَرَمِ . وَجُبِلَ عَلَى الْأَرِيحِيَّةِ .
 وَطُويَ عَلَى الشَّرِّ . وَبُنِيَ عَلَى الْحِرْصِ

✽ في حسن المنظر وفضله ✽

يُقَالُ : فُلَانٌ جَمِيلُ الْخَلْقِ . وَضِيءُ الطَّلَعِ . صَبِيحُ الْوَجْهِ .
 أَعْرُ الطَّلَعِ . وَضَاحُ الْحَيَا . حَسَنُ الْمَلَامِحِ . مُفْرِطُ الْجَمَالِ .

سَوِيُّ الْخُلُقِ . أَهَيْفُ الْقَدْرِ . مُعْتَدِلُ الْأَعْضَاءِ . حَسَنُ النَّقْطِيعِ .
 وَقَدْ وَسِمَ بِمِيسَمِ الْحُسْنِ . وَتَرَقَّرَقَ فِي وَجْهِهِ مَاءُ الْجَمَالِ .
 وَلَا حَتَّ عَلَيْهِ دِيبَاجَةُ الْحُسْنِ
 وَإِنَّهُ ذُو حُسْنٍ بَارِعٍ وَجَمَالٍ رَائِعٍ . وَرَوْنَقٍ مُعْجِبٍ .
 وَبَهَاءٍ مُؤْنَقٍ

وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : هُوَ دَمِيمُ الْخِلْقَةِ . كَرِيهُهُ الطَّلَعَةِ . سَيِّئُ
 الْمَنْظَرِ . قَبِيحُ الْمَلَامِحِ . وَإِنَّهُ لَتَتَّبِعُ عَنْ مَنْظَرِهِ الْأَحْدَاقُ .
 وَتَفْضُ عَنْ مَرَاتِهِ الْجُفُونُ . وَتَقْدَى بِهِ النُّوَاطِرُ .

❖ فِي الْأَطْوَارِ وَالْأَسْنَانِ ❖

نَقُولُ : قَدْ كَانَ ذَلِكَ فِي صِبَابِهِ . وَفِي صَدْرِ أَيَّامِهِ . وَأَوَّلِ
 نَشَاتِهِ . وَحَدَاثَةِ سِنِّهِ

وَنَقُولُ : تَرَعَّرَعَ الصَّبِيُّ . وَنَاهَزَ الْإِدْرَاكَ . وَجَاوَزَ حَدَّ
 الصِّغْرِ . وَبَلَغَ سِنَّ الرُّشْدِ . وَقَدْ بَلَغَ أَشَدَّهُ

وَنَقُولُ : فَلَانٌ فِي شَرْخِ شَبَابِيَّتِهِ . وَمُقْتَبِلِ الشَّبَابِ . وَعَنْفَوَانِهِ
 وَرَيْعَانِهِ . وَنَضَارَتِهِ . وَهُوَ فِي رَيْحِ الْعُمْرِ وَمَرَحِ الشَّبَابِ .
 وَإِنَّهُ لَيَخْتَالُ فِي بُرْدِ الشَّبَابِ . وَيَخْطُرُ فِي مَطَارِفِ الشَّبَابِ .

وَيَمِيسُ فِي رِداءِ الشَّبَابِ • وَقَدْ تَرَقَّرَقَ فِي عِطْفِيهِ ماءُ الشَّبَابِ
وَنَقُولُ: قَدْ كَبِرَ الرَّجُلُ وَأَسَنَّ • وَعَلَتْهُ كِبَرَةٌ • وَمَسَهُ
الْكِبَرُ • وَطَعَنَ فِي السِّنِّ

وَنَقُولُ: قَدْ عُمِرَ الرَّجُلُ وَمَدَّ لَهُ فِي الْعُمْرِ • وَفَسَحَ اللَّهُ
فِي مَدَّتِهِ • وَأَنْسَأَ فِي أَجَلِهِ

وَنَقُولُ: قَدْ نَقَضَى شَبَابُ الرَّجُلِ وَأَدْبَرَ • وَأَخْلَقَتْ جَدَّتُهُ
وَذَوَى عُدُّهُ • وَأَعْوَجَّتْ قَنَاتُهُ وَتَقَوَّسَتْ • وَأَخْنَى صَابَهُ •

وَتَضَبَّ مَعِينُ شَبَابِهِ • وَرَثَ بُرْدُ شَبَابِهِ • وَقَدْ بَرَى الدَّهْرُ
عَظْمَهُ • وَالآنَ عَرِيكَتُهُ • وَقَدْ تَنَاهَتْ بِهِ السِّنُّ وَطَوَى مَرَاجِلَ

الشَّبَابِ • وَبَلَغَ سَاحِلَ الْحَيَاةِ
وَقَدْ قَيَّدَهُ الْهَرَمُ • وَخَذَلَتْهُ قُوَّتُهُ • وَقَدْ عَلَاهُ الْمَشِيبُ

وَوَخَطَهُ • وَقَدْ شَابَتْ لِمَتُهُ • وَقَدْ تَلَفَعَ بِالْمَشِيبِ • وَأَشْتَعَلَ
رَأْسُهُ شَيْبًا • وَنَوَّرَ غُصْنُ شَبَابِهِ • وَأَقْمَرَ لَيْلُ شَبَابِهِ

❖ فِي الْحَوَاسِ وَأَفْعَالِهَا وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا ❖

نَقُولُ: هَذَا أَمْرٌ لَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُ • وَلَا تَتَنَاوَلُهُ الْمَشَاعِرُ •
وَلَا تَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَدَارِكُ • وَلَا يَنَالُهُ الْحِسُّ • وَلَا يَقَعُ تَحْتَ الْحِسِّ

وَلَا تَطَّلِعُ عَلَيْهِ الْخَوَاسِ . وَلَا يَتَمَثَّلُ لِعَالَمِ الْحِسِّ . وَلَا يَبْرُزُ
لِمَشْهَدِ الْخَوَاسِ . وَقَدْ غَابَ عَنِ مَشْهَدِ الْحِسِّ . وَغَابَ عَنِ
مَرْمَى الْمَدَارِكِ

وَتَقُولُ فَلَانَ شَدِيدُ الْحِسِّ . لَطِيفُ الْخَوَاسِ . صَادِقُ
الشُّعُورِ . دَقِيقُ الْإِدْرَاكِ
وَتَقُولُ : ضَعْفَ حِسِّهِ . وَتَعَطَّلَتْ حَاسَتُهُ . وَمَاتَ وَهُوَ
صَحِيحُ الْخَوَاسِ

❖ فِي الْبَصَرِ ❖

تَقُولُ : وَقَعَ عَلَى الشَّيْءِ بَصْرِي . وَأَخَذَتْهُ عَيْنِي . وَقَدْ
رَأَيْتُهُ رَأْيَ الْعَيْنِ . وَشَهِدْتُهُ شُهُودَ عَيَانٍ . وَهُوَ بِرَأْيِ مَنِّي وَمَنْظَرِ
وَتَقُولُ : سَرَّحْتُ فِيهِ نَظْرِي . وَأَجَلْتُ فِيهِ نَظْرِي .
وَأَدْرْتُ فِيهِ نَظْرِي . وَقَلَّبْتُ فِيهِ طَرْفِي . وَصَوَّبْتُ فِيهِ طَرْفِي
وَصَعَدْتُهُ . وَحَقَّقْتُ النَّظَرَ إِلَيْهِ . وَحَدَّقْتُ إِلَيْهِ بِبَصْرِي . وَنَظَرْتُ
إِلَيْهِ بِمَجَامِعِ عَيْنِي . وَدَقَّقْتُ فِيهِ النَّظَرَ . وَأَطَّلْتُ فِيهِ النَّظَرَ
وَأَنْعَمْتُ فِيهِ . وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرًا مَلِيًّا . وَتَعَهَّدْتُ بِنَظْرِي
وَتَقُولُ : نَكَسَ الرَّجُلُ بَصْرَهُ وَأَطْرَقَهُ وَغَضَّهُ وَأَغْضَاهُ

وَكَسْرُهُ وَخَفَضَهُ . وَقَدْ أَغْضَى عَنِ الشَّيْءِ وَغَضَّ طَرْفَهُ عَنْهُ .
 وَحَوْلَ بَصَرِهِ وَصَرْفَهُ وَقَصْرَهُ وَكَفَّهُ وَرَدَّهُ . وَأَعْرَضَ عَنْهُ
 بِطَرْفِهِ . وَمَالَ عَنْهُ بِنَظَرِهِ .

وَتَقُولُ : رَجُلٌ حَادُّ الْبَصَرِ . وَحَدِيدُ الطَّرْفِ . وَتَأْفِذُ
 الْبَصَرَ . وَهُوَ أَبْصَرُ مِنْ نَسْرٍ وَعُقَابٍ وَغُرَابٍ
 وَتَقُولُ : رَجُلٌ كَلِيلُ الْبَصَرِ . وَقَدْ كَلَّ بَصَرُهُ وَأَعْيَا

❖ فِي السَّمْعِ ❖

تَقُولُ : قَرَعَ الْخَبْرُ سَمْعِي . وَمَرَّ بِسَمْعِي . وَوَقَعَ فِي سَمَاعِي .
 وَبَلَغَ مَسَامِعِي

وَتَقُولُ : سَمِعْتُ لَهُ وَإِلَيْهِ . وَأَصْنَعْتُ لَهُ . وَأَرْعَيْتُهُ سَمْعِي .
 وَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ بِسَمْعِي . وَرَفَعْتُ لَهُ حِجَابَ سَمْعِي

وَتَقُولُ : تَسَمَّعَ فُلَانٌ إِلَى حَدِيثِ الْقَوْمِ . وَإِنَّهُ لَيَسْتَرِيقُ السَّمْعَ
 وَتَقُولُ : رَجُلٌ حَدِيدُ السَّمْعِ وَحَادُّهُ . وَهُوَ أَسْمَعُ مِنْ

فَرَسٍ . وَأَسْمَعُ مِنْ خُلْدٍ

وَتَقُولُ : ثَقُلَ سَمْعُهُ . وَفِي سَمْعِهِ وَأُذُنِهِ ثِقَلٌ . وَفِي

أُذُنِهِ وَقَرَّ . وَقَدْ وَقَرَّتْ أُذُنُهُ وَأَشْتَدَّ صَمَمُهُ

﴿ فِي الذَّوْقِ ﴾

نَقُولُ : طَعَامٌ خَبِيثٌ الطَّعْمِ وَكَرِيمَةٌ وَرَدِيئَةٌ . وَإِنَّهُ لَيَنْبُو
عَنْهُ الذَّوْقُ . وَتَنْقَبِضُ مِنْهُ النَّفْسُ . وَلَا يُسَيِّغُهُ الْخَلْقُ . وَلَا
يَسْتَمِرُّهُ الْجَوْفُ .

وَنَقُولُ : طَعَامٌ شَهِيءٌ الطَّعْمِ . وَلَذِيذٌ الْمَطْعَمِ . وَهُوَ أَحْلَى
مِنَ الشَّهْدِ . وَأَحْلَى مِنَ الضَّرْبِ .
وَنَقُولُ : طَعَامٌ أَمْرٌ مِنَ الصَّابِ وَالْحَنْظَلِ وَالْعَلَقَمِ . وَكَانَهُ
نَقِيعُ الْحَنْظَلِ .

﴿ فِي الشَّمِّ ﴾

نَقُولُ : تَنَشَقَّتْ الشَّيْءُ . وَإِنَّهُ لِحَادُ الرَّائِحَةِ . ذَكَرِي الْعَرَفِ
مِسْكِي الْأَرْجِ . عَنَبْرِي النَّفْسِ . عَبْرِي النَّسِيمِ . طَيِّبُ النَّكَةِ
وَنَقُولُ : أَرْجُ الطَّيِّبِ وَتَشْرُهُ وَشَذَاهُ وَرِيَاهُ وَنَفْحَتُهُ وَأَرْيَجُهُ

﴿ فِي اللَّمَسِ ﴾

نَقُولُ : شَيْءٌ هَشٌّ الْمَكْسِرِ . لَدُنَّ الْمُعْطِفِ لَيْنُ الْمَسِّ .
وَفِيهِ لَيْنٌ وَلِدُونَةٌ وَنَعُومَةٌ وَهَشَاشَةٌ .
وَنَقُولُ : عَوْدٌ خَوَّارٌ . وَغَصْنٌ رَطْبٌ وَرَطِيبٌ وَأَمْلَدٌ

وَأَمْلُودٌ • وَبَنَانٌ رَخِصٌ • وَوَسَادٌ وَطِيٌّ وَوَثِيرٌ وَدَمِثٌ
 وَتَقُولُ : شَيْءٌ صَلْبٌ وَصَلِيبٌ وَمَتِينٌ وَجَاسٍ • وَفِيهِ
 صَلَابَةٌ وَقَسَاوَةٌ وَشِدَّةٌ وَمَتَانَةٌ

وَيُقَالُ : شَيْءٌ أَمْلَسٌ : صَقِيلٌ • وَهُوَ صَقِيلُ الْمَتَنِ سَهْلٌ
 الْمَلْمَسِ • وَفِيهِ مَلَاَسَةٌ وَنَعُومَةٌ • وَهُوَ أَنْعَمُ مِنَ الدِّبَاجِ •
 وَأَصْقَلُ مِنَ صَفْحَةِ الْمِرَاةِ • وَهُوَ أَخْشَنُ مِنَ الْمِبْرَدِ

وَتَقُولُ : شَيْءٌ أَحْرٌ مِنْ الْجُمْرِ وَاللُّوْطِيسِ وَالرَّمْضَاءِ •
 وَأَحْرٌ مِنْ فُؤَادِ النَّاكِلِ • وَهُوَ أَبْرَدُ مِنَ الصَّقِيعِ
 وَيُقَالُ : يَوْمٌ قَرٌّ وَقَارِسٌ • وَقَدْ قَرَسَ الْبَرْدُ • وَأَقْشَعَرَّ

الرَّجُلُ مِنَ الْبَرْدِ • وَأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ الْبَرْدِ • وَبَاتَ يُرْعَدُ مِنَ
 الْبَرْدِ وَيُرْتَعِدُ وَيُرْتَعِشُ وَيُرْتَجِفُ وَيَنْتَفِضُ • وَقَرَسَ الْبَرْدُ
 أَصَابِعَهُ إِذَا أَبْسَهَا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ

وَتَقُولُ : قَرَّ الْحَرُّ وَسَكَنَ وَأَنْكَسَرَ • وَقَدْ سَكَنَتْ فُورَتُهُ
 وَأَنْكَسَرَتْ حِدَّتُهُ • وَقَرَّ أُوَارُهُ

وَتَقُولُ : شَيْءٌ رَطْبٌ وَنَدِيٌّ • وَأَصْبَحَ الرَّوْضُ خَضِيلاً بِالْنَدَى
 وَمُكَلَّلًا بِالْحَبَابِ • وَقَدْ سَالَ عَلَيْهِ رُضَابُ النَّدَى

وَيُقَالُ : رَشَّحَ الرَّجُلُ إِذَا عَرِقَ . وَتَحَلَّبَ الْعَرَقُ مِنْ
 جِلْدِهِ . وَإِنَّهُ لَيَنْضَحُ بِالْعَرَقِ وَيَتَحَلَّبُ عَرَقًا وَيَتَصَبَّبُ عَرَقًا
 وَتَقُولُ : جَفَّ الشَّيْءُ . وَذَهَبَتْ رُطُوبَتُهُ . وَبِهِ جَفَافٌ
 وَيُسُّ وَيُوسَّةٌ . وَقَدْ نَشَّ الْغَدِيرُ . وَنَضَبَ الْمَاءُ وَغَارَ وَغَاضَ .
 وَقَدْ غَاضَ الدَّمْعُ . وَنَزَفَتْ عَهْرَتُهُ
 وَتَقُولُ : ذَوَى الْعُودُ وَذَبِلَ . وَأَذْوَاهُ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ وَأَذْبَلَهُ

❖ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَلُؤْمِهَا ❖

تَقُولُ : فُلَانٌ نَبِيلٌ النَّفْسِ . حُرٌّ الْخِلَالِ . مَحْمُودُ الشَّمَائِلِ
 أَرْيَجِي الطَّبَاعِ . شَرِيفُ الْمَسَاعِي . أَغْرُ الْمَكَارِمِ .
 وَإِنَّهُ لَيَمَنَّ تَوَسَّمُ فِيهِ مَخَائِلُ الْكَرَمِ . وَيُقْرَأُ فِي أَسِيرَتِهِ
 عُنْوَانُ الْكَرَمِ . وَيَقْطَرُ مِنْ شَمَائِلِهِ مَاءُ الْكَرَمِ . وَيَفُوحُ
 مِنْ خَلَاتِقِهِ عَرْفُ الْكَرَمِ .

وَيُقَالُ : خَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ طِينَةِ الْكَرَمِ . وَصَاغَهُ مِنْ مَعْدِنِ
 الْمَرْوَةِ . وَأَنْبَتَهُ مِنْ أَرْوَمَةِ الْحُرِّيَّةِ . وَجَمَعَ فِيهِ خِلَالَ
 الْفُتُوَّةِ . وَهُوَ رَيْبُ الْكَرَمِ . وَخِلَاصَةُ الْحُسْبِ . وَإِنِّي لَمْ
 أَرَأْ كَرَمًا مِنْهُ أَخْلَاقًا . وَلَا أَنْبَلَ فِطْرَةً . وَلَا أَطِيبَ عُنْصُرًا

وَلَا أَخْلَصَ جَوْهَرًا . كَانَ أَخْلَاقَهُ سَكَتَ مِنَ الذَّهَبِ الْمُصَفَّى
 وَتَقُولُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : هُوَ خَسِيسُ النَّفْسِ . صَغِيرُ الرِّهَةِ .
 سَافِلُ الطَّبَعِ . لَيْئِمُ الْحَسَبِ . رَضِيعُ اللَّؤْمِ . وَقَدْ تَبَرَّاتُ مِنْهُ
 الْمُرُوءَةُ . وَسَدَّتْ عَلَيْهِ طُرُقُ الْكَرَمِ . وَإِنَّا فَعَلْنَا ذَلِكَ بِلُؤْمِهِ
 وَخِسَّتِهِ وَسَفَالَتِهِ وَتَذَالَّتِهِ وَوَعَادَتِهِ . وَقَدْ غُذِيَ اللَّؤْمُ فِي
 اللَّبَنِ . وَدَبَّ فِي اللَّؤْمِ وَشَبَّ

✽ فِي الْجُودِ وَالْجَلِّ ✽

تَقُولُ : فَلَانُ أَرْجِي جَوَادَ مِعْطَاءِ . طَلَقُ الْيَدَيْنِ . سَمَحُ
 الْكَفَيْنِ . نَدِيُّ الرَّاحَةِ . رَحْبُ الصَّدْرِ . رَحْبُ الْبَاعِ . بَسِيطُ
 الْكَفِّ . رَحْبُ الذِّرَاعِ . كَثِيرُ الْعُرْفِ . كَثِيرُ النَّوَالِ .
 جَزَلُ الْعَطَاءِ . كَثِيرُ الْأَيْدِي . غَزِيرُ الْفَوَاضِلِ . جَزِيلُ
 الْعَوَارِفِ . كَثِيرُ التَّبَرُّعِ . جَمُّ الْمَبْرَاتِ . جَزِيلُ الصَّلَاتِ .
 سَنِي الْمَوَاهِبِ . فَيَاضُ اللَّهِ . كَرِيمُ الْمَهْرَةِ
 وَتَقُولُ : إِنَّهُ لِيَرْتَاخُ لِلنَّدَى . وَيَخْفُ لِلْمَعْرُوفِ . وَيَهْتَرُ
 لِلْعَطَاءِ . وَقَدْ أَخَذَتْهُ أَرْجِيَةُ الْكَرَمِ . وَمَلَكَتْهُ هِرَّةُ الْأَرْجِيَةِ
 وَمَا رَأَيْتُ أُسْحَى مِنْهُ يَدًا . وَلَا أُنْدَى بِنَانًا . وَلَا أَطُولَ يَدًا

بِعَرُوفٍ وَلَا أَبْطَ كَفًّا بِنَائِلٍ
 وَتَقُولُ : فُلَانٌ وَادِي النَّدَى وَنَجْمَةُ الْمَكَارِمِ . وَبِحَرْ
 الدَّوَالِ . وَغَيْثُ الْمَعْرُوفِ . وَقَدْ بَسَطَ عِنَانَ الْمَكَارِمِ .
 وَإِنَّهُ لَمِنْ قَوْمِ سَنَوِ النَّاسِ الْكِرَامِ وَفَجَّرُوا نَابِيعَ النَّدَى .
 وَالْيَهُمُ تَنْهِي السَّاحَةِ . وَبِهِمْ يُقْتَدَى فِي الْبَدَلِ
 وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : إِنَّهُ لَيْمٌ الْمَهْرَةَ . جَامِدٌ الْكَفِّ .
 ضَيْقُ الصَّدْرِ . لَا يَشْمِرُ شَجْرُهُ . وَلَا تَدَى صَفَاتُهُ . وَلَا يَهْتَدِ
 لِمَعْرُوفٍ . وَلَا يَنْقَعُ غَلَّةَ ظِمَانٍ

✽ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْجَبَنِ ✽

يُقَالُ : فُلَانٌ تَبَتُ الْجَنَانِ . جَرِيءُ الصَّدْرِ . رَابِطُ الْجَأَشِ
 قَوِيَّةٌ . صَادِقُ الْبَأْسِ . لَوْهُوٌ مِنْ ذَوِي الْبَسَالَةِ وَالشَّدَةِ وَالْبَأْسِ
 وَالْإِقْدَامِ وَالْحَمَاسَةِ وَالْجُرْأَةِ وَالصَّرَامَةِ وَالنَّجْدَةِ .
 وَهُوَ مِعْوَارُ فَتَاكَ . وَهُوَ ابْنُ كَرِيهَةٍ وَخَوَاضُ غَمَرَاتٍ . وَهُوَ
 لَيْثٌ عَرَبِيَّةٌ . وَهُوَ مِنْ أَسْوَدِ الشَّرَى . وَبَنُو فُلَانٍ أَسْوَدُ
 الْوَقَائِعِ وَحِمَاةُ الْحَقَائِقِ وَسُقَاةُ الْحُتُوفِ وَأَبَاةُ الذُّلِّ
 وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : هُوَ فَشَلٌ هَيَّابٌ رِعْدِيدٌ خَوَّارٌ .

وَإِنَّهُ لَمَخْجُوبُ الْقَلْبِ . مَخْلُوعُ الْفُؤَادِ وَهِيَ الْجَأَشُ
 وَنَقُولُ : قَدْ وَرَدَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَوْلِ مَا خَلَعَ قَلْبَهُ . وَهَزَمَ
 فُؤَادَهُ . وَزَالَزَلَ أَقْدَامَهُ . وَكَسَرَ بِأَسُهُ . وَفَلَ غَرْبَهُ . وَتَلَمَّ حَدَّهُ .
 وَفَتَّ فِي سَاعِدِهِ . وَأَوْهَنَ سَاعِدَهُ
 وَنَقُولُ : قَدْ جَرَّأْتَهُ . وَشَحَذْتَ عَزْمَهُ . وَأَرْهَفْتَ بِأَسِهِ .
 وَقَوَّيْتُ جَأَشَهُ

❖ فِي الْأَنْفِ وَالْإِسْتِكَانَةِ ❖

نَقُولُ : فُلَانٌ أَنْوْفٌ حَمِيٌّ . شَرِيفٌ الطَّبَعِ . عَالِي الْهِمَّةِ .
 أَشْمُ الْأَنْفِ . أَبِي الضَّمِّ . لَا يَغْنُو لِقَهْرٍ . وَلَا يَطْمَأِنُّ إِلَى
 غَضَاضَةٍ . وَلَا يَصْبِرُ عَلَى خَسْفٍ . وَلَا يُقِيمُ عَلَى مَذَلَّةٍ . وَلَا
 يَلِينُ جَنْبَهُ لِجَادِثٍ . وَلَا يُرِي مِنْ نَفْسِهِ الْإِسْتِكَانَةَ . وَلَا
 يَلْبَسُ مَلَابِسَ الْهُوَانِ . وَهُوَ مِنْ قَوْمِ أُبَاةٍ شَمِّ الْأَنْوْفِ .
 شَمِّ الْمَعَاطِسِ

وَنَقُولُ : أَخَذَتْهُ لِذَلِكَ الْأَمْرِ حَمِيَّةٌ وَأَنْفَةٌ وَإِيَابَةٌ وَنُخْوَةٌ .
 وَقَدْ ثَارَتْ بِهِ الْحَمِيَّةُ . وَعَصَفَتْ فِي رَأْسِهِ النُّخْوَةُ . وَمَلَكَتُهُ
 عِزَّةُ النَّفْسِ . وَإِنَّهُ لَيَرَبًّا بِنَفْسِهِ عَنْ مَوَاطِنِ الذُّلِّ . وَيَتَجَانَفِي

بِهَا عَنْ مَطَارِحِ الْهَوَانِ . وَيَنْزَعُ بِهَا عَنْ مَوَاقِفِ الضَّرَاعَةِ .
وَيَصُونُهَا عَنْ مَعَرَّةِ الْأَمْتِهَانِ . وَهُوَ يَتَرَفَّعُ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ
وَيَتَنَزَّرُهُ

وَتَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : هُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَمِهَانَةِ وَالذَّلَّةِ
وَالضَّرَاعَةِ وَالصَّغَارِ وَالضُّعَّةِ وَالْهَوَانِ وَالْإِبْتِدَالِ . وَمَنْ يُسَامُ
الذَّلَّ وَيَرْضَى بِالْحُسْفِ . وَيَقْرُ عَلَى الضَّمِّ . وَيُغْضِي عَلَى الْقَدَى
وَمَنْ لَا يُبَالِي بِالصَّغَارِ . وَلَا تُؤْلِمُهُ الْغَضَاضَةُ وَلَا يَمْضُهُ الْهَوَانُ .
وَلَا يَنْبِضُ فِيهِ لِلْحَمِيَّةِ عِرْقٌ . وَلَا تَأْخُذُهُ أَنْفَةٌ وَلَا عِزَّةُ نَفْسٍ
وَإِنَّهُ دَنِيءٌ الطَّبَعِ صَغِيرُ الْهِمَّةِ مَهِينُ النَّفْسِ ضَارِعُ الْحَدِّ .
وَقَدْ ذَلَّ وَصَغُرَ وَتَصَاغَرَ وَتَحَاقَرَ وَتَضَاعَلَ وَضَرَعَ وَأَسْتَكَانَ .
وَأَسْتَسَلَّمَ لِلْأَمْتِهَانِ . وَأَسْتَنَامَ لِلضُّعَّةِ . وَتَطَامَنَ لِلصَّغَارِ . وَأَلْفَ
مَضَاجِعِ الذَّلَّةِ . وَضَرِبَتْ عَلَيْهِ الذَّلَّةُ . وَحَمِلَ عَلَى الْحُسْفِ

✽ فِي الْكِبَرِ وَالتَّوَاضِعِ ✽

يُقَالُ : زُهِيَ الرَّجُلُ . وَزَهَاهُ الْكِبَرُ . وَذَهَبَ بِهِ إِلَيْهِ .
وَذَهَبَ بِنَفْسِهِ مَذْهَبَ الْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ . وَأَقْبَلَ بِمِخْتَالِ تَيْهًا
وَيَخْطُرُ عَجْبًا وَيَمِيسُ اخْتِيَالًا وَيَتَبَخَّرُ زَهْوًا وَيَجْرُ أذْيَالَهُ كِبْرًا .

وَيَسْحَبُ أَذْيَالَ الْعُجْبِ . وَقَدْ اُلْتَحَفَ بِجِلْبَابِ الْكَبِيرِ
 وَنَقُولُ مِنْ بَابِ الْكِنَايَةِ : صَعَرَ الرَّجُلُ خَدَّهُ . وَشَمَخَ
 بِأَنْفِهِ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ كِبْرًا . وَثَنَى عِطْفَهُ
 وَنَقُولُ : قَدْ تَعَدَّى الرَّجُلُ حَدَّهُ وَجَاوَزَ قَدْرَهُ وَعَدَا طَوْرَهُ
 وَأَسْتَطَالَ عِجْبًا وَتَرَفَعَ كِبْرًا . وَهُوَ أَزْهَى مِنْ دِيكَ
 وَنَقُولُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : هُوَ مُتَطَامِنُ الْجَانِبِ خَافِضُ
 الْجَنَاحِ . مُتَجَافٍ عَنِ مَقَاعِدِ الْكَبِيرِ . نَاءٌ عَنِ مَذَاهِبِ الْعُجْبِ .
 لَا يَثْنِي أَعْطَافَهُ الرَّهْوُ . وَلَا يَتَهَادَى بَيْنَ أَذْيَالِ التَّيِّهِ
 وَنَقُولُ : قَدْ أَقْلَعَ الرَّجُلُ عَنِ كِبْرِهِ وَأَنْخَفَضَ جَنَاحَ عِجْبِهِ
 وَأَلْقَى رِدَاءَ الْكَبِيرِ عَنِ مَنْكِبِيهِ

* فِي سَهْوَةِ الْخَلْقِ وَتَوَعُّرِهِ *

يُقَالُ : فَلَانٌ سَهْلٌ الْأَخْلَاقِ . سَلِسٌ الطَّبَاعِ . لَيِّنٌ
 الْعَرِيكَةِ . دَمِثُ الطَّبَعِ . لَيِّنُ الْجَانِبِ . رَضِي الْأَخْلَاقِ سَهْلُ
 الْجَانِبِ . سَلِسُ الْقِيَادِ
 وَإِنَّهُ لِيَأْخُذُ الْأُمُورَ بِالْمَلَايِنَةِ وَالْمِيَّاسِرَةِ وَالْمَسَامِحَةِ
 وَإِنَّ أَخْلَاقَهُ أَسْلَسُ مِنَ الْمَاءِ . وَأَلَيِّنُ مِنَ أَعْطَافِ النِّسِيمِ

وَقَوْلٌ فِي ضِدِّهِ : هُوَ شَرِسٌ عَسِرٌ • سِيئُ الْخُلُقِ •
 ضَيِّقُ الْخُلُقِ • صَعْبُ الْأَخْلَاقِ فَظُّ الْأَخْلَاقِ • جَانِي الطَّبَعِ •
 خَشِنُ الْمِرَاسِ • صَعْبُ الْعَرِيكَةِ • رِيضُ الْخُلُقِ • صَعْبُ الْمَقَادَةِ •
 شَدِيدُ الشُّكِيمَةِ • شَدِيدُ التَّصَلُّبِ • وَهُوَ فِي مَنْتَهَى الشَّرَاسَةِ
 وَالشُّكَاسَةِ وَالْفَخَاطَةِ وَالْجَفَاءِ وَالْخَشُونَةِ وَالْغِلَاطَةِ
 وَإِنَّهُ لِيَتَشَدَّدُ فِي الْأُمُورِ وَيَتَصَلَّبُ وَيَتَصَعَّبُ وَيَتَعَقَّدُ
 وَيَتَعَنَّتُ وَيَتَعَسَّرُ وَيَتَوَعَّرُ

﴿ فِي الْحِلْمِ وَالسَّفَةِ ﴾

يُقَالُ : فَلَانٌ حَلِيمٌ الطَّبَعِ • وَاسِعُ الْخُلُقِ • رَحْبُ الصَّدْرِ
 وَاسِعُ الْأَنَاءِ • بَعِيدُ الْأَنَاءِ • رَاجِحُ الْحِلْمِ • خَافِضُ الْجَنَاحِ •
 وَمَعَهُ حِلْمٌ وَوَقَارٌ وَسَكِينَةٌ وَرَجَاحَةٌ وَرَزَانَةٌ وَرَصَانَةٌ
 وَرِفْقٌ وَدَعَةٌ وَحَصَافَةٌ وَتَوَدُّدَةٌ وَأَنَاءٌ
 وَقَوْلٌ : هُوَ بَعِيدُ غَوْرِ الْحِلْمِ • طَوِيلُ حَبْلِ الْأَنَاءِ •
 وَاسِعٌ فَسْحَةً الصَّبْرِ
 وَإِنَّهُ لَا يَسْتَفْرِهُ نَزَقٌ • وَلَا يَسْتَخْفَهُ غَضَبٌ • وَهُوَ الطُّودُ
 لَا تُثْقَلِيهِ الْعَوَاصِفُ • وَالْبَجْرُ لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالَةُ

وَتَقُولُ : قَدْ تَعَمَّدَ جَهْلٌ فَلَانَ بِحِلْمِهِ . وَتَلْقَى هَمُونََهُ بِطُولِ
 أَنَاتِهِ . وَأَحْتَمَلَ جِنَايَتَهُ بِسَمَةِ صَدْرِهِ . وَبَسَطَ عَلَى إِسَاءَتِهِ
 جَنَاحَ عَفْوِهِ

وَيُقَالُ فِي خِلَافِ ذَلِكَ : إِنَّهُ لَنَزِقُ الطَّبَعِ . قَصِيرُ الْإِنَاتَةِ .
 وَإِنْ فِيهِ لَسَفَهَا وَنَزَقَا . وَقَدْ خَفَّ حِلْمُهُ وَطَاشَ
 وَتَقُولُ : هَمَدَ الرَّجُلُ بَعْدَ نَزَقِهِ وَتَحَلَّمَ . وَهَجَمَتْ قُورَتُهُ

✽ فِي الطَّلَاقِ وَالْعَبُوسِ ✽

يُقَالُ : فَلَانٌ طَلِيقُ الْوَجْهِ . طَلَقُ الْمَحْيَا . بَشُوشُ الطَّلَعَةِ .
 وَضَاحُ الْمَحْيَا . بِاسْمِ الثَّغْرِ . أَنَيْسُ الطَّلَعَةِ
 وَإِنَّهُ طَيْبُ النَّفْسِ . فَكُهُ الْأَخْلَاقِ . يَتَأَلَّقُ فِي جَيْبِنِهِ ضَوْءُ
 الْبَشْرِ . وَيَتَرَقِّقُ فِي وَجْهِهِ مَاءَ الْبَشْرِ . وَيَطْفَحُ وَجْهُهُ بِشْرًا
 وَتَقُولُ : دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَبَشَّ بِي وَهَشَّ بِي وَأَبْسَطَ إِلَيَّ .
 وَلَقَيْتَنِي لِقَاءً جَمِيلًا . وَتَلَقَانِي بِوَجْهِهِ مُنْطَلِقِي وَمَحْيَا مُنْبَسِطِي وَصَدْرِي
 رَحْبِي . وَأَقْبَلَ عَلَيَّ بِبِشْرِهِ وَطَلَّاقَتِهِ وَهَشَّاشَتِهِ وَفَكَاهَتِهِ
 وَنَشَاطِهِ وَهَزَّتَهُ وَأَرْجَمَتِهِ

وَتَقُولُ : قَدْ تَهَلَّلَ وَجْهُهُ . وَتَبَلَّجَ جَيْبِنَهُ . وَأَسْفَرَتْ غُرَّتَهُ

وَأَشْرَقَتْ أَسْرَتُهُ . وَآمَعَتْ أَسَارِيرُهُ
وَتَقُولُ فِي ضِدِّهِ : فَلَانَ عَبُوسٌ قَطُوبٌ كَرِيهُ الْوَجْهِ
جَهْمٌ الْحَيَّاءُ

وَتَقُولُ : وَرَدَ عَلَيْهِ خَبْرٌ كَذَا فَأَنْقَبَضَ وَأَشْمَازَ وَتَكَرَّرَ
وَقَطَبَ وَجْهَهُ . وَقَدْ تَقَلَّصَ بَشْرُهُ . وَغَاضَتْ بَشَاشَتُهُ . وَدَخَلَتْ
عَلَيْهِ فَتَجَهَّمَنِي وَطَوَى بِسَاطِ أُنْسِهِ . وَلَمْ يُعِرْنِي ابْتِسَامَةً

✽ فِي الظَّرْفِ وَالسَّاجَةِ ✽

يُقَالُ : فَلَانٌ ذَكِي الْفُرَادِ . رَقِيقُ الشَّمَائِلِ . لَطِيفُ الرُّوحِ .
خَفِيفُ الظِّلِّ . حُلُوُّ المَعَاشِرَةِ . ظَرِيفُ المَحَاضِرَةِ . عَذْبُ
الأَخْلَاقِ . وَإِنَّهُ لَيَتَوَقَّدُ ذِكَاةً . وَيَكَادُ يَذُوبُ ظَرْفًا . وَيَكَادُ
يَسِيلُ الظَّرْفُ مِنَ اعْطَافِهِ وَيَعْصَرُ مِنْ شَأْمِهِ . وَيَكَادُ يَمَازِجُ
الأَرْوَاحَ لِرِقَّتِهِ . وَتَشْرِبُهُ النُّفُوسُ لِعَذُوبَةِ مَذَاقِهِ

وَتَقُولُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ ثَقِيلُ الرُّوحِ ثَقِيلُ الوَطْأَةِ كَثِيفُ
الظِّلِّ غَلِيظُ الطَّبَعِ . وَإِنَّهُ لَحَمِي الرُّوحِ وَأَذَى القَلْبِ وَقَدَسُ
العَيْنِ . وَهُوَ بَغِيضُ الهَيْئَةِ مَمْقُوتُ الطَّلَعَةِ . وَهُوَ أَثْقَلُ مَا يَكُونُ
إِذَا تَلَطَّفَ وَأَبْغَضُ مَا يَكُونُ إِذَا تَجَبَّبَ

﴿ في الذكاء والبلادة ﴾

نقول : فلان لودعي . المعني . أروع . حاد الذهن .
ومتوقده وصابيه . ذكي القلب . حديد الفؤاد والفهم . سريع
الفتنة والأدراك . يقظ الفؤاد . متلهب الذكاء

ونقول : إنه لآية من آيات الله في ذكاء الفهم وصفاء
النفس ولطافة الحس . وإني لم أر أسرع منه تناولاً
ونقول : فهمت هذا من عنوان كلامه . وتبينته من فحوى
كلامه . وأدركته من أول وهلة

ونقول في ضده : هو غبي أبله مغفل . ضعيف الإدراك .
بطي الحس . سقيم الفهم . بليد الفكر . غليظ الذهن . خامد
الفتنة . مظلم البصيرة . أعمى البصيرة . وفيه بلادة وغباوة
وإنه لسيئ السمع . لا يتنبه للحن ولا يفطن لمغزى .
ولا يكاد يعي قولاً . وإنه لتستعجم عليه المدارك الظاهرة

﴿ في الكيس والعمق وذكر الجنون والحرف ﴾

يقال : فلان أريب ليب كيس نبيل حصيف . وهو

مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ وَذَوِي الْأَحْلَامِ وَأُولِي الْأَبْصَارِ • وَمِنْ
ذَوِي الْعُقُولِ الثَّقَابَةِ وَالْأَذْهَانَ الصَّافِيَةِ • وَهُوَ يَرْجِعُ إِلَى

عَقْلٍ أَصِيلٍ وَتَبِّ رَصِينٍ وَقَلْبٍ وَاعٍ وَقَلْبٍ عَقُولٍ
وَهُوَ مِنْ أَكْمَلِ الرِّجَالِ عَقْلًا وَأَسَدِّهِمْ رَأْيًا • وَهُوَ

مِنْ أَكْيَاسِ قَوْمِهِ وَدُعَاهَتِهِمْ • وَإِنِّي لَمْ أَرَ أَغْزَرَ مِنْهُ عَقْلًا وَلَا
أَفْذَ بَصِيرَةً وَلَا أَوْسَعَ مَعْقُولًا وَلَا أَبْعَدَ مَدَارِكَ

وَيُقَالُ فِي ضِدِّ ذَلِكَ : هُوَ أَحْمَقُ أَخْرَقُ • سَخِيفُ الْعَقْلِ
ضَعِيفُ التَّمْيِيزِ • وَفِيهِ حُمَقٌ وَحِجَاقَةٌ وَخُرْقٌ وَرِقَاعَةٌ وَسَخَافَةٌ

وَيُقَالُ فِيمَا فَوْقَ ذَلِكَ : قَدْ اخْتَلَطَ عَقْلُ الرَّجُلِ وَأَخْتَلَّ
وَبِهِ اخْتِلَاطٌ وَجِنَةٌ وَخَبَلٌ وَخَبَالٌ وَدَخَلَ

وَتَقُولُ : عَرَاهُ شَيْءٌ مِنْ جُنُونٍ • وَقَدْ أُعْتَرَتْهُ الْوَسَاوِسُ •
وَقَدْ أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْجُنُونُ • وَتَارَ تَأَرَّ جُنُونِهِ • وَهَبَّتْ عَوَاصِفُ

جُنُونِهِ

وَتَقُولُ : قَدْ أَخْرَفَهُ الْهَرَمُ • وَرَأَيْتُهُ وَقَدْ طَفَيْتْ شُعْلَةُ
ذِهْنِهِ وَفَلَّتْ شِبَابَةُ عَقْلِهِ

الباب العاشر

في المقالات

✽ الجرائد ✽

للشيخ سعيد الخوري الشرتوني

ليس في الذرائع اللسانية ولا في الوسائل الكتابية شيء كالجرائد في احياء اللغة واصلاح العبارة واطلاق الفصحى من سجن الاغفال كما انه ليس اقدر منها على افساد الذوق واستعمال المستهجن . الا وان الجريدة خطيب اللغة الذي يتصل صوته الى اطراف العاصم ويتلقى معظم الناس كلامه بالتسليم فان كان اربابها ممن كاشفهم العلم الواسع والبحث الدقيق باسرار اللغة واعانتهم الفطرة الزكية على التصرف في المعاني ووجوه الكلام وكانوا ممن يدعون اللفظ فيجيب مطيعاً انشأوا الأدب والكتابة دولةً عزيزة السلطان ممتدة الاكناف تنشر لواءها في كل صقع من الارض بما تبث بين الناس من الفوائد وتجعلو عليهم من الدقائق وتجزئ كتابهم بالتنويه والذكر الحسن

ولكن اذا كان كتابها واهين عن الاضطلاع بها قاصرين عن اعطائها حقها من حسن البيان وتهذيب الكلام وموافقة الاحوال جنت على الادب والكتابة جنابة كبيرة وأرخت من تشويش عبارتها وهجنة لغتها على محيا البلاغة سجوقاً وعلى وجه الفصاحة سدولاً بحيث لا يمرّ طويل من الدهر حتى تزايل القلم اركان محاسنه وتسقط دعائم بلاغته وتصبح كأن لم يسبق بها عهد

على ان جرائدنا والحمد لله مع تفاوتها في اغراض الكتابة واختلافها في مراتب العبارة قد ايقظت الفصاحة من رقدتها واقامت البلاغة من ضجعتها بما نبهت الناس الى العناية بامر الانشاء وواجبت عليهم ان يأخذوا له حقائقه ويقدروه قدره . ومن اعاد النظر الى حالة القلم منذ ثلاثين سنة وقابلها بحالتها في يومنا هذا عرف ما أنجذت الجرائد ورأي ما جرّت من الفوائد وتبين ما فعلت هذه المنشورات في خلال عهد قصير لم تكن البلاد في اوائله مطيقةً اجتناء فوائدها ولا خليقة بان تذوق شهد عوائدها كما هي الى اليوم ولم يك ذلك الا عن قلة عداد الدارسين وخدمة العلم . واين حالها تلك مما تراه من حالها اليوم وقد تعددت المدارس وكثر سواد الطلاب وراجت سوق الاقلام حتى اوشك ان يكون في كل بيتٍ للعلم طالب وللبلادة عاشق وللجرائد متميم يتشوّفون الى تسريح النواظر في رياضها النواضر

ويرقبون ظهورها رِقبة هلال العيد ليتنسّموا أَرَجِ البلاغة عن ازهار
سطورها و يبرّدوا لاجع الشوق باستطلاع أنبأها واستنشآء أخبارها
ويغرسوا في النفوس سروغاً من فوائدها و يبسطوا شرك المطالعة
لطير معارفها

وقرآء الجرائد في بلادنا في زيادة سنة بعد سنة كالشجرة
الآخذة في النماء بزيادة من ينشأ فيها من الشبان المتعلمين خصوصاً
وقد عرفتهم الايام واثبت لدويهم الاختبار ان مطالعة الجرائد من
انفع الامور لهم اذ تقفهم على فصيح الكتابات وتعرفهم مناهج الانشآء
واساليب التعريب فضلاً عما تصونهم عن إضاعة اعز اوقاتهم فيما لا
يجنون منه فائدة ولا يحملون منه بطائل . وهذا من الدواعي الموجبة
على الجرائد نزاهة العبارة عما يوسوس في الصدور كما يحسن بها ان
توقظ الناس من الرقاد في دُجى عادات لهم ضائرة ومألوفات شائنة
بحيث تكون حامية الادب وسيف التهذيب فانها تُعرض على كل
عين وتذهب الى كل اين فيتناولها الغبيّ والذكيّ وتدخل حانوت
التاجر ودير الراهب وغرفة الشاب وحجّلة العذراء . ولا يخفى ان
الجرائد يتكرّر صدورها على ممرّ الايام فتؤثر في المطالع ما لا يؤثره
سواها من المطالعات فيترتب على هذا وجوب النظر فيما تؤثره بحيث
يكون حميد العاقبة جميل المغبة وهي الخطّة المتبعة عند اصحاب جرائدنا

وكتّابها الادباء وفقهم الله الى ما به حياة الادب وتهذيب الاخلاق
 هذا ومن المعلوم ان الجرائد هي البقية لآثارنا والمترجمة عن
 علومنا والمنبئة باخلاقنا والدالة على حضارتنا والمشيخة الى كل صفاتنا
 فهي بمنزلة تاريخ لجميع احوالنا ولهذا كانت جديرة بالمقام الاعلى من
 الاعتبار لان ما لا قدر له اليوم في اعياننا سيكون له شأن كبير عند
 اعقابنا يتعرفون منه احوالنا ويستطلعون شؤونا واحراها بذلك
 المجلات العلمية فانما هي الباقية في مستقبل الايام

ثم ان هذه المجلات اذا التفت اليها من حيث ما تتضمن من الفصول
 المهدبة والتقارير المدققة في كل علم من العلوم مما لا يتأتى لكثير من
 اهل الصناعة اكتشافه ولا يتسنى لدوي العلم ان يتوصلوا اليه بل مما
 عساه لم يخطر لاكثرهم توجيه الفكر اليه كانت خليفة بان تفضل
 على كثير من المؤلفات

ولا شك انه لم يزل في بعض العلوم دقائق لم تهتك الاقلام
 حجابها ولطائف لم تستشفها البصائر وعلى مسألة واحدة لا يؤلف
 كتاب ولكن ينشأ خطاب وليم في اعتقاد علمائنا ان ايضاح دقيقة
 واحدة من علم او كشف غامضة واحدة من فن اجدى واشرف من
 تأليف كتاب في العلوم التي لو جمع ما ألف فيها ونُضد بعضها فوق
 بعض لجاء عن مجموعهِ صرح شاخ

وقد كان نشر التقارير العلمية والمقالات الادبية والتاريخية قبل
نشأة الجرائد امراً معدوماً على غزارة نفعه وعزّة فائدته ومذ ظهرت
دعت كتاب البلاد واصحاب الذوق والعلم من كل اوب الى مشاركتها
في بث الفوائد بنشر ما يزحزح الستائر وينير البصائر من المقالات
والتقارير

ويتحصّل مما اهتمت به في الكلام على الجرائد انها بمكان من
الاعتبار من حيث اللغة والانشاء كما انها ذات مرتبة سنوية من حيث
تاريخ وتقرير الحوادث وانها من اكبر الادلة على التوغل في الحضارة
والبسطة في المعارف كما انها احسن قلادة تحلّى بها جيد هذا الزمان

وصايا صحية

للشيخ ابراهيم اليازجي

!

✽ الرياضة ✽

لكل عضو من اعضاء الجسد وظيفة خاصة به اذا استعمل فيها
قوي ونمي واذا أهمل انحط وذوى بل كثيراً ما يأول اهل وظيفة
العضو الى اضمحلاله فان الاسماك التي تعيش في مياه الكهوف
المستورة عن النور تفقد عيونها رأساً لانها لا تستعملها وبعض
الحيوانات المعروفة بالحلمية تفقد جهازها الهاضم لانها تغذي بالعصارات

التامة المهضم من الحيوانات التي تكون فيها فلا يلزمها استعمال الآلات
 الهاضمة منها ولذلك نلحظ قوة هذه الآلات بالتدرج الى ان تبطل من
 اصلها . وبعكس ذلك الاعضاء التي يد من استعمالها في وظائفها فانها
 تزيد على الاستعمال قوة كما يرى في الخلد مثلاً وهو الدوابة المعروفة
 فانه يكون شديد قوة السمع لسبب كثرة استعمال الاذن وكما يرى في
 الاعمى فانه يكون قويّ اللمس لتكرّر استعماله اليد في قضاء حاجاته
 وقس على ذلك كثيراً من الحالات مما لا يسعنا استيفاءه هنا
 الا ان الافراط في استعمال الاعضاء كثيراً ما يفضي الى حدوث
 خلل فيها وذلك يفضي بالضرورة الى حدوث تشوش في وظيفتها
 كالعين مثلاً فان الدرس المستطيل او التحديق المستمر يحدث فيها العلة
 المعروفة بالحسرة فتضعف بها العين عن تناول الاشباح البعيدة . والافراط في
 الطعام يفضي بالآلات الهاضمة الى الانتهاك والاعياء فتصير عرضة
 للسقم بحيث لا تعود صالحة بعد ذلك لقضاء ما يطلب منها من
 الاعمال الغذائية . وعليه فاهمال الرياضة والافراط فيها مع كونها
 على طرفي نقيض كثيراً ما تكون نتائجهما متشابهة ولذلك كان من
 اول شروط الرياضة ان تكون معتدلة بحيث لا تتجاوز الحد اللّازم
 لتوفر قوة الاعضاء ونماؤها

والرياضة تكون على وجوه مختلفة واحوال متنوعة وافضلها ما

كانت مباشرتها في الهواء النقي فيتنبه حينئذ القلب ويزداد توارد
 الدم الى الرئتين فيزداد عملها وتنبه الاعضاء المفرزة ويكثر دثور
 الانسجة بسبب سرعة التأكد ويسهل ايضاً دفع المبرزات الفضولية
 في الجسد فتنشط بذلك الاعضاء لقضاء وظائفها واذا كان سبب
 يعوق الدورة الدموية او علة مزمنة في بعض الاجزاء فكثيراً ما يزول
 ذلك السبب وتبرأ تلك العلة بمجرد الرياضة لما يحدث عنها من الافعال
 المشار اليها . وهي تفيد الناقهين من العلل على وجه خاص فتعين على
 سرعة البرء بل كثيراً ما تكون الرياضة هي العلاج الوحيد في بعض
 العلل وخصوصاً ما كان منها ناشئاً عن التواني والقعود . وغالب ما
 يكون ذلك في المترفهين واهل الترف والتنعم من القوا الراحة
 واسترسلوا الى الكسل كأنهم يخشون على اعضاءهم ان يهزلها الاستعمال
 وعلى مفاصلهم ان تبريها الحركة او يخافون على جلودهم ان تذوب اذا
 مسها العرق وعلى وجوههم ان تتخدش اذا باشرها النسيم او يرضون
 بما في اجسادهم من الفضول فيدخرونها في دمائهم وانما يدخرون سقماً
 ووصياً فتراهم شاحبي الوجوه ممتعي الالوان ضعاف الاعضاء مهزولي
 الابدان وربما ترهلت ابدانهم فسمنوا من كثرة النهم ثم قعدوا عن
 السعي فقعدت فيهم وظيفتا التمثيل والافراز فكان ذلك السمن سقماً
 على سقم

ولما كانت الرياضة على ما ذكرنا من الزوم في حفظ الصحة وتقوية الابدان جعلها كثيرون من الاقوام المتمدنين فناً مستقلاً يسمونه بالجنستيك وعمموا هذا الفن حتى في المدارس ترويضاً للاعضاء وتبنيها لوظائفها . الا ان استعمال هذه الحركات كثيراً ما يكون في مواضع غير صحيحة الهوائ فيفوت جانب كبير من الغرض المقصود بها ولذلك كان افضل الرياضة ما يوشرف في المواضع البعيدة عن مجامع الناس واقذار المدن ما امكن البعد عنها لان الهوائ يكون هناك نقياً صالحاً والافضاء اليها متى امكن على القدم خير من بلوغها على ظهور الخيل وان كان كل من الخالين ضرباً من الرياضة واذا كان المرء مسناً او عاجزاً فلا بأس من ركوب العجلات تخفيفاً من مشاق ركوب الخيل وقرع الساق

ولا يخفى ان الرياضة البدنية من الزم الامور المشتغلين بالعلوم والمسائل العقلية لان الدرس المستطيل والافراط من اعمال الفكر كثيراً ما يفضيان الى كلال الذهن ونبو الفكرة وربما احدثا صداعاً وآلاماً عصبية في الرأس قد تكون بالغة اقصى درجاتها فلا يتلافى ذلك كلة الا بالرياضة والخروج الى الاماكن النزيهة ترويحاً للفكر من مشاق الاعمال وتبنيها للاعضاء الى قضاء وظائفها الخاصة وتختلف مدة الرياضة مطلقاً باختلاف نوع العمل ودرجة مشقته

واكن المعدل الاوسط فيها ساعتان في النهار على الاقل
والرياضة الزم للاحداث منها غيرهم لان هذا الطور من العمر
هو طور النماء والاعضاء تكون حينئذ آخذة في النشوء والعمل فاذا
لم تتوفر لهم الرياضة اللازمة بطؤ نموهم واعثلت ابدانهم . يدلك على
ذلك انهم ابدًا يطلبون الملاعب ويميلون الى الملاهي طبعاً فلا طاقة لهم
على احتمال القعود والسكينة فاذا اكرهها عليها ومنعوا مما يدعوهم اليه
الطبع كان ذلك ولا ريب عليهم وبالاً

ومما يجب الحذر منه الرياضة العنيفة قبل تناول الغذاء او على
اثره لما تقدم من ان الرياضة تنبه عمل القلب فيزداد به توارد الدم الى
سطح الجسد واطرافه وبذلك ينصرف الدم عن اعضاء الهضم فتتلبك
في عملها لتقص الحرارة هناك وكثيراً ما يفضي بها ذلك الى التخممة او
زكام المعدة فيتفاقم البلاء . اما الرياضة المعتدلة فلا بأس منها والحالة
هذه لانها تنبه القلب تنبيهاً لطيفاً لا يعارض الهضم بل كثيراً ما
تزداد بذلك اعضاء الهضم قوة على قضاء وظائفها

هذا هم ما يذكّر في هذا الشأن وقد بقيت هناك امور اخرى
كثيرة اضربنا عن ذكرها وجملة القول ان الرياضة من الفروض
المعيّنة التي لا يجوز لاحد التغاضي عنها لانه فضلاً عن تقويتها الجسم
تكون سبباً في منع كثير من العلل وشفاء كثير منها والله الوافي

﴿ مضارّ البرد والرطوبة ﴾

من الاقوال السائرة عَلَى السنة العامة البرد سبب كل علة وهو قولٌ وان لم يصحَّ عَلَى اطلاقه فان شواهد الاختبار تنطق بصدقه في كثيرٍ من الامراض الحادة فانه متى اقبل الشتاء كثر الزكام الانفي والشعبي والمعدى وغير ذلك من النوازل والعلل التي تحدث عادةً في هذا الفصل . وليس لهذه العلل من سببٍ في الغالب الا البرد والرطوبة ولذلك رأينا ان ثبت شيئاً في الكلام عليهما مقتصرين عَلَى ما تهم معرفته من تبعاتهما وبيان وجوه توقيهما في الاحوال المألوفة دون تعرضٍ لما وراء ذلك من تأثير البرد القارس وما ينشأ عنه تارةً من الغنغرينا والهلاك فان ذلك يقتضي كلاماً طويلاً ليس هنا محل استيفائه ومعلومٌ ان تأثير البرد في الصحة مضرٌّ في اي زمان اتفق سوائه كان في الشتاء ام في الصيف الا انه لما كانت الرطوبة في الشتاء اكثر انتشاراً لاسبابٍ طبيعية وهي ملازمةٌ للبرد غالباً كانت الامراض الحادثة عنهما في الشتاء اكثر من الامراض الحادثة عنهما في الصيف ونحن نذكر ههنا تأثيرها على وجه الاطلاق دون نظرٍ الى زمن حدوثه لعدم الفرق في ذلك كما بيناهُ

اما الاسباب الحادثة عنها الامراض المذكورة فمنها التغييرات

النجابية في حالة الجو وهي تختلف في مواقيت حدوثها وشدتها او خفتها فقد يطرأ في اليوم الواحد او في ايام قلائل تغير سريع في حالة الهواء في حالي الحر والبرد وهذا التغير يقع في البلاد الحارة بين النهار والليل فيكون النهار حاراً والليل بارداً .

ومنها تعريض الجسم وهو في حالة السخونة او العرق المجري هواءً بارد كأن يخرج الانسان من مكان الدفء الى حيث ينفحه الهواء بفتة او يجلس امام نافذة يمر فيها الهواء على بدنه وهو مندبى بالعرق ولا سيما اذا كان الهواء جافاً فإنه يكون والحالة هذه اشد خطراً عليه مما لو كان رطباً وبناءً عليه فان مكث الانسان في الهواء المطلق بعد الرياضة العنيفة وتعب الجسم يكون من اشد الامور خطراً . ومثل ذلك الجلوس في الظل على ارض رطبة للاستراحة كما يتفق لكثير من الفعلة في القرى .

ومن تلك الاسباب وقوع المطر على الجسم وتبلل الثياب به وكون الحذاء غير واف يمنع الرطوبة وذلك من شر ما يتعرض به الجسم لحدوث الامراض المتنوعة المسببة عن البرد والرطوبة ولذلك يجب تبديل الثياب المبللة في الحال بثياب جافة تلافياً للضرر والا تجر الماء عن الثياب المبللة بجمرة الجسم فادس ذلك الى نقص جوارته الغريزية وحدوث البرد السيء العواقب فقد نتلوه حتى متصلة بسيطة

او خناق او التهاب في الشعب او زكام في الامعاء او ذات الرئة او ذات الجنب وغير ذلك . وكثيراً ما يعقب هذه الحال المرض المعروف بمرض (برغت) والتهاب المفاصل . وقد اثبت بعض الاطباء ان هذه المضار ناشئة عن منع وظائف سطح الجلد او توقفها كلاً او بعضاً فتحدث من هذا القبيل الاحتقانات والالتهابات والانسكابات الداخلية كما يحدث في الحيوانات عقب دهنها بشيء يمنع التبخر الجلدي

ومن الاسباب الباعثة على حدوث مضار البرد السكنى في البيوت الرطبة ولا سيما متى كانت هذه البيوت حديثة عهد بالبناء لانها تنتشر مقداراً عظيماً من رطوبة المطر ولا سيما متى كانت حجارة البناء كثيرة المسام كالحجارة الرملية المستعملة عندنا . ويزداد ضرر البرد والرطوبة في البيوت السفلية ولا سيما القربية السقوف منها لانه لا يتجدد فيها الهواء ولا تدخلها اشعة الشمس فيتعرض سكانها للخنزير والتدريز وامراض المفاصل وغيرها .

ومن هذه الاسباب المبادرة الى ترك ثياب الشتاء الصوفية حالما يقبل الربيع فقد تحدث بعد ذلك تغيرات في الجو فيحصل البرد الذي لا يعقبه رد فعل وهو يفضي حينئذ الى علل كثيرة كما تقدم .

ومنها شرب الماء البارد او الثلوج حال كون الجسم سخناً مندباً

بالعرق

واكثر الناس انفعالا بالبرد الاطفال فهو شديد النكاية فيهم ولا سيما في اليوم الاول من ولادتهم وفعلة شديدة الخطر على الذين يولدون قبل ميقات ولادتهم . ولا يخفى ان تأثيره في الجياع والنحفاء المهزولين والناقهين من الامراض الذين طالت حميتهم يكون مضاعفاً عن تأثيره في غيرهم وكذلك الشيوخ ولا سيما البالغين اقصى الكبر . وتأثيره ردي في المرضى الذين طالت حميتهم وفي المسلولين واصحاب البول السكري والآحي (الالبوميني) لانه يكون سبباً في حدوث الاحتقانات الداخلية وهي شديدة الخطر في الامراض وقد يحدث التهاب الشعب او ذات الرئة في المسلولين فيعجل النتيجة المخزنة . واذا كان الانسان حداري المزاج كان البرد سبباً مهيباً لاصابته بداء المفاصل وقد يكون سبباً لحدوث العلل القلبية في هذه العلة

وكيفية تأثير البرد في الجسم هي انه يزيد في سيولة الدم لانحلال ليفينه بالحوامض التي تُردُّ اليه لنقص النخر الجلدي على ما قال بعضهم ويهيئ الاحتقانات والارتشاحات لانه يقلص الاوعية الدموية انى اصاب فيدفع بذلك الدم من عضو الى آخر ويستوقف الدورة الشعرية ويمنع النخر الجلدي ويعارض وظيفة عضو مفرز فيزداد عمل عضو آخر على سبيل التكافل الوظيفي . وقد يستوقف تهبجاً في الجسد فينتقل به الى عضو آخر

فبناءً على ما تقدم نقرز القواعد الصحية الآتية .
 أولاً يقاوم تأثير التغيرات الجوية بلبس القلانلا على الجلد من
 غير توسط شيء آخر بينها ولبس الثياب الصوفية حالما يشعر بالبرد ولا
 يجوز تركها في الربيع كما يفعل بعض الناس وان امكن لبسها في الصيف
 ايضاً فذلك اولى واسلم .
 ثانياً يحظر عرض الجسد وهو سخن او مندبى بالعرق على الهواء البارد
 ولا سيما الشمالي ويمتنع من الجلوس في الهواء المطلق وعلى الارض الندية
 او تجاه نافذة يمر منها الهواء عقب الرياضة والتعب الجسدي .
 ثالثاً يحترز من البلل ما امكن فان اصاب احداً وجب ان يبدل
 ثيابه حالاً بثياب مدفئة وان يستقر في مكان دفيء .
 رابعاً يجتهد ما امكن في تدفئة الاطراف بالخصوص ويحترز من بقاء
 الجوارب رطبة . ويحظر على البنات والنساء ترطيب الرجلين لانه قد
 يكون سبباً فيهن لحدوث علل عضالة .
 خامساً تحظر السكنى في البيوت الرطبة المبنية حديثاً ولا سيما في
 العقود وان لم يمكن ذلك فلا اقل من ان توضع فيها نار متقدة لدفع الرطوبة
 سادساً يجعل الطعام والشراب موافقين لما يحتاج اليه الجسد
 في ايام البرد من المواد الدهنية والسكرية وسائر المواد المولدة للحرارة

٣

* كلام في الطعام *

متى دخل الطعام الفم وطحنه الاسنان استحال الى كتلة يربطها اللعاب فيسهل ابتلاعها وتخلل اجزاءها فحوّل اكثر ما فيها من النشاء الى مادّة يسهل امتصاصها تسمى بالكُسترين . ومتى بلغ المعدة والامعاء درّت عليه مفرزاتهما مع مفرزات الغدد المتعلقة بهما كالكبد والبنكرياس فتقع عليه افعال كيمياوية مختلفة تعدّه للدخول في دورة الدم فيصير صالحاً للقيام بتغذية الانسجة وتعويض ما هلك منها بالاعمال الحيوية

ولا يخفى انه متى كان الطعام جامداً شقّ على المفرزات الهاضمة ان تخرق اجزاءه في اثناء الهضم فيكون فعلها مقصوراً على الاجزاء الظاهرية منه ولذلك كان من اول شروط الغذاء جودة المضع لتجزئة الطعام وتلين قوامه حتى يسهل امتزاجه بعد ذلك بالعصارات الهاضمة فضلاً عن انه اذا وصل الى المعدة صلباً فقد يقتضي تناول مقدار كثير من الماء ليسهل امتزاج العصارات به فيفضي الافراط من الماء الى تخفيف تلك العصارات الى حد لا تقوى من بعده على عمل الهضم اما اوقات الطعام وكميته فلا سبيل الى وضع قياس مطرد لها

لاختلاف الأشخاص في ذلك من حيث العادات والسن والمزاج
والاقاليم والحرف فبعضهم يقتصر على وجبة واحدة في اليوم وبعضهم
لا يكتفون بأقل من خمس لكن المعدل الشائع ثلاث على ما هو جارٍ
بين اكثر الامم . ومما يجب الحرص عليه من هذا القبيل ان يتناول
المرء شيئاً من الطعام حال النهوض من النوم ولا سيما اذا كان مزمعاً
على الاشتغال بشيء من الاعمال العقلية او الجسدية لان الجسم يكون
بعيد الاستيقاظ مسترخياً ولا سيما اذا كان النهوض باكراً عند الفجر
فقد علم ان الجسم من نصف الليل الى الساعة الخامسة صباحاً يكون في
اشد الانحطاط الصحي كما يستدل على ذلك من قلة الحامض الكربونيك
المبرز من الرئتين وثقل الدورة الدموية فاذا تناول المرء شيئاً من
الطعام وقتئذٍ نشط وتبته . ويؤثر ان يكون طعام الصباح مغذياً
سهل الهضم قليل المقدار كاللبن الصنف واشباهه وان يؤخذ معه شيء
من المواد المنبهة البسيطة كالقهوة او الشاي بحيث يتمكن بعده من
تعاطي الاعمال دون ان يتشوش الهضم . فيجب على طلبة العلم
والمتفرغين للمباحث العلمية ان يتنبهوا الى ما تقدم على وجه الخصوص
لان الدرس واعمال الذهن صباحاً قبل تناول شيء من الطعام مضر
رديء العواقب

ومن المعلوم ان الانسان لا يلائمه البقاء على صنف واحد من

الاطعمة كما وضح ذلك من التجارب في الحيوانات فقد علم انه متى قُصر
 الحيوان على صنف واحدٍ سئمه واخذ في الهزال والانحطاط حتى
 يفضي به ذلك الى الموت . فما زعمه بعضهم من وجوب الاقتصار على
 الاطعمة النباتية لا يكون الا خطأً كما يُستدل عليه من النظر الى بنية
 الاسنان والقناة الهضمية فان الاسنان مجهزة للاطعمة النباتية والحيوانية
 معاً والقناة المذكورة متوسطة من حيث البناء والعمل بين معد
 آكلات الحيوان كالضواري وآكلات النبات كالحشرات والاصناف
 اللازمة للغذاء تختلف تبعاً لاحوال كثيرة اخصها الاقليم والمزاج والحرفة
 فانه في البلدان الحارة وفي ايام الصيف يترهل الجسم ويشق عليه
 هضم الاطعمة المعروفة بالنتروجينية من نحو عضل الحيوانات وآح
 البيض والملام والقاعدة المغذية في اللبن المعروفة بالكاسئين وغيرها
 فيُعتمد في الاكثر على المواد النشائية السهلة الهضم القليلة التنبيه
 اما المزاج فاشده تأثيراً في ذلك البلغمي والعصي فينبغي ان يُعتمد
 في الاول منهما على الاطعمة النتروجينية المنبهة لترهل جسم صاحبه
 وفي الثاني على غير النتروجينية كالنشائية لان صاحبه سريع التنبه طبعاً
 فلا حاجة الى تنبيهه . واما الحرفة فان كانت من الاعمال الجسدية
 الشاقة اقتضت مقداراً وافراً من انواع متعددة من الطعام وان كانت
 من الاعمال العقلية اعتمد على الاطعمة النتروجينية لما فيها من تنبيه الدماغ

وتختلف انواع الاطعمة ايضاً بالنسبة الى حال الاشخاص من
 السمن والهزال فعلى السمان ان يقتصروا ما امكن على الاغذية
 النتروجينية لانها تنبه الانسجة وتريد في الدثور والابراز ويحتنبوا
 الادهان والحلويات واشباهها . وبعكسهم المهازيل فانه ينبغي لهم ان
 يقللوا من الاطعمة النتروجينية ما امكن ويعتمدوا على الحلويات
 والنشائيات كالارز والبطاطة ونحوها

ومن غريب اطوار بعضهم انهم لا ياكلون بعض اصناف
 الاطعمة الا بعد التن والفساد ولا سيما اذا كانت من المواد النتروجينية
 كاللحم على انواعها وهذا الامر شائع كثيراً عند بعض الاعاجم وهو
 من المصطلحات المضرة التي ينشأ عنها اسقام وبيلة في الجلد والمعدة
 بل كثيراً ما تكون من اسباب الهلكة لما يتولد في اللحم بعد الفساد من
 السموم القتالة المسماة باشباه القلويات الجيفية المسببة عن حلول
 البكتيريا او النقايات اذ ذاك في اللحم فاذا كان في فم المتناول او
 معدته سحج او جرح امتصت تلك السموم الى الدم قبل ان تنحل
 بعصارة المعدة فتقتل . ولذلك يجب الاعتناء بامر اللحوم وان يتحقق
 خلوها من الفساد والآفات ولا سيما في المجازر بحيث تكون الحيوانات
 التي تذبح للغذاء سليمة من الامراض وخصوصاً الامراض التي تعدي
 بالنقيح كضربة الطحال في الغنم وذات الرئة في البقر وغير ذلك

ومما يجب التحذر منه من هذا القبيل تناول الفواكه والبقول
الفاسدة فانها قد تكون سبباً في حدوث علة وبيدة فيتخير منها الصحيحة
الناضجة لانها متى كانت كذلك افادت الجسم غذاءً ومنعت في بعض
الاحوال من القبض الذي يصاب به بعض الناس في فصل الصيف
وعلى جميع الاحوال لا يجوز الا كثار منها منعاً لتلبك المعدة وحدث
كثير من العلة كالحمي المعدية التي تكثر في ايام الصيف والذرب
والدوسنطارية وغيرها

ولا بد من التنبه لترتيب اوقات الطعام ترتيباً مطرداً يُجرى
عليه بالضبط ما امكن لان المخالفة بين اوقات الطعام تقضي الى علة
معدية كثيرة ويجب ان يُجتنب ادخال طعام على طعام لان ذلك
يشوش الهضم ويفضي الى اضرار وخيمة العواقب

الاعتماد على النفس

من مقالة المنخوري بطرس البستاني

وانما رجل الدنيا وواحدتها من لا يعول في الدنيا على رجل
من قلب صفحات التاريخ بعين نقادة وبصيرة وقادة ذهبت في
فكره الحيرة كل مذهب تجاه المخترعات الغربية التي انتجتها الازهان
وابرزتها الفطن من مكانها عصرأ بعد عصر ولا سيما اذا تفرس في

بعض الاكتشافات التي ادمن على مزاولتها جم غفير من العلماء المحققين حتى افنوا الاعمار في استخراج الدفائن من صدر الطبيعة وابرار الخبآت من فؤاد الكون وهم يتراوحون بين الامل والياس والنجاح والخيبة الى ان راضوا الصعوبات وذلوا العضلات وذهبوا بالعلوم والفنون الى آخر ما تبلغه المدارك البشرية وتطاول اليه الفكر الولادة

ومن الاختراعات ما استنزفت معالجته قرونًا في قرون كان بيني في خلالها الخلف على أس السلف وربما تصرمت الحقب وكرت السنون والباحثون في حيز واحد لم يرم احدهم حجراً على ذلك الاس وهم مع ذلك دائبون في السير الى غايتهم المرقوبة حتى اذا ظفروا بها ودعوا الدنيا بقلوب ملؤها عزاء واستبشار وإلا القوا مهمتهم على عوائق من يعقبهم من العلماء على رجاء انهم يحلون الانشطة التي لم يفسح لهم في حلها وعلى هذا النحو لا يفتأ رجال العلم والعمل يضربون على التعاقب في بيداء التنقيب والاستقراء والتجسس والاستقصاء الى ان يفتح لاحدهم باب النجاح فيلججه الى مقصده المنشود بعين قريرة وثغر بسام حتى كأني به قد نفذ عنه غبار الاتعاب الجاهدة وذهل عما لقيه في عمله الشرس القادة من المشقات الناهكة . ولا بدع فقد خدم به الانسانية بتزقيتها درجة او درجات في سلم التفقه والاستنارة وكفى بها امنيةً يعذب معها العذاب في معترك الجهاد

وغير خافٍ ان المصاعب كما تجسمت وتأبست في وجه الساعي
 استهوته الى الفشل والاحجام وهدمت جانباً من حصن نشاطه وثباته
 واقعدته عن الاقدام . فاذا كان صبوراً على المكافحة والمجاهدة جايداً
 لديه مفاجأة الحن قوياً على مقاساة الصدمات ومعاناة الخيبات امن
 عواقب اليأس والضعف والملاة ووطن النفس على تهجم الهلكات
 واعتناق الاخطار والاهوال بحيث لا تكمل عزيمته ولا يني جهده مهما
 اعتوره من المشاكل والخطوب ومهما بذل من النفقات وقتل من
 الايام في جنب مطلبه . وبدون ذلك لا تستقاد الرغائب ولا تدرك
 المقاصد لان الاعمال اذا كانت مأخذها على جانب من الصعوبة
 استدعت من العناية والجرأة والحكمة والادمان على حسب دقتها
 وغموضها وشدة مراسها . واي عمل لا يخلو طريقه من المزالق
 والمداحض واية غاية بعيدة الشقة ينتهي اليها بدون عناء واي منزل
 نتسابق اليه الوراد ولا يكون النصيب الاوفر منه لاجراهم اندفاعاً
 واصليهم جلدأ وامضاهم عزماً وابعدهم نظراً . .

ولا ريب ان اعراضنا عن سجارة الامم النبوية واللحاق بها في
 مدارج العمران انما ناشىء عن كلال في مضائنا ووهن في عزمنا لا عن
 خمود في حميتنا وقصور في مداركنا اذ فينا والحمد لله من خيار رجال
 النخوة والنبيل والذكاء من تعقد عليهم الخناصر ويشار اليهم بالبنان . واذا

بمخنا عن العلة التي ولدت فينا الفتور والتردد والتراخي والتواكل في جنب
 المساعي الهامة لم نتمالك عن ان نرد ذلك الى الاعتماد على سوانا في جميع
 ادوار الحياة بحيث نخرط في العقد الثاني والثالث من العمر ونحن
 معولون على من يدير امورنا ويتولى زمام مقادتنا حتى اذا تداعت
 جدران البناء الذي ناوي اليه في النابثات وسقط العماد الذي نستند
 اليه في الحادثات هبطنا معه واصبحنا ولا قائمة لنا ولا ملاذ ولا مرجع
 فنقنط جزعاً ونرتبك هلعاً

فلو كنا ونحن في حجر التربية نتدرب في ادارة بعض شؤوننا
 على قدر ما نتحملة الحال ثم نتدرج في هذه الخطة بعد الانتقال الى
 مخيم التحصيل بحيث لا نرجع الى استاذنا الا في المشكلات التي لم نوفق
 لكشف معاها بعد افراغ المجهود لما كنا نقف وقد برحنا من المعهد
 العلمي واستوفينا حظنا من المعارف موقف الحائر ازاء المستغلات
 التي نصادفها في اثناء مطالعاتنا حتى اننا نكبل بقيود السامة والقنوط
 ونتهرم من الانكباب على الاستفادة والاستزادة الى ان نتزعزع صروح
 آمالنا ونحمد جنوة اجتهادنا . ولا عجب في ذلك فان الطالب اذا لم
 يتعود شحذ الذهن بالتروي والتجرب بل عوّل في تفهم المسائل الغويصة
 على شرح استاذه انقضى وقت الدراسة والعقل مقيد لم ينطلق قط في
 فجاج التفكير وفضاء التدبر

ومن الحقائق الراهنة ان الرجل ابن التربية يجري في شيخوخته
على ما تلقنه في المهد واقتبسه في دور الرشد فاذا نشأ على الجبن وضعف
العزيمة والصبر حتى توكأ في جميع مهماته على غيره نزل الى ميدان
الجهاد والعمل وهو كليل الهمة سقيم الرأي عاجز عن اموره وتدير
شؤونه هياب للمساعي المكتنفة بالصعوبات ولذلك يسير مع اترابه
الذين حنكتهم التجارب وبلتهم الايام ببطء ومهابة وقصور حتى اذا
عرضت له عقبة في طريقه انقلب على قدم الفشل خاسراً خاسئاً على
حين ان اقرانه الشجعاء لا تلوي اعنتهم الجبال الرواسي ولا يجل عرى
جلدهم الضرب في الفيافي بل يزدادون بأساً واقداماً كلما تراكت
المصاعب وعزّت المطالب وانما الفضل في ذلك لتنشئتهم على الاقدام
بثبات جنان والتعويل على النفس في كل حادثة معضلة ومسألة
مشكلة . .

على اننا لا ننكر ان استشارة الحكماء قبل مباشرة الاعمال واطلاق
النظر في مجاريها من ادعى الاسباب الى النجاح وابعثها على تجنب المعائر
وتلافي المخاطر لان المرء اذا استقل برأيه كثرت معاطبه وتمادى شططه
وبرهن عن ادعاء في النفس والادعاء نهاية الخرق والحماسة يفضي
بصاحبه الى مهاوي الخطل ومصارع الزلل . وخير للمرء ان يضرب
عن العمل صفحاً من ان يقدم عليه بدون مصباح يستضيء به في دياجر

الشبهات وحنادس المعميات . اما وقد استنار واستهدى فلم يبقَ عليه
الا اجراء ما قررت عليه اراء الالباء دون وجل وربة خوفاً من ان
تفوته فرصة الانتفاع فيندم ايما ندم

ومن المحال ان نتوغل امة في مذاهب الحضارة وثبتت قدمها
على قمة المدنية ما لم يتوفر ابناؤها على التذرع بما يضمن لها العمران
وانما يستقيم ذلك باعتماد كل على نفسه في مسعاه حتى كأنما عهد اليه
وحده ان يشيد في وطنه معالم العز والسعد او كأنما الفلاح لا يتألق
بدره في سمائه ما لم يتألق بعمله ويحكم مهنته ويمهر في صناعته وبهذا
الاعتبار تفلح الامم وتنهض الممالك وتوفر لها موارد الثروة واسباب
الرخاء واما اذا وقع بين افراد الامة التواكل والتخاذل حتى لم يبق بتلك
النهضة العمرانية الا نفر قليل من ذوي الحزم والمضاء فلا يتعذر فقط
النجاح بل ترجع البلاد القهقري وتستهدف للبلاء والشقاء وتصبح
طعمة سائغة لارباب القوة والطمع على ما هو جار في كل قطر
تفشيت فيه جرائم العجز حتى امسى صاغراً وضيعاً لا يتجرأ على ان
يلتفت الى تلك اليد القوية القابضة على زمامه الا بعين المهابة
والتوقير

✽ النبوغ ✽

من مقالة لمصطفى لطفى المنفلوطي

من العجز ان يزدري المرء بنفسه فلا يقيم لها وزناً . وان ينظر الى من هو فوقه من الناس نظر الحيوان الاعجم الى الحيوان الناطق . وعندى ان من يخطىء في تقدير قيمته مستعلياً خيراً من يخطىء في تقديرها متديلاً . فان الرجل اذا صغرت نفسه في عين نفسه يأبى لها من احواله واطواره الا ما يشاكل منزلتها عنده . فتراه صغيراً في علمه صغيراً في ادبه صغيراً في مروءته وهمته صغيراً في ميوله واهوائه صغيراً في جميع شؤونه واعماله . فان عظمت نفسه عظم في جانبها كل ما كان صغيراً في جانب النفس الصغيرة

كثيراً ما يخطىء الناس في التفريق بين التواضع وصغر النفس وبين الكبر وعلو الهمة . فيحسبون المتذلل المتملق الدنيء متواضعاً ويسمون الرجل اذا ترفع بنفسه عن الدنيا وعرف حقيقة منزلته من المجتمع الانساني متكبراً . وما التواضع الا الادب ولا الكبر الا سوء الادب . فالرجل الذي يلقاك متبسماً متهللاً ويقبل عليك بوجهه ويصغي اليك اذا حدثته ويزورك مهتماً ومهزياً ليس صغير النفس كما يظنون بل هو عظيمها . لانه وجد التواضع اليق بعظمة نفسه فتواضع والادب ارفع لشأنه فتأدب

فتى كان عذب الروح لا من غضاضة
ولكن ككبراً ان يقال به كبر

فان بلغ الذل بالرجل ذي الفضل ان ينكس رأسه للكبراء
ويتراعى على ايديهم واقدامهم لثماً وثقيلاً ويتبذل بمخالطة السوقه
والغوغاء بلا ضرورة ولا سبب ويكثر من شتم نفسه وتحقيرها ورميها
بالجهل والغاوة ويجلس بمدارج الطرق جلسة البائس المتسول ويمشي
مشية الخائف الملبس فاعلم انه صغير النفس ساقط الهمة لا متواضع
ولا متأدب

ان علو الهمة اذا لم يخالطه كبر يزري به ويدعو صاحبه الى
التنطع وسوء العشرة كان احسن ذريعة يتذرع بها الانسان الى النبوغ
في هذه الحياة . وليس في الناس من هو احوج الى علو الهمة من
طالب العلم لان حاجة الامة الى نبوغه اكثر من حاجتها الى نبوغ سواه
من الصانعين والمحترفين . وهل الصانعون والمحترفون الا حسنة من
حسناته واثر من آثاره بل هو البحر الزاخر الذي تستقي منه الجداول
والغدران .

فيا طالب العلم كن عالي الهمة ولا يكن نظرك في تاريخ عظماء
الرجال نظراً يبعث في قلبك الرهبة والهيبة فتتضاءل وتبصاغر كما يفعل
الجبان المستطار حينما يسمع قصة من قصص الحروب او خرافة من

خرافات الجن • وحذار ان يملك اليأس عليك قوتك وشجاعتك
 فتستسلم استسلام العاجز الضعيف ونقول من لي بسلم اصعد به الى
 السماء حتى اصل الى قبة الفلك فاجالس فيها عطاء الرجال •
 يا طالب العلم انت لا تحتاج في بلوغك الغاية التي بلغها النابغون
 من قبلك الى خلق غير خلقك وجو غير جوك وساء وارض غير
 ساءك وارضك وعقل واداة غير عقلك وادائك • ولكنك في حاجة
 الى نفس عالية كنفوسهم وهمة عالية كهممهم وامل اوسع من رقعة
 الارض وارحب من صدر الحليم • ولا يبتطنك ما يهمس به حاسدوك
 في خلواتهم من وصفك بالسماجة • فنعم الخلق هي ان كانت السبيل
 الى بلوغ الغاية • فامض على وجهك ودعهم في غيهم يهيمون
 جناحان عظيمان يطير بهما المتعلم الى سماء المجد والشرف : علو
 المهمة والفهم في العلم • اما علو المهمة فقد عرفته • واما الفهم في العلم
 فاليك الكلمة الاتية :

العلم علمان : علم محفوظ وعلم مفهوم • اما العلم المحفوظ فيستوي
 صاحبه فيه مع الكتاب المرقوم • ولا فرق بين ان تسمع من الحافظ
 كلمة او تقرأ في الكتاب صفحة • فان اشكل عليك شيء مما تسمع
 فانظر ان نطق الكتاب بشرح مشكلاته نطق الحافظ بتفسير كلماته
 الحافظ يحفظ ما يسمع لانه قوي الذاكرة وقوة الذاكرة قدر

مشارك بين الذكي والغبي والنابه والابله . لان الحافظة ملكة مستقلة
بنفسها عن بقية الملكات . ذلك هو السر العظيم في كثرة المتعلمين
وقلة العاملين . لان من فهم معلوماً من المعلومات حق الفهم أشربته
روحه وخالط لحمه ودمه ووصل من قلبه الى سويدائه وكان احدى
غرائزه فلا يرى له بدءاً من العمل به رضي ام ابى .

لو كان العلم المحفوظ علماً وهو على ما تشاهد وتعلم من سوء الاثر
وقلة الجدوى ما ورد مدح العلم في كتاب ولا سنة ولا قدسه كاتب
او ترنم به شاعر . فاذا سمعت ذكر العلم فاعلم انه العلم المفهوم لا المحفوظ
واذا اردت ان تلقب بالعالم فلا تلقب به من يحفظ بل من يفهم ما
يحفظ . وآية فهم المعلوم تأثر العالم به وظهوره في حركاته وسكناته
وترقرقه في شمائله ترقرق الصهباء في وجه شاربها . ولا تثق بالحافظ
فيما ينقل اليك فرجاً صراً بالمعلوم محرراً فاخذه على علاته لانه لم يبصره
فينقله . واقبح ما عرفنا من اطواره انه يجمع في حافظته بين النقيض
ونقيضه والغث والسمين والجيد والزائف . فكأن ذاكرته حانوت
عطاراً اختلطت فيها الادوية الشافية بالعقاقير السامة

وجملة الامران الحافظ البحت لا رأي له في مبحث فيسأل عن
مذهب . ولا اثر لمعلوماته في نفسه فيقتدى به ولا ذوق في الفهم
فيُعتمد على شرحه وتأويله .

اما العلم المفهوم فهو الوساطة التي اذا جمع المتعلم بينها وبين علو
 الهمة طار الى المجد بجناحين وكان له سبيل مختصر الى منزلة العظماء
 ودرجة النابغين . والعلم سلسلة طويلة ومسائله حلقات يصنع كل
 نابغة من نوابغ العلماء منها حلقة . ولن يبلغ المتعلم درجة النبوغ الا
 اذا وضع في العلم الذي يمارسه مسألة او كشف حقيقة او اصلح هفوة
 او اخترع طريقة . وان يسلس له ذلك الا اذا كان علمه مفهوماً
 لا محفوظاً . ولا يكون مفهوماً الا اذا اخلص المتعلم اليه وتعبد له ولم
 ينظر اليه نظر التاجر لسبعته والمحترف الى حرفته . فالتاجر يجمع من
 السلع ما ينفق سوقه لا ما يغلو جوهره . والمحترف لا يهيمه من حرفته
 الا لقمة الخبز وجرعة الماء احسن ام اساء
 لا يزور العلم قلباً مشغولاً بترقب الوظيفة وحساب المرتب
 وسوق الآمال وراء الاموال كما لا يزور قلباً مقسماً بين تصنيف
 الطرة وضقل الغزة وحسن القوام وجمال الهندام .

✽ الخريف ✽

عن مجلة الزهور

ظهرت سحابة في كبد القبة الزرقاء ، وابتل جناح الهواء ،
 واغرورت مقلة السماء ، فوقعت على الارض بعض نقط ماء . . . تركت

السنونو الديار مهاجرة إلى اقطار شاسعة ، وهب نسيم بارد فالو من
سنابل الحقل واحنى غصون الاشجار الباسقة . عري وجه الارض
من ديبها وصارة الدنيا كهلة وقد ولت ايام شبابها فقلنا: « ها الخريف
قد اقبل والصيف قد ادبر . . . »

عبس وجه الطبيعة ، واكفهرت طلعة السماء فاستحالت زرقتها
سواداً ، واتسخت بثوب الغيوم الكالح حداداً ، وجادت المزن حزنًا
بدمعها الصافي فبرد بعض ما فيها من الحر والحرقة ، فسالت في ماقي
الارض حمراء اسفاً ووجدت على هجر شبابها

اصفر العشب الاخضر من لوعة هذا الفراق ، وبكت الشجر
فتساقطت منها الاوراق ، واصبحت تلطم جذعها بغصونها الجرداء ،
وحيث كنت تسمع تغريد الطيور الشجي الرخيم ، لا تسمع الان
الا حفيفاً رائعاً اشبه بزفرات المهجور الحزين . اذ ان ريح الشمال قد
هبت وكان لهبوبها في الغاب صدى نوح وعويل ، واخذت تتلاعب
بالاوراق الذابلة المتناثرة كتلاعب الرزايا بالانام

وكان الطيور قد انفت هذا المشهد ، فاخذت تشق الفضاء
ولسان حالها يقول : « نحن رسل الزهو والزهر ، ووفود الصفاء
والبشر . . . لا نألف الا الرياض الخضرة والحدائق النضرة ، والا
تحوّل تغريدنا الى نوح ورتاء ، واصبح اشبه بنعيق البوم والغربان .

فنعود متى عاد الربيع . . . »

اما تأثير هذا الفصل في النفوس فشديد . وليس باقل من تأثيره في الطبيعة . فيشعر الانسان بانتقباض يستولي على فؤاده ، ويسمع في داخل صدره صوتاً ينذره بقرب فصل الشتاء فصل الشجوخة ، فيتساءل حزيناً : « وهل ارى فصل الربيع ثانية ؟ هل ارى الاشجار تنضج والاطيار تعود . . . » فيستسلم لهذه الافكار التي تغذي النفوس بغذاء الحقيقة ، وتروي القلوب التي حرقها الظلم الى المجهول . ويا نعم ما قال الشاعر :

ان فصل الخريف وافى الينا يتهادى في حلية كالعروس
غيره كان للعيون ربيعاً وهو ما بينا ربيع النفوس

ومن امعن النظر في حياة الانسان يراها كفصول السنة :

فصل ربيع مزهر مثمر ، يطيب فيه الهواء ويروق اديم السماء .
تشرق شمس الهناء والاقبال ، فتبدد غياهب الكروب ، ويسطع على الافق بدر السعادة والامال ، فيضيء ظلمة القلوب ، فتفتح ازهار الصفاء ، وتضج اثمار الرجاء . . .

وفصل شتاء محزن تلبد غيوم الشدائد في سماء مظلمة نائمة ،
فتمطر ثلجاً تجمد له حركة القلوب الخافقة ، وتسيل دموع الاعين الحارة . تعصف رياح الجزع فتتلاعب باوراق الآمال الذابلة ،

ونقص رعود المصائب قترمي القلب البشري بصاعقة اليأس القتالة
 تلك هي حياة الانسان : عسر ويسر ، راحة وشقاء ، شدة
 ورخاء ، ورد وشوك ، طلوع ونزول ، شروق وافول ، حلاوة العسل
 ومرارة الخنظل ، ابتسامة ثغر ، ونقطة دمع ، ابتهاج الربيع ، وكآبة
 الخريف

وداع ولقاء

لاديب بك اسحق

غاب عنا الشتاء ، والغائب حقيقٌ بالكرامة ، فما نذكر مطره
 ووحوله ، ولا نوءه وسيوله ، ولا كثافة غيومه ، ولا احتجاب نجومه ،
 ولا ظلمة ليليه ، ولا التزام المنزل فيه . وإنما نذكر طيب المنام ، ومروء
 الطعام ، ولذة السهر ، وحلاوة السمر ، وصفاء الاذهان ، ونشاط
 الابدان ، والثام الاحباء ، وانقطاع البغضاء ، وان الساعي فيه لا يحرق
 العرقُ جبينه ، ولا يكحل الغبار عيونه ، ولا تصهر الشمس رأسه ،
 ولا يضيق الحر انفاسه ، فاذا جلس فلا يؤذيه الهواء ، ولا نتراخي منه
 الاعضاء ، ولا يتولاه الملل ، ولا يعتربه الكلال ، واذا نام فلا يحوم
 الذباب عليه ، ولا يتداعى البعوض اليه ، ولا يصيبه من الحر أرق ،
 ولا تنبث منه ريح العرق ، ولا تؤلمه بثور الحرارة ، ولا يضرم الا كال

في بدنه ناره بل يغمض على الراحة جفينه ، وينام الليل ملء عينيه .
 فسلام على الشتاء من راحل اغرقنا طرفان دمع السحاب في
 توديعه ، وانقذنا فلك صحو السماء في تشييعه ، واهلاً بالربيع من قادم
 تبسم لقدمه الازهار ، وتغرّد في لقائه الاطيار ، وتميل فرحاً به قدود
 الاغصان ، فيكلل هامها من نداءه 'بنيان' ، فقد انجلى منه ديباجة
 السماء ، ورقّت به حاشية الهواء ، فتمنم برود الحدايق ، واحكم تدييع
 الشقائق ، وزين حلة الارض ، بجملة النبات الغض ، فاختالت الغصون
 من الورق والاثمار ، بابهي من الزبرجد والنضار ، فترنم عليها القمري ،
 بمثل قول البحتري

وقد نبه النوروز في غبش الدجى اوائل ورد كن بالامس نوّما
 بفتحها برد الندى فكأنه بيت حديثاً بينهن مكتما
 ومن شجر ردّ الربيع لباسه عليه كما نشرت برداً ممّما
 احل فابدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين اذ كان محرّما

ومرحياً بطلائع صبح الامال ، في مطالع نبح الاعمال ، وبشائر
 حسن المال ، في اشائر صلاح الحال ، ونضرة زهر الهناء ، في خضرة
 روض الرجاء ، فهذا هو الربيع ، بمعناه البديع ، فانشده قول البهاء
 في لقائه ووداع الشتاء

ايا راحلاً عني رحلت معظماً ويا نازلاً عندي نزلت مكرماً

الباب الحادي عشر

في الرسائل

✽ كتب ابو الفضل بن العميد الى بعض اخوانه ✽
 قد قرب ايدك الله محلك على تراخيه . وتصاقب مستترك على
 تنائيه لان الشوق يملك والذكر يخيلك . فحن في الظاهر على افتراق
 وفي الباطن على تلاقٍ وفي التسمية متباينون وفي المعنى متواصلون
 واثن تفارقت الاشباح لقد تعانتت الارواح

✽ وكتب سعيد بن عبد الملك ✽

انا صبب اليك سامي الطرف نحوك وذكرك ملصق بلساني .
 واسمك حلو على لهواتي وشخصك مائل بين عيني . وانت اقرب الناس
 من قلبي واخذهم بجامع هواي . صادفت منك جوهر نفسي فانا غير
 محمود على الانقياد لك بغير زمام لان النفس يقود بعضها بعضاً وقال
 ابو العتاهية :

ولقلب على القلب دليل حين يلقاه

ولناس من الناس مقابيس واشباه

✽ وكتب ابو العباس الغساني الى بعض اصدقائه ✽

سر الى مجلس يكاد يسير شوقاً اليك . ويطير باجنحة من جواه

حتى يحل بين يديك . فله در كماله ان طلعت بدرأ باعلاه وجماله
ان ظهرت غرة مجياه . فهو افق قد حوى نجوماً تشوق الى طلوع
بدرها وقطر قد اشتمل على انهار تشوق الى بحرها لتستمد منه . فان
مننت بالحضور . والافيا خيبة السرور . قال ابن الزين :

قامت لغيتك الدنيا على ساق والكأس اصبح غضباناً على الساق
والراح قد قسمت ان لا تطيب لنا حتى ترى وجهك الزاهي باسراق

✽ وكتب الصاحب ابن عباد الى صديق له ✽

نحن يا سيدي في مجلس غني الأ عنك . شاكر الأ منك .
قد تفتحت فيه عيون النرجس وتوردت خدود البنفسج وفاحت
مجامر الأ ترج . وفتقت فأزات النارج . وانطلقت السن العيدان
وقامت خطباء الاطيار وهبت رياح الاقداح ونفتت سوق الانس .
وقام منادي الطرب وامتد محاب الند . فبجياتي الآ ما حضرت فقد
ابت راح مجلسنا ان تصفوا الا ان تناولها يملك . واقسم غناؤه ان لا
يطيب حتى تبعه اذناك . نخدود نارنجيه قد احمرت خجلاً لابطائك
وعيون نرجسه قد حدقت تأميلاً للقائك

✽ وكتب ايضاً الى بعض خلانه ✽

مجلسنا يا سيدي مفتقر اليك معول في اغناؤه عليك . ونحن
لغيتك كعقد غيبت واسطته وشباب قد اخذت جدته . واذا غابت

شمس السماء عنا فلا بد ان تدنو شمس الارض منا . فان رأيت ان
 تحضر لتتصل بواسطة بالعقد . ونحصل بك في جنة الخلد . فكن الينا
 اسرع من السهم في ممره . والماء الى مقره . لئلا ينخبث من يومي
 ما طاب ويعود من همّي ما طار .

✽ وللشيخ ابراهيم اليازجي ✽

بِمَ يعتذرُ اليك من لا يرى لنفسه عذراً وكيف يستترُ من
 عتبك من لا يستطيع لذنبه ستراً بل كفاني من العتب تعنيف نفسي
 على ما القيت عليها من تبعة تقصيري وما حلت به من التفريط بينها
 وبين معاذيري . والله يعلم ما كان تقصيري شيئاً اردته ولا كان
 تفريطي امراً قصدته ولكنها الايام ان صاحبها لم تصحب . وان عاتبها
 لم تعتب . فلقد عبرت بي هذه البرهة كلها وانا بين شواغل لا يشغلها
 عني شاغل وبلابل قد اختلط حابلها بالنابل . فنازعتها هذه النهزة
 اليسيرة أجدد فيها صلة التذكرة الى ان ين الله بصلة الحبل واجتماع
 الشمل . واستنزل احرفاً من خطك يكتحل بها الناظر . ويأنس
 اليها الخاطر . متوقفاً بعد ذلك ان ابقى بين يدي مودتك مذكوراً .
 وان لا يكون عجزني لديك شيئاً منظوراً . وان تجري بي على عادة
 حلمك الى ان يجمع الله الشئتين . ويغني العين عن الاثر بالعين .
 ان شا . الله تعالى

✽ وكتب الجاحظ الى قلب المغربي ✽

والله يا قلب لولا ان كبدي في هواك مقروحة وروحي بك
مجروحة لسا جلنك هذه القطيعة وما ددتك حبل المصارمة . وارجو
ان الله تعالى يدل صبري من جفائك فيردك الى مودتي وأنف القلي
راغم . فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتاكر عند الالتقاء

✽ وكتب بعضهم ✽

لو كانت الشكوك تختلجني في صحة مودتك وكريم اخائك ودوام
عهدك لطال عتي عليك في تواتر كتبي واحتباس اجوبتها عني . ولكن
الثقة بما تقدم عندي تعذرک وتحسن ما يقبحه جفاؤك . والله يديم
نعمته لك ولنا بك

✽ وكتب ابو العيناء الى عبيد الله بن سليمان ✽

انا اعزك الله وولدي وعيالي زرع من زرعك ان اسقيته راع
وزكا . وان جفوته ذبل وذوى . وقد مسني منك جفاء بعد برّ واغفال
بعد تعاهد حتى تكلم عدو وشمتم حاسد . ولعبت بي ظنون رجال
كنت بهم لاعباً ولهم مخزساً . والله در ابي الاسود في قوله :
لا تهني بعد ان اكرمتني وشديد عادة منتزعه

(فوق في رقعة) : انا اسعدك الله على الحال التي عهدت وميلي
اليك كما علمت . وليس من انسيناه اهملناه ولا من اخرناه تركناه مع

اقتطاع الشغل لنا واقتسام زماننا . وكان من حَقِّك علينا ان تذكرنا
بنفسك وتعلمنا امرك . وقد وقعت لك برزق شهرين لتريح غلتك
وتعرفني مبلغ استحقاقك لا تطلق لك باقي ارزاقك ان شاء الله . والسلام

✽ وكتب ابن الرومي الى القاسم بن عبيد الله ✽

ترفع عن ظلمي ان كنت بريئاً . وتفضل بالعفوان كنت مسيئاً .
فوالله اني لا اطلب عفو ذنب لم اجنه والتمس الاقالة مما لا اعرفه لتزداد
تطولاً وازداد تدلاً . وانا اعيد حالي عندك بكرمك من واش يكبدها
واحرسها بوفائك من باغ يحاول افسادها واسأل الله تعالى ان يجعل
حظي منك بقدر ودي لك ومحلي من رجائك بحيث استحق منك

✽ وكتب اخر الى بعضهم ✽

انت اعزك الله اعلم بالعفو والعقوبة من ان يجازيني بالسوء على
ذنب لم اجنه يدي ولا لسان بل جناه علي لسان واش . فاما قولك
انك لا تسهل سبيل العذرفانت اعلم بالكرم وارعى لحقوقه واقعد
بالشرف واحفظ لذمته من ان ترد يد مؤملك صغراً من عفوك اذا
التمسه ومن عذرك اذا جعل فضلك شافعاً فيه وذريعة له

✽ وكتب المنذر الى ابيه وكان قد جفاه لسوء خلقه ✽

اني قد توحشت في هذا الموضع توحشاً ما عليه من مز يد وعدمت
فيه من كنت آس اليه . واصبحت مسلوب العز فقيد الامر والنهي

فان كان ذلك عقاباً لذنوب كبير ارتكبتها وعلمه مولاي ولم اعلمه فاني صابر على تأديبه ضارع اليه ملتمس عفوه وصفحه :

وان امير المؤمنين وفعله لك الدهر لا عار بما فعل الدهر

✽ وكتب الحسن بن وهب الى بعضهم ✽

من شكرك على درجة رفعتها اليها او ثروة اقدرته عليها فان شكري لك على مهجة احييتها وحشاشة ابقيتها ورمق امسكت به وقمت بين التالف وبينه . فلكل نعمة من نعم الدنيا حد تنتهي اليه ومدى يوقف عنده وغاية من الشكر بسمو اليها الطرف خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف واطالت الشكر وتجاوزت قدره . وانت من وراء كل غاية رددت عنا كيد العدو وارغمت انف الحسود فحن نلجا منك فيها الى ظل ظليل وكنف كريم . فكيف يشكر الشاكر واين يبلغ جهد المجتهد

✽ ولا بن عبد ربه ✽

للمفضل ان يخص بفضله من شاء والله الحمد ثم له فيما اعطى ولا حجة عليه فيما منع . كن كيف شئت فاني ارى ببقائك بقاء سروري وبدوام النعمة عندك دوامها عندي . لا ازال ابقاك الله اسأل الكتاب اليك . فمرة اتوقف توقف الخفف عنك من المؤونة ومرة اكتب كتاب الراجع منك الى الثقة والمعتمد منك على المقييل . لا

اعدنا الله دوام عزك ولا سلب الدنيا بهجتها بك ولا اخلانا من
الصنع لله . فاننا لا نعرف الا نعمتك ولا نجد للحياة طعماً الا في ظلك .
ولئن كانت الرغبة الى الناس خساسة وذلاً لقد جعل الله الرغبة اليك
كرامةً وعزاً . لانك لا تعرف حراً قعد به دهره الا سبقت مسئلته
بالعطية وصنت وجهه عن الطلب والذلة .

(ومن رسائله) لك اصلحك الله عندي ايدي تشفع لي الى محبتك
ومعروف يوجب عليك الود والاتمام . وانا اسأل الله ان ينجزي ما لم
تزل الفراسة تعدنيه فيك .

(ومن رسائله) : قد اجل الله قدرك عن الاعتذار واغثاني
في القول واوجب عليك ان تقنع بما فعلت وترضى بما انعمت
وصلت او قطعت

✽ وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له ✽

الايام ايدك الله بيني وبينك تراجمة لي عن صحة وفائك وشهود
عندي على صدق اخائك . واقل حقوقك علي يلزمني ان لا اشغل
لساني بغير شكرك . ولا قلبي الا بذكرك . ولو تجاوز طبقات اهل
مودتك في ميدان المقة . وتنازعوا خصل الانس والثقة . رجوت
ان اكون سابقاً ليس له سابق . ولا يذكر معه لاحق . وان تجلي
الغاية مني عن محبة مربة بالوفاء . وعن شكرٍ مرضع بالدعاء . وقد

بلغني خبر سعيك لفلان في العمل الذي هو دون قدره . وان كان
فوق اعمال عصره . فشكرتك عنه وان كان بشرك اوفى واملئ .
وبايفائك حقاك احق واولى . واردت ان اكل شكرك اليه . ولا
اتطفل فيه عليه . فكرهت ان تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لي فيها
اسم . وان تحتم جريدة المشاركة ولم يكن لي فيها قسم . فذكرته لك
وانت له اذكر . وشكرتك عنه وهو لك مني اشكر . على اني ارغب
بذلك الحر عن التلطيح باوضار الاعمال . فانها مزالت اقدام الرجال
ضنا به عن تخاليط الايام وصيانة المحله عن مدانسة الاوهام . ونعمتك
عليه مقتسمة بيني وبينه بل اكثرها لي دونه . فما ظنك بعارفة واحدة
تكسبك شكرين . وتستعبد لك حريين . وجدير بمن هطلت عليه
سحاب عنايتك . ورفرفت حوله اجنحة رعايتك ان ينبوعه سيف
الزمان مثلوما . ويرجع عن ساحتة عسكر الزمان مهزوما . والله عز
وجل اسأل ان لا يجرمك نعمة يمد اليك بها عنق ودود ومنة
تفقاً عنك عين حسود بمنه وكرمه

✽ وكتب الحسن بن وهب الى مالك بن طوق ✽

كتابي اليك خططه بييني وفرغت له ذهني . فما ظنك بحاجة
هذا موقعها مني . اتراني اقبل العذر فيها او اقصر في الشكر عليها .
وابن ابي الشيص قد عرفته ونسبه وصفاته . ولو كانت ايدينا تنبسط

ببره ما عدنا الى غيرنا فاكتف بهذا منا .
 (وله) كتابي اليك كتاب معني بمن كتب له واثق بمن كتب
 اليه . وان يضيع بين الثقة والعناية حامله

وكتب صاحب البريد بخراسان الى الرشيد ويحيى جالس بين يديه
 ان الفضل بن يحيى متشاغل بالصيد وادمان اللذات عن النظر
 في امور الرعية

فلما قرأه الرشيد رمى به الى يحيى وقال له : يا ابي اقرأ هذا الكتاب واكتب
 اليه بما يردعه عن هذا . فكتب يحيى علي ظهر كتاب صاحب البريد :
 حفظك الله يا بني وامتع بك . قد انتهى الى امير المؤمنين ما
 انت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في امور
 الرعية ما انكره . فعاود ما هو ازين بك فانه من عاد الى ما يزينه او
 يشينه لم يعرفه اهل دهره الا به والسلام

✽ وكتب بديع الزمان الى ابن اخته ✽

انت ولدي ما دمت والعلم شأنك . والمدرسة مكانك . والمهجرة
 حليفك . والدقترايفك . فان قصرت ولا اخالك . فغيري خالك
 والسلام

✽ وكتب ابو الفضل الميكالي من رسالة . ✽

انما اشكو اليك زمانا سلب ضعف ما وهب . وفجع باكثر مما

متع • واوحش فوق ما آتس • وعنف في نزع ما ألبس • فانه لم
 يذقنا حلاوة الاجتماع حتى جرعنا مرارة الفراق ولم يمتعنا بانس الالتقاء
 حتى غادرنا رهن التلهف والاشتياق • والحمد لله تعالى على كل حال
 يسوء ويسر • ويخلو ويمر • ولا أيا من رَوْح الله في اباحة صنع
 يجعل ربة مناخي ويقصر مدة البعاد والتراخي • فلاحظ الزمان
 بعين راض • ويقبل الي حظي بعد اعراض • واستأنف بعزته عيشاً
 عذب الموارد والمناهل • مأمون الآفات والغوائل

✽ وللشيخ ابراهيم اليازجي ✽

الى صديق له جواباً عن كتاب ينعي اليه فيه احد انسابه ويعزیه بنسب له
 ورد كتابك يتجاذبه طرفان من نعي وتعزية • ويضرب عليه
 لوان من شجو وتسلية • فمن لي بعبرتين تجري احدهما وترقاً الاخرى
 ومن لي بقلبين يذوب احدهما جزعاً ويمجد الاخر صبراً • بل كيف
 يصبر جريح ضربه الدهر بسيفين وجرحه البلوى بكاسين • فمزج
 عبرة بعبرة وتابع حسرة اثر حسرة • وبات لا يجد الى الصبر دليلاً
 ولا يهتدي الى العزاء سبيلاً • ولكن الامر فوق ما تجرعه الجفون
 وما تثير الشجون • وامر الله واقع لا يدفعه دافع • والدمع لا يسبغ
 غصة • والوجد لا يزيل كربة

واذا حصلت من السلاح على البكا

فحشاك رعت به وخذك تفرع

فإننا إلا السعي وراء ما ندّ من الصبر نكره عليه النفس وإن كان
 أحد المرين والاتجاه إلى الرضى بالمكتوب نداوي به القلب وإن
 كان أحد الداءين وحسبنا الله وكيلاً

❖ وله أيضاً إلى صديق له ❖

من علم أن القضاء واقع وإن الأعمار رهائن المصارع فلم يصحب
 دهره على غرة ولم يغتر من الأقدار بفترة • لم تكبر عليه الرزينة إذا
 اغتالت ولم يطمئن إلى السلامة وإن طالت • فإن للدهر رقدة وهبة وإن
 ليالي كمنة ووثة • ومثلك من أدرك مبادئ الأمور ومصايرها وعرف
 موارد الحياة ومصادرها وإنما الموت طور من أطوار الوجود وآخر
 أعمال الحياة في الوجود ولا أزيدك علماً بالكون وشرائعه والكائن
 وطبائعه إنما هي ذكرى لمن فجئه الرزء فشغله وحلّ بساحته القضاء
 فاذله • وحسبي من التعزية علي بما عندك من موارد العلم المباح ومن
 التأسية ما نعلمه من حال من يخاطبك وهو سائل الجراح • وما أخلقني
 بأن أقول إن رزءك هذا قد زادني شجناً على أشجاني ونكاً ما تماثل من
 قرحة أحزاني ولكنني قد صيرني الدهر إلى حال لا تعمل فيها حال
 ولا أبالي معها بسلم ولا قتال فكانما آياي عنى أبو الطيب حيث قال
 رماني الدهر بالأرزاء حتى فؤادي في غشاء من نبال

فصرت اذا اصابني سهامٌ تكسرت النصال على النصال
 على ان المرء اذا لم يكن له من نفسه معزياً لم يزد كلام المعزين
 على اذكار مصابه وتجديد لوعته واكتسابه . وههنا امتحان الرجال وموطن
 الصبر والاحتمال . والمرء باعز ما لديه يمتحن والصبر على مقدار الهم
 والفتن وان الاحزان معقودة اطرافها بالعزاء موصولة او اخرها بالتأساء .
 فاجعل الآخرة الاولى ولا تبلغ الدهر من نفسك مأمولاً . والله اسأل
 ان يقيض لنا بسلامتك عوضاً كريماً ويصون بيتكم وآله من كل
 كارثة سليماً ويفرغ على قلوبكم صبراً جميلاً وعلى من فقدتم عفواً عمياً
 برحمته واطفه

انتهى الجزء الرابع
 ويليه الخامس

فهرس

الجزء الرابع من جواهر الادب

	المقدمة	٢
في الادبيات	الباب الاول	٣
في الحكم والمواعظ والنصائح	الباب الثاني	٧١
في اللطائف	الباب الثالث	٩٨
في الحكايات والنوادر	الباب الرابع	١٢١
في التعازي والمراثي	الباب الخامس	١٦٠
في التهناني	الباب السادس	١٩٣
في الشعر	الباب السابع	٢٠٥
في الوصف	الباب الثامن	٢٤٢
في اللغة	الباب التاسع	٢٥٧
في المقالات	الباب العاشر	٢٧٥
في الرسائل	الباب الحادي عشر	٣٠٨